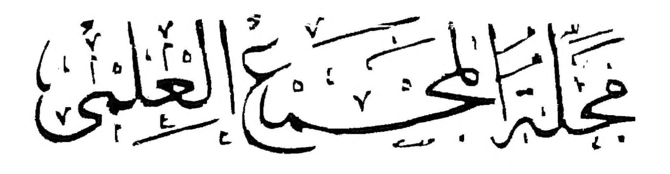

المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي





فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الرابع ــ المجلد الواحد والستون

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م



(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦- لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .

٧- لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨- لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .

٩- لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .

١٠- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشر مستلات من بحثه ومكافأة تقديرية على وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

محتويـــات

الجزء الرابع / المجلد الواحد والسـتون

أصالـة
الشـهور العربيـة

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

المنلخص :

يُطلق أحدهم رأيا فسيلا فتسير خلفه الأقلام ، ويصبح بديهة بعد أن يخف الصراع . وكنت قد وقفت منذ سنين عندما قيل بسريانية الشهور الشمسية ، ونشرت بحثا بعنوان (الشهور العربية) في مجلة المجمع العلمي .

عدت اليه اليوم فوجدته يحتاج الى إعادة النظر، والتوسع في قضايا لم يكن السبيل اليها ميسورا ، فكان هذا البحث الذي اثبت أصالة الشهور العربية ، وامتداد أصولها الى قرون خلت حيث ظهرت في العراق الذي ألقى جناحيه على البسيطة شرقا وغربا .

(١)

الشهر : مصدر شهره يشهره شُهْرا وشهرة ، والشهرة : وضوح الأمر ، والشهر القمري سمي بذلك لشهرته وظهوره ، وقيل : إذا ظهر وقارب الكمال ، والشهر : العدد المعروف من الأيام ، سمي بذلك لأنه يشهر بالقمر ، وفيه علامة ابتدائه وانتهائه ، والشهر : الهلال ، سُمي به لشهرته وظهوره ، والعرب تقول ((رأيت الشهر)) أي رأيت هلاله ، والجمع أشهر ، وشهور .[١]

تحدثت كتب الأزمنة والأنواء عن الشهر وتحديده فقال أبواسحاق ابراهيم ابن اسماعيل المعروف بالأجدابي (-٦٥٠ هـ) : ((وأما الشهر فاختلف حساب الأمم فيه ، فمنهم من يجعل الشهر مُدّة مسير القمر من حين يفارق الشمس الى أن يفارقها مرة أخرى ، وذلك تسعة وعشرون يوما ونصف يوم وثلثا ساعة على التقريب ، إلا أن اثبات هذا الكسر غير ممكن فأسقطوه من بعض شهورهم ، واكملوه في بعضها يوما ، فصارت بعض شهورهم ثلاثين يوما ، وبعضها تسعة وعشرين يوما لا غير ، وهذا مذهب العرب والعبرانيين من العجم واليونانيين . ومنهم من لا يعتبر مسير القمر ، ويبني حسابه على مسير الشمس بمقدار برج من بروج الفلك ، وذلك ثلاثون يوما وثلث يوم وسدس يوم على التقريب ، وهذا مذهب الروم والسريانيين والقبط)) .

---

[١] لسان العرب (شهر) .

ثم قال : ((وأما السنة فهي المدة الجامعة للفصول الأربعة التي هي : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ، ومقدارها عند الروم والسريانيين اثنا عشر شهرا شمسية ، ومقدار السنة عند العرب اثنا عشر شهرا قمرية)) [٢] والشهر العربي هو ما بين رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا ، وعدد أيامه تسعة وعشرون يوما ونصف يوم على التقريب ، قال أبو العباس احمد بن علي القلقشندي (-٨٢١ هـ) : ((ومدة الشهر عندهم من رؤية الهلال الى رؤية الهلال ، وهو أسهل الطرق وأقربها ، عليها جاء الشرع ، وبها نطق التنزيل)) .[٣]

وكانت الأمم والشعوب قد اتخذت لها تقويما تعد به أيامها وشهورها وسنيها ، وهذا التقويم نوعان :

الأول : يعتمد على حساب الشمس وهو لا يتغير ولا يزول على مرّ الدهور ، ومنه الحساب السرياني والرومي ، والحساب في هذه الأيام .

الثاني : يعتمد على حساب الأهلة ، وهو يغير ويدور ، ومنه الحساب العربي الاسلامي وهو الهجري .

كان للتأريخ أهمية كبيرة عند الشعوب ، وقد أرخت كل أمة أوشعب بحادثة عظمى أو ميلاد نبي أو ميلاد عظيم ، وفعل العرب ذلك قبل الاسلام ، إذ ((عرف التأريخ عند الجاهليين بدليل عثور الباحثين على

---

[٢] الأزمنة والأنواء ص ٢٩--٣٠

[٣] صبح الأعشى في صناعة الانشا ج٢ ص٣٦٩

نصوص كثيرة ومؤرخة))[٤] ، وأرخوا ببناء إبراهيم واسماعيل – عليهما السلام – الكعبة [٥] ، وكانوا يؤرخون بالنجوم ، ومنه صار الكتاب يقولون :

((نجمتُ على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم))[٦] وأرخ العرب بعد الاسلام بالهجرة النبوية الشريفة الى (المدينة المنورة) وكان وصوله – عليه السلام – اليها يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول [٧] وسبب اختيار الهجرة أنها كانت أظهر الأوقات ، وقد استقام بعدها ((أمر الاسلام ، وأدبر الشرك ، ونجا النبي – عليه السلام . من بوائق كفار مكة ، وتوالت بعدها الفتوح فصارت الهجرة للنبي كالقيام للملوك ، وصفاء الملك لهم))[٨]. وكان (عمر بن الخطاب) . رضي الله عنه – قد وضع التأريخ الهجري ، وكانت الناس على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سموا ((مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص مشتق مما اتفق فيها له – عليه السلام – فالأولى بعد الهجرة سنة الاذن ، والثانية سنة الأمر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص ، والرابعة سنة الترفئة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سنة الاستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشرة سنة الوداع ، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة))[٩].

---

[٤] المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام ج٨ ص٥١١ .

[٥] ينظر الآثار الباقية في القرون الخالية ص٣٩ .

[٦] الأزمنة والأمكنة ج٢ ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

[٧] سيرة ابن هشام ج١ ص٥٩٠ .

[٨] الآثار الباقية ص٣٥ .

[٩] الآثار الباقية ص٣٦ .

التأريخ الهجري على السنين القمرية برؤية الأهلة لا الحساب ولذلك تتغير الشهور ، وتنتقل من موسم الى آخر ، والسنة اثنا عشر شهرا ، قال الله – سبحانه وتعالى – : ((إنَّ عِدَّةَ الشهور عند اللهِ اثنا عَشَرَ شهرا في كتابِ الله)) (التوبة ٣٦) . للعرب نوعان من الشهور :

الأول : الشهور القديمة ، قال (ابن الكلبي) : ((كانت (عاد) تسمي المحرم مؤتمرا ، وصفرا ناجرا ، وربيعا الأول خوانا ، وربيعا الآخر بصانا ، وجمادى الأولى زبّى ، وجمادى الآخرة حنينا ، ورجب الأصم ، وشعبان عاذلا ورمضانا ناتقا ، وشوالا وعلا ، وذا القعدة ورنة ، وذا الحجة بُرك))[١٠] .

وهناك أسماء أخرى للعرب العاربة ، فهم كانوا يسمون ((المحرم موجبا ، وصفر موجزا ، وربيع الأول موردا ، وربيع الآخر ملزجا ، وجمادى الأولى مصدرا ، وجمادى الآخرة هوبرا ، ورجبا مويلا ، وشعبان موهبا ، ورمضان ذيمرا ، وشوالا جيفلا ، وذا القعدة محلسا ، وذا الحجة مسبلا)) [١١].

وكانوا يسمونها بأسماء أخرى – أيضا – قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (–٣٤٦ هـ) : ((المحرم ناتق ، وصفر ثقيل ، ثم طليق ، ناجر ، أسلخ ، أميح ، أملك ، كسع ، زاهر ، برك ، حرف ، نعس ، وهو ذو الحجة)) [١٢]

---

[١٠] لسان العرب (برك) وينظر المخصص ج٩ ص٤٣ .

[١١] الأزمنة والأمكنة ج١ ص٢٨٣ ، وينظر مروج الذهب ج٢ ص١٩١ .

[١٢] مروج الذهب ج٢ ص١٩١ .

ولكن هذه الشهور هجرت أسماؤها وحلَ مكانها أسماء أخرى ، وقد نظمها أحدهم بترتيب مخالف فقال :

بمؤتمر وناجــرة بدأنــا | وبالخوان يتبعه الصوان
وبالزبـــاء بائـدة بدأنـــا | وبالخوان يتبعـــه الشنـان
وواغلة وناطلة جميعـــا | وعادلة فهم غرر حسان
وورنة بعدها برك فتمت | شهور الحول يعقدها البنان [١٣]

ومعاني هذه الأسماءعلى ما ذكر في كتب اللغة ، ولخصها أبو الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي (-٤٤٠ هـ) بقوله هي : ((أما المؤتمر فان معناه أن يأتمر بكل شيء مما تأتي به السنة . من أقضيتها ، وأما ناجر فهو من النجر ، وهو شدة الحركما قال الشاعر :

صري أسن يزوي له المرء وجهه | ولوذاقه الظمأن في شهرناجر

وأما خوّان فهو على مثال (فَعّال) من الخيانة ، وكذلك صوان على مثال (فُعال) من الصيانة ، وهذه المعاني كانت اتفقت لهم عند أول التسمية . وأما الزباء فهي الداهية العظيمة المتكاثفة ، سُمي لكثرة القتال فيه وتكاثفه . وأما البائد فهو - أيضا- من القتال ، إذ كان يبيد فيه كثير من الناس ، وجرى المثل بذلك ((العجب كل العجب بين جمادى ورجب)) وكانوا يستعجلون فيه ويتوحون بلوغ ما كان لهم من الثأر والغارات قبل دخول رجب

---

[١٣] ينظر الآثار الباقية ص٧٣ ، وصبح الأعشى ج١ ص٣٨٠ .

وهو شهر حرام . وأما الأصمّ فلأنهم كانوا يكفون عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح، وأما الواغل فهو الداخل على الشراب ولم يدعوه وذلك لهجومه على شهر رمضان ، وكان يكثر في شهر رمضان شربهم للخمرة ، لأن ما يتلوه هي شهور الحج . وأما ناطل فهو مكيال للخمر سُمي به لافراطهم في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال . وأما العادل فهو من العدل لأنه من أشهر الحج ، وكانوا يشتغلون فيه عن الناطل . وأما الرنة فلأن الأنعام كانت ترن فيه لقرب النحر . وأما برك فهو لبروك الابل إذا حضرت المنحر ، وأحسن من النظم الذي ذكرنا نظم (الصاحب بن عباد) لها ، وهي هذه :

أردت شهور العرب في الجاهلية ... فخذها على سرد المحرم تشترك

فمؤتمر يأتي ومن بعد ناجــر ... وخوان مع صوان يجمع في شرك

حنيــن وزبـــا والأصــم وعــادل ... ونافق مع وغل ورنة مع برك .[١٤]

الثاني : الشهور الجديدة وكانت معروفة قبل الاسلام ثم استمرت الى اليوم ، وأول هذه الشهور المحرم ، وسُمي محرما لأن العرب كانوا يحرمون القتال فيه ، وصفر الذي كانوا يغزون فيه الصفرية فيمتارون الطعام ، وربيع الأول وسمي كذلك لجمود الماء فيه ، حينما سميت أول مرة بهذا الاسم ، وجمادى الآخرة ، ورجب وهو من التعظيم ، وشعبان الذي سمي كذلك لتشعب قبائل فيه ، ورمضان لرموض الحر وشدة الشمس فيه ، وقيل

---

[١٤] الآثار الباقية ص٧٤ .

لارتماض الأرض بالحر ، وشوال الذي سمي بذلك لأن الألبان تشول فيه أي تقل ، وذو القعدة الذي كانوا يقعدون في رحالهم عن الغزو ولا يطلبون كلأ ولاميرة ، وذو الحجة الذي كانوا يحجون فيه .

وقيل : إن المحرم سمي بهذا الاسم لأن من شهور العرب أربعة حرم واحد فرد وهو : رجب وثلاثة سرد وهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم وكانوا يحرمون فيه القتال .

وسمي صفرا لوباء كان يعتريهم فيمرضون وتصفر الوانهم ، ثم ربيع الأول ، وربيع الآخر ، وكانا يأتيان في الفصل المسمى خريفا ، وتسميه العرب ربيعا ، ثم جمادى الأولى وجمادى الآخرة حين وقع الجليد وجمد الماء وهو فصل الشتاء ، ثم سمي رجب رجبا لأنه قيل فيه : ارجبوا أي كفوا عن القتال والغارات لأنه شهر حرام ،

وقيل : بل لا ستعجالهم قبله ، كانوا يخافونه ، يقال : رجبت الشيء أي خفته ، ثم شعبان لانشعاب القبائل فيه الى المناهل وطلب الغارات ، ثم رمضان حين بدأ الحر وأرمضت الأرض ، وكانوا يعظمونه في الجاهلية ، ثم شوال لأنه فيه شوّلوا أي ارتحلوا ، وقيل : بل سمي بذلك لأن الأبل كانت تشوّل فيه في ذلك الوقت اذنابها ، ثم ذو القعدة لما قيل فيه : اقعدوا وكفوا عن القتال ، ثم ذو الحجة لأنه الشهر الذي كانوا يحجون فيه .[١٥]

---

[١٥] ينظر الأيام والليالي والشهور ص٩ ، ١٧ ، مروج الذهب ج٢ ص١٨٨ ، الآثار الباقية ص ٧٢ ، ٤٠١ ، المخصص ج٩ ص٤٣ ، نهاية الارب ج١ ص١٥٨ ، صبح الأعشى ج٢ ص٣٧٤ ، الأزمنة والأمكنة ج١ ص٢٧٩ ، المزهر ج١ ص٢١٩ ، بلوغ الارب ج٣ ص٧٨ .

والشهور كلها مذكرة فيقال : ((هذا شهر كذا)) إلا جماديين فأنهما مؤنثان ، قال ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء (-٢٠٧ هـ) : لأن ((جُمادى جاءت على وزن (فُعالى) وفُعالى لا تكون إلا للمؤنث ، تقول : هذه جُمادى الأولى ، وهذه جُمادى الآخرة)) . [١٦]

حددت السنة الهجرية بثلثمائة وأربعين يوما وخمس يوم وسدس يوم وذلك أحد عشر جزءً من يوم على أن اليوم ثلاثون جزءً ، ويجتمع من هذه الأجزاء يوم كامل وذلك في الأكثر من ثلاث سنين الى ثلاث سنين ، ففي كل سنة ثالثة من سني العرب يولد زائد يُجعل في آخر ذي الحجة ، وتسمى تلك السنة كبيسة ، وتكون ايامها ثلاثمائة يوم وخمسة وخمسين يوما . وهذا الذي رسمه أهل الحساب في مقادير الشهور العربية مبني على حساب المفارقة ، أي مفارقة كل شهر ما قبله بزيادة يوم أو نقصانه ، ولكن حساب المفارقة ((ربما وافق الرؤية ، وربما خالفها ، وخلافه لها هو الأكثر فيكون أول الشهر في حساب المفارقة متقدما للرؤية بيوم واحد في الأغلب ، وربما تقدمها بيومين ، وهو قليل)) .[١٧]

من المعروف أن أربعة من هذه الشهور حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، قال الله – تعالى- : ((إنَّ عِدة الشهورِ عند الله اثنا عَشَرَ شهرا في كتاب الله يوم خلق السَماوات والأرض ، منها أربعة حُرُم . ذلك الدين القيم ، فلا

---

[١٦] الأيام والليالي والشهور ص١١ .

[١٧] الأزمنة والأنواء ص٣٨ ، وينظر مروج الذهب ج٢ ص١٨٨ .

والشهور كلها مذكرة فيقال : ((هذا شهر كذا)) إلا جماديين فأنهما مؤنثان ، قال ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء (-٢٠٧ هـ) : لأن ((جُمادى جاءت على وزن (فَعالى) وفُعالى لا تكون إلا للمؤنث ، تقول : هذه جُمادى الأولى ، وهذه جُمادى الآخرة)) . [١٦]

حددت السنة الهجرية بثلثمائة وأربعين يوما وخمس يوم وسدس يوم وذلك أحد عشر جزءً من يوم على أن اليوم ثلاثون جزءً ، ويجتمع من هذه الأجزاء يوم كامل وذلك في الأكثر من ثلاث سنين الى ثلاث سنين ، ففي كل سنة ثالثة من سني العرب يولد زائد يُجعل في آخر ذي الحجة ، وتسمى تلك السنة كبيسة ، وتكون ايامها ثلاثمائة يوم وخمسة وخمسين يوما . وهذا الذي رسمه أهل الحساب في مقادير الشهور العربية مبني على حساب المفارقة ، أي مفارقة كل شهر ما قبله بزيادة يوم أو نقصانه ، ولكن حساب المفارقة ((ربما وافق الرؤية ، وربما خالفها ، وخلافه لها هو الأكثر فيكون أول الشهر في حساب المفارقة متقدما للرؤية بيوم واحد في الأغلب ، وربما تقدمها بيومين ، وهو قليل)) .[١٧]

من المعروف أن أربعة من هذه الشهور حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، قال الله – تعالى- : ((إِنَّ عِدة الشهورِ عند الله اثنا عَشَرَ شهرا في كتاب الله يوم خلق السَماوات والأرض ، منها أربعة حُرُم . ذَلِكَ الدين القيم ، فلا

---

[١٦] الأيام والليالي والشهور ص١١ .

[١٧] الأزمنة والأنواء ص٣٨ ، وينظر مروج الذهبُ ج٢ ص١٨٨ .

تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين)) (التوبة ٣٦)

وكانت العرب تنسأ ، والنسَأة هم ((الذين ينسؤون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرام ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ويؤخرون ذلك الشهر)) . [١٨]

والنسأ عندهم نوعان :

الأول : تأخيرشهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى الغارات ، وطلب الثارات .

الثاني : تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية ، وظل الأمرعلى هذه الصورة الى أن حج النبي (محمد) - صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع ، وأُنزل عليه قوله تعالى :

((إنما النسيء زيادة في الكفر ، يُضلُ به الذين كفروا ، يُحلونه عاما ويُحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرَم اللهُ ، فيحلوا ماحرّم الله ، زين لهم سوء عملهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين)) (التوبة ٣٧) وظلت سنة العرب والمسلمين اثني عشر شهرا قمريا دائرة في الفصول الأربعة ، وهو ما يؤخذ به اليوم في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، قال البيروني : ((وأما المسلمون فقد استعملوا شهور العرب غير منسأة)) .[١٩]

---

[١٨] سيرة ابن هشام ج١ ص٤٣ ، وينظر الأزمنة والأنواء ص٣٣ ، والأزمنة والأمكنة ج١ ص٨٨ ، ونهاية الارب ج١ ص١٦٥ ، وبلوغ الارب ج٣ ص٧٠ .

[١٩] الآثار الباقية ص٤٠٧ .

وتوالت الشهور العربية بعد أن أقرها الاسلام غير مُنسأة ، وهي : المحرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الآخر (الثاني) جمادى الأولى ، جمادى الآخرة ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، وبها أرخت كتب التأريخ والأعلام وغيرها من الكتب من لدن بداية التأليف في الآداب والعلوم والفنون ، وما زالت معظم الدول العربية والاسلامية تأخذ بها الى جانب الشهور الأخرى التي استعملوها منذ قرون .

استعمل بعض الشعراء الشهور العربية في شعرهم ، ومنهم الحسن بن هانيء (ابو نواس) فقال :

أوفق الأشهر لي أبعدها من رمضانِ

وسماه (شهر الصيام) وقال :

لم يخشَ في شهر الصيام ربه　　　ياربنا لاتغفرن ذنبه [٢٠]

وقال عبد الله بن المعتز :

ليت ما قد شربته في جمادى　　　كنت اسقيتنيه في شعبان[٢١]

وقال علي بن العباس بن الرومي :

لقد رأينا عجبا من العجب　　　بين جمادى وجمادى ورجب

وقال :

محرم الحول في تقدمه　　　لكنه لابن خيفة رجبه

---

[٢٠] ديوان أبي نواس ص١٩٤ ، ٥٣٠ .

[٢١] ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ج٢ ص٤٦٦ .

وقال :

أيا قتيل رسول الله في رجب   يا أكرم الناس مخبوزا لمختبرِ

وقال :

ويومها مـن محرم أبـدا   حذقا ويوم القيان في صفر

وقال :

حتى أقروا وقال قائلهم :   محرم الحول سابق صفره

وقال :

فكأنه رمضان في إخباته   وكأنه في جوده شوّالٌ

وقال:

يُعدّ إذا عُد الملوك مبدأ   كما عُدَ رأسا للشهور المحرمُ

وقال :

ما بين ذي الحجة والمحرمِ   يوم مضى غُفلا بغير ميسمِ[٢٢]

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

عجائبا زعموا الأيام مجفلةً   عنهن في صفر الأصفار أو رجب

وقال :

لما قضى رمضان فيه قضاءه   شالت به الأيامُ في شوالِ [٢٣]

---

[٢٢] ديوان ابن الرومي ج١ ص٢٢٧ ، ٣١٠ ، ج٣ ص١١٣٧ ، ٩١٥ ، ٩٤٢ ، ج٥ ص١٩٦٢ ، ٢٠٩٧ ، ج٦ ص٢٣٤٧ .

[٢٣] ديوان أبي تمام ج١ ص٤٣ ، ج٣ ص١٤٣ .

وقال أحد القدماء :

مات الخليفة أيها الثقـلانِ　　　فكأنني أفطرت في رمضانِ

واستعمل هذه الشهور بعض الشعراء في العصر الحديث ، قال احمد شوقي ذاكرا الأشهر الحرم :

ريم على القاعِ بين البان والعلمِ　　　أحلّ سفكَ دمي في الأشهر الحرمِ

وقال :

قد سال بالدم من ذبح ومن بشر　　　واحمرَّ فيه الحمى والأشهر الحرمْ

وقال :

رمضان ولّى ها تها ياساقي　　　مشتاقةً تسعى الى مشتاقِ

وقال:

يبدو على هاتور نورُ دمائها　　　كدم الحسين على هلال محرمِ [٢٤]

واستعمل احمد محرم كلمة (محرَّم) ووُضعت بين قوسين ، وكأن في ذلك إشارة الى شهر محرم ، قال :

ولا برح البيت الذي أنت شائد　　　من المجد فينا وهو بيت (محرَّم)

واستعمل الكلمة نفسها ووضعها بين قوسين وكأن في ذلك إشارة الى شهر محرمِ ، وان كان المعنى القريب اسمه ، قال :

إذا ما رأوني طالعا من ثنية　　　تنادوا : هلموا قد أصبنا (محرما) [٢٥]

---

[٢٤] الشوقيات ج١ ص٢٤٠ ، ٢٦٤ ، ج٢ ص٩٢ ، ٢٣٥ .

[٢٥] ديوان محرم الجزء الأول (١) ص٥١ ، ٢٥١ ، ٣٩٧ .

لم يكن استعمال هذه الشهور تدينا أو تكلفا وإنما اقتضاها المقام معنى وإيقاعا مثل : محرم وصفر ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال من أسس التعبير والبيان ، ومن الطريف أن مقتضى الحال جعل حافظ ابراهيم يستعمل اسم شهر أجنبي ليطابق عبارة ((كذبة ابريل))

فقال في هجاء الجرائد سنة ١٩١٧م :

جرائد ماخُطَّ حــرف بهــا — لغير تفريق وتضليلِ

يحلو بها الكذب لأربابها — كأنها أول ((ابريلِ)) [٢٦]

ولولا أن النكتة غلبت على الشاعر لقال :

جرائد ما خط حرف بهــا — لغير تفريق وبهتــانِ

يحلو بها الكذب لأربابهـا — كأنها أول (نيسان)

(٢)

هذا التقويم القمري – وهو عربي أصيل – لم يقع عليه خلاف ، وهناك تقويم استعمله العرب والمسلمون وهو : كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، أيلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول ، وأسماء شهوره أصيلة وضعها الأكديون ، ومرت قرون فإذا بها تظهر في القرن الأول للهجرة وما بعده في الكتب المختلفة

---

[٢٦] ديوان حافظ ابراهيم ج١ ص ١١٠ ، وفي العراق (كذبة نيسان) .

ولاسيما كتب الأنواء والفلاحة ، وفي المعاجم وفي الشعر قديمه وحديثه ، وانتشرت في المشرق العربي ، والمغرب العربي والأندلس ، وما تزال مستعملة مع الشهور القمرية في بعض البلدان العربية كالعراق ، وسورية ، والأردن ، وفلسطين ، ولبنان .

وردت أسماء هذه الشهور في شعر عدي بن الرقاع العاملي ، (-٩٥ هـ) ومن جاء بعده من الشعراء مثل ابي نواس ، وجاءت في الكتب المختلفة ومنها كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (-٢٥٥ هـ) ، قال فيما يعتري المختنق والممرور : ((وأصحاب الركايا يرون أن دواءه أن يلقوا عليه دثارا ثقيلا ، وأن يزمل تزميلا وإن كان في تموز وآب)) . [٢٧] وقال عن (أبي محمد الخزامي) : ((فانه رآني مرة في تشرين الأول وقد بكر البرد شيئا)).[٢٨]

وتحدث أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (-٣٤٦ هـ) عن الشهور عند العرب والعجم ، وذكر شهور القبط ، والسريانيين ، والخلاف في أسمائها ، وشهور السريانيين وموافقتها للشهور العربية المستعملة الآن في بعض البلدان العربية ، وقال : أن شهور الروم ((موافقة لشهور السريانيين في العدد ، وذلك أن أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثاني ... وشباط فبراريوس ، وأذار مارتيوس ، ونيسان أبريليس ، وأيارمايوس ، وحزيران يونيوس ، وتموز يوليوس ، وآب أغسطوس ، وأيلول

---

[٢٧] الحيوان ج٤ ص١٠٣ .

[٢٨] البخلاء ص٥٩ .

سبطمبر ، وتشرين الأول اقطوبر ، وتشرين الثاني نونمبر ، وكانون الأول دشمبر)) .[٢٩]

وقال : إن ((شهور الروم مرسومة على فصول السنة دون شهور العرب ليست مرتبة على فصول السنة ولا على حساب سنة الشمس ، بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في ربيع ، وتارة في غيره من فصول السنة)) [٣٠]

وتكلم عليها أبو الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي (-٤٤٠ هـ) قال : ((إن كل أمة تستعمل تأريخا تنفرد به ، وعلى حسب افتراقهم في التأريخ يفترقون في أوائل الشهور ، وكمية أيام كل واحد منها والعلل المنسوبة اليها)) ثم قال : ((إن عدد شهور السنة الواحدة اثنا عشر شهرا كما قال . الله سبحانه - في كتابه : ((إن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماواتِ والأرضَ)) (التوبة ٣٦) ولم تخالف فيه أمةٌ إلا في سني الكبس)). [٣١]

وذكر شهور الفرس ، وشهور مجوس ما وراء النهر ، وأهل خوارزم ، والسغد ، والقبط ، والمغاربة ، وشهورهم توافق أوائل شهور القبط ، ويسمونها بهذه الأسماء : مايه ، يونيه ، يوليه ،اغست ، شتنبر ، اكتوبر ، نونمبر ، دخيمبر ، ينير ، فبرير ، مرسه ، ابرير.

---

[٢٩] مروج الذهب ج٢ ص١٧٧ وما بعدها .

[٣٠] مروج الذهب ج٢ ص١٩٢ .

[٣١] الآثار الباقية من القرون الخالية ص٥٠ وما بعدها .

وذكر شهور الروم وهي : ينواريوس ، فبرايريوس ، مرطيوس ، افليريوس ، مابيوس ، يونيوس ، يوليوس ، اغسطس ، سبطمبريوس ، طمبريوس ، نوامبريوس ، ميريوس ، وذكر شهور العبرانيين وهي تشري ، مرحشوان ، كسليو ، طيبث ، شفط ، آذر ، نيسن ، أير ، سيون ، تمز ، أوب ، ايلل .

وقال : إنَّ النصارى في الشام والعراق وخراسان مزجوا بين شهور الروم وشهور اليهود وهي : تشرين قديم ، تشرين حراي ، كانون قديم ، كانون حراي ، شباط ، آذار ، نيسان ، أير ، حزيران ، تموز ، آب ، أيلول وقال : ((وقد اشتهرت هذه الشهور حتى استظهر بها المسلمون ، وقيدوا بها ما احتاجوا اليه من أوقات الأعمال ، وعربوا (قديم) وهو الأول ، (حراي) وهو الآخر ، وزادوا في (أير) ألفا حتى صار : (أيار) إذ كان تخفيف الياء منه مع عدم الألف يفحش في لغة العرب ويسمج)) . [٣٢]

وذكر الشهور القمرية المعروفة .

وتحدث عن الشهور الشمسية شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (- ٧٣٣ هـ). وسماها (الشهور العجمية) ، ثم تكلم على الشهور السريانية والرومية وقال : ((هما متفقان في العدد والدخول ، والسريانيون ينسبون شهورهم لأغشطش وهو قيصر ، وهذه الشهور منها ما ينقص عن الثلاثين ومنها ما يوفيها ، ومنها ما يزيد عليها . وقد نظمها الشيخ ابراهيم الدهشوري في ابيات ابتدأ فيها بايلول ، قال :

---

[٣٢] الآثار الباقية ص٧٢ .

وابدأ بأيلول من السرياني تشريــن الأول يتبعــه الثانــي

ثم حزيران وتمــوز وأب تبارك الرحمن يهدي من أحب

ونظم الشيخ أبو عبد الله الكيزراني أبياتا ذكر فيها الأشهر التي منها ثلاثون والناقصة عن الثلاثين ، ولم يتعرض للزائدة عن الثلاثين وهي :

شهور الروم ألوان زيادات ونقصان

فتشرينهم الثانــي وأيلول ونيســان

ثلاثــون ثلاثــون سواء وحزيــران

وإشباط ثمان بعد عشرين له شــان

ووضع لها بعض المغاربة ضابطا وهو حروف معجمة ومهملة يجمعها في أربع كلمات هي ((فاز رجل ختم بحج)) وجمعها آخر في مثل ذلك فقال : ((غاب عنك زيد فحج)) فما كان معجما فهو أحد وثلاثون يوما ، وما كان مهملا فهو ثلاثون ، والشهر الموافق للألف ثمانية وعشرون)) [٣٣] وأولى سنة السريان (؟) تشرين الأول ، وقد ذكرها وما يقابل شهورها من شهور الروم وهي : تشرين الأول (اكتوبر) تشرين الثاني (نومبر) كانون الأول (جنبر) كانون الثاني (ينبر) – وهو أول سنة الروم – شباط (فبرير) آذار (مارس) نيسان (ابريل) أيار (مايه) حزيران (يونيه) تموز (يوليو) آب (أغشت) أيلول (ستنبر) .

وقال : إن شهور الفرس مطابقة لشهور القبط في العدد ، لأن كل شهر منها ثلاثون يوما إلا (أبان ماه) وهو الشهر الثامن فانهم يضيفون اليه

---

[٣٣] نهاية الارب وفنون الأدب – السفر الأول ص١٦٠ .

خمسة أيام لأجل النسيء ويسمونها (الأندر كاه) ولكل يوم من أيام الشهر اسم خاص يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة موكل به . [٣٤]

وذكر أسماء شهور اليهود وهي : تشري ، مرحشوان ، كسلاو ، طابات ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول . [٣٥]

وعقد أبو العباس احمد بن علي القلقشندي (- ٨٢١ هـ) مباحث للشهور ، وتحدث عن شهور العرب وأحوال الأهلة ، وقال : إن ((الشهر العربي عبارة عما بين رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا ، وعدد أيامه تسعة وعشرون يوما ونصف على التقريب)) .[٣٦]

وتكلم على الشهور اليهودية وقال : ((الشهر عندهم من الاجتماع الى الاجتماع وهو إقتران الشمس والقمر في آخر الشهر ، ولذلك توافق شهورهم في التقدير ... وشهورهم توافق شهور السريان في بعض أسمائها دون بعضها)) [٣٧] وهي : تشري ، مرحشوان ، كسلا ، طابات ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول . وتكلم على شهور القبط والفرس وشهور السريان التي تنسب للاسكندر ، وهي اثنا عشر شهرا ، أولها : تشرين الأول ، ثم تحدث عن شهور الروم وتنسب لأغشطش ملك

---

[٣٤] نهاية الارب – السفر الأول ص١٦٣ ، وتنظر الشهور الفارسية في كتاب (اقرأ الفارسية وتحدث بها) ص١٩٣ ، ١٩٥ وكتاب (المرجع في قواعد اللغة الفارسية) ص٦٦٥ .

[٣٥] نهاية الارب -- السفر الأول ص١٥٩ .

[٣٦] صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج٢ ص٣٨٢ .

[٣٧] المصدر نفسه ج٢ ص٣٨٢ .

الروم وهو قيصر الأول ، وهي اثنا عشر شهرا ، ونظمها الشيخ ابراهيم الدهشوري فقال :

ينير فبرير مارس للروم   ابريل مايه خامس المعلوم

ينبه ريليه اغشت ستنبر   اكتوبر نونمبر دجنبر [٣٨]

وشاعت أسماء الشهور الرومية في المغرب والأندلس ، وقد ذكرها أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (-٥٧٨ هـ) عند الكلام على احمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري من أهل (طليطلة) وهي : نونبر ، ودجنبر ، وينير [٣٩]

وذكرها أبو الحسن عريب بن سعيد (- ٣٧٠ هـ)[٤٠] وذكرها شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (- ١٠٤١ هـ) وقال : ((ينير قلب الشتاء)) [٤١]وكان مرتبطا بالتأريخ الهجري في كتابه .

وسمى العرب هذه الشهور : الأعجمية ، ومنهم المسعودي الذي عقد مبحثا بعنوان ((سني العرب وشهورها))[٤٢] . وقال أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الأجدابى (-٦٥٠ هـ) : ((وأشهر ذلك وأغلبه على استعمال الناس حساب الروم والسريانيين)) [٤٣]

---

[٣٨] صبح الأعشى ج٢ ص٣٩١ .

[٣٩] كتاب الصلة ص٣٧ .

[٤٠] كتاب الأنواء ص٢٥ .

[٤١] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج١ ص٢٥٢ .

[٤٢] مروج الذهب ج٢ ص١٧٧ .

[٤٣] الأزمنة والأنواء ص٤٧ .

وسماها كذلك محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (-٦١٤ هـ) فهي (الشهور الأعجمية) و (الشهر الأعجمي) و (الشهر العجمي) [٤٤] وكان يستعمل التأريخ الهجري وما يقابله من هذه الشهور ولم يذكر الشهر العربي (السرياني ؟) إلامرة واحدة في نهاية رحلته وهو شهر نيسان ، ولكنه عاد فذكره باسم (ابريل) .[٤٥]

وسماها كذلك النويري (الشهور العجمية) وهي شمسية ، وذكر منها الشهور القبطية) وشهور (السريان) و (الروم) و (الفرس) .[٤٦]

وهذا اعتراف من القدماء بأن مايستعمل الآن من أسماء الشهور في بعض البلدان العربية ليست عربية وإنما هي أعجمية .

(٣)

اهتم مؤلفو كتاب الأنواء والأزمنة بالشهور التي تستعمل الآن في بعض الدول العربية (كانون الثاني ...) لأنها لا تتغير بتغير الأعوام والفصول ، ووظفوها عند كلامهم على الأجرام السماوية وطلوع الكواكب وسقوطها ، ومنهم محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (-٢٧٦هـ) قال ((فجميع أيام السنة على هذا العدد ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع ، وهذا الحساب لايتغير ولا يزول على مر الدهور ، وليس كحساب الأهلة وحساب الفرس وحساب القبط ، وعدد شهوره اثنا عشر شهرا : تشرين الأول وهو واحد

---

[٤٤] رحلة ابن جبير ص١ ، ٢٨٨ .

[٤٥] رحلة ابن جبير ص٣٣٧ – ٣٣٨ .

[٤٦] نهاية الارب – السفر الأول ص١٥٩ وما بعدها .

وثلاثون يوما ، تشرين الثاني وهو ثلاثون يوما ، وكانون الأول وهو أحد وثلاثون يوما ، وكانون الثاني وهو أحد وثلاثون يوما وربع وشباط وهو ثمانية وعشرون وربع فاذا مضت له أربع سنين انجبر الكسر فيه ، وجبر الكسر أجود فصار في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فتكون تلك السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ، وتسمى (كبيسة) . آذار واحد وثلاثون يوما ، نيسان ثلاثون يوما ، أيار واحد وثلاثون يوما ، حزيران ثلاثون يوما ، تموز واحد وثلاثون يوما ، آب واحد وثلاثون يوما ، أيلول ثلاثون يوما ، وهذا حساب الروم)).[٤٧]

وذكر أسماء الشهور ، ولكنه ذكر تشرين الثاني باسم (تشرين الآخر) وكانون الثاني باسم (كانون الآخر) .

وظف ابن قتيبة هذه الشهور في معرفة الأنواء وطلوع الكواكب وسقوطها لأنها ثابتة ، قال في (الزبرة): ((وطلوعها لأربع ليال بقين من آب ، وسقوطها لخمس وعشرين ليلة تخلو من شباط)) .[٤٨]

وقال في (الحوت) : ((وطلوعه لأربع ليال من نيسان وسقوطه لخمس يمضين من تشرين الأول)) .[٤٩]

ومضى في هذا الأسلوب وهو يتحدث عن طلوع الكواكب وسقوطها في هذه الأشهر ولم يذكر ما يقابلها من الشهور الأعجمية (ينير ، فبرير ...) إذ لعلها لم تكن متداولة في عهده وأن استعملها بعض الشعراء .

---

[٤٧] كتاب الأنواء في مواسم العرب ص١٠٦ .

[٤٨] المصدر نفسه ص٦١ .

[٤٩] المصدر نفسه ص٨٩ .

وذكرها أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن ناقيا البغدادي (–٤٨٥ هـ) عندما تحدث عن الأنواء في كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن) ووظفها للكلام على طلوع الكواكب وسقوطها ، قال في (الدبران) : ((وطلوعه لست وعشرين ليلة تخلو من أيار)) [٥٠]

وقال في (النعائم) : ((وطلوعها لاثنتين وعشرين تخلو من كانون الأول)) .[٥١] ولم يذكر الأخرى .

ومن الذين تعرضوا لهذه الشهور أبو أسحاق ابراهيم بن اسماعيل ابن احمد بن عبد الله الطرابلسي المغربي الأفريقي المعروف بابن الاجدابي (–٦٥٠ هـ) . وعقد في كتابه (الأزمنة والأنواء) : (باب ذكر أيام السنة الشمسية) وقال : ((اعلم أن الروم والسريانيين والقبط بنوا حساب أزمنتهم على مسير الشمس ، فجعلوا مدة سنتهم ثلاثمائة يوم وخمسة وستين يوما)) وقال : إن الروم والسريانيين ((متفقون في حسابهم ، ليس بينهم اختلاف إلا في أسماء الشهور ، فان السريانيين يسمونها بلغتهم ، وهي مستعملة في بلاد المسلمين بكلتا اللغتين ، فأهل الشام والجزيرة يستعملونها بلغة السريانيين ، وأهل الاندلس وصقلية وافريقية وما اتصل بها يستعملونها بلغة الروم)) [٥٢]

وذكر الشهور وما يقابلها بالرومية ، وقال : ((فأول شهور السنة عند الروم في حساب ذي القرنين (اكتوبر) وهو تشرين الأول ، وكذلك

---

[٥٠] الجمان في تشبيهات القرآن ص٢٠٩ .

[٥١] المصدر نفسه ص٢١٩ .

[٥٢] الأزمنة والأنواء ص٤٥ وما بعدها .

هوعند السريانيين فكانما دخل اكتوبر فقد مضت سنة من سنيهم ، ودخلت أخرى . وللروم – أيضا – تأريخ آخر ميلاد المسيح – عليه السلام – وأول السنة فيه (يناريه) وذلك ان مولد المسيح – عليه السلام – كان في خمسة وعشرين من دجنبر وهو كانون الأول في سنة ثلاثمائة واثنتي عشرة من ذي القرنين ، وكان أول شهر دخل بعد مولد المسيح ، (يناريه) فجعل أول سنة في التأريخ المنسوب اليه)) .[٥٣] ووظف الشهور بنوعيها كما وظفها ابن قتيبة وابن ناقيا ، قال في (باب ذكرأزمنة السنة وفصولها وأوقات دخولها) : ((ثم اختلفوا في أوقات دخولها ، فمنهم من جعل الاعتدال وهو وقت حلول الشمس بالحمل ودخول الربيع في أربعة وعشرين من مارسه وهو آذار وبنوا على ذلك حساب الأزمنة ، وهذا هو قول القدماء منهم . ومنهم من جعل ذلك في عشرين من آذار قول أهل الرصد من اليونانيين ، وعلى هذا المذهب جمهور الناس ، وهو المذكور في أكثر كتب الأزمنة التي ألفها علماء المسلمين)) .[٥٤]

(٤)

اعتمدت كتب الفلاحة على شهور السنة الشمسية لانها لا تتغير ، وبها أخذ المزارعون ولكنهم يتبعون (التقويم الشرقي) الذي تبدأ سنته في اليوم العشرين من كانون الثاني في التقويم الآخر .

---

[٥٣] الأزمنة والأنواء ص٥٣ .

[٥٤] الأزمنة والأنواء ص٩٥ .

من كتب الفلاحة القديمة التي سارت على شهور السنة الشمسية (كانون الثاني ، شباط ...) كتاب (الفلاحة النبطية) إذ ترددت فيه أسماء الشهور عشرات المرات ، وكان يذكرها بأسمائها المعروفة ، ولكنه قد يسمي الشهر الحادي عشر (تشرين الآخر) وقد يسميه (تشرين الأخير) ويسمي أحيانا الشهرين الثاني عشر والاول (الكوانين) وقد يقول : (كانون الأخير)[٥٥] وفي كلامه على مواسم الزراعة تحدث عن تسمية الشهور قال أبوبكر بن وحشية (القرن الرابع الهجري) : ((إن هذا الشهر المسمى تموز هو فيما ذكر النبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة وقتل ، زعموا قتلات قبيحة بعضها بعقب بعض ، وإن شهورهم هذه كل واحد منهم اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا سكان إقليم (بابل) قبل (الكسدانيين) وذلك أن تموز هذا ليس من (الكسدانيين) ولا (الكنعانيين) ولا العبرانيين ولا الجرامقة وانما هو من الحساسن الأولين ، وكذلك يقولون في كل شهورهم إنها أسماء رجال مضوا، وإن (تشرين الأول) و(تشرين الثاني) اسما آخرين كانا فاضلين في العلوم وكذلك (كانون الأول) و(كانون الثاني) وإن (شباط) رجل كان نكح ألف امرأة أبكار كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في آخر شهورهم لنقصانه عن النسل فصار النقصان من العدد فيه)) .[٥٦]

---

[٥٥] الفلاحة النبطية ج١ ص٢٣٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٨ ، ٥٣٦ ، ج٢ ص٨٢٨ .

[٥٦] الفلاحة النبطية ج١ ص٢٩٧ .

ومن أمثلة توظيف الشهور في الزراعة ان بَزْر (الخيري) يطرح ((في الأرض منذ منتصف أيلول الأخير الى خمسة وعشرين يوما من تشرين الأول)).[٥٧]

وأن (الكزبرة) مما ((يزرع في تشرين والى كانون الأخير ، وتزرع في حزيران فتنبت وتفلح))[٥٨] وأن وقت زرع (الشبت) ((من أول يوم من كانون الثاني الى وسط شباط))[٥٩] .

وفي كتاب (المقنع في الفلاحة) لأحمد ابن محمد بن حجاج الاشبيلي (– القرن الخامس هـ) وردت أسماء الشهور المعروفة ، وكان أحيانا يجمع عدة شهور متوالية ، قال : ((والكروم عندنا تكسح في كانون الأول وكانون الآخر وشباط وآذار)) .[٦٠] وقال : ((الخس يزرع في تشرين الأول وهو البكير ، ويزرع الآخر كله في كانون الأول وكانون الآخر)) .[٦١] وقال : ((الثوم البكير يزرع من أول تشرين الى آخره ، والصنف الذي أسنانه عريضة جدا يزرع في كانون الآخر))[٦٢]. وتحدث عن الشهور الرومية ، وذكر ما يقابلها بالشهور الأخرى ، وكان اهتمامه بها لرجوعه الى مصادر استعملتها[٦٣] ولذلك كان يذكر الشهر

---

[٥٧] الفلاحة النبطية ج١ ص١٢٦ .

[٥٨] الفلاحة النبطية ج٢ ص٨٢٨ .

[٥٩] الفلاحة النبطية ج٢ ص٨٥٥ .

[٦٠] المقنع في االفلاحة ص١٠٠ .

[٦١] المقنع في الفلاحة ص١١٤ .

[٦٢] نفسه ص١١٧ .

[٦٣] تنظر ص(ز) وما بعدها من المقنع في الفلاحة .

الرومي وحده : (اكتوبر ، فبراير ، ابريل ، مارس ، ماي ، أوغشت)[٦٤] ، وقد يذكره مع الاسم العربي (السرياني ؟) فيقول : ((كانون الآخر وهو يناير الى نصف شباط وهو فبراير)) وقرن الشهر الفارسي (مهرماه) بالشهر الرومي شتنبر .[٦٥]

وفي كتاب (الفلاحة الأندلسية) لأبي زكريا يحيَى بن محمد بن محمد ابن احمد بن العوام الاشبيلي (– ٥٨٠ هـ) وردت هذه الشهور ، وكان يذكر بعض الشهور الرومية لتقابلها .

اتخذ الشهور بيانا لمواسم الغرس والزرع والحصاد كالسابقين قال : ((تزرع الحنطة المبكرة من النصف الأخير من أيلول الى آخر كانون الثاني ، ومايزرع قبل ذلك لا يفلح البتة ، وما زرع في شباط ربما أفلح فلاحا يسيرا)) [٦٦]وقال في علاج الملوحة : ((وعلاجها أن يساق الماء العذب اليها كيفما تيسر ، وليكن أول ذلك في النصف الثاني من نيسان لا قبله ، وفي أول أيار ، ويقام الماء فيها كثيرا ما أمكن)) [٦٧]

وقال : ((وليكن خلف الذين يحفرون الثيل قوم يلتقطون الثيل ، ويبسطونه من فوق ليجف ، وينبغي أن يكون ذلك في تموز والشمس في السرطان والهلال لست عشرة ليلة ، والقمر في الجدي))[٦٨]

---

[٦٤] ينظر المقنع ص١٥ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ .

[٦٥] المقنع ص١٥ .

[٦٦] الفلاحة الأندلسية ج٤ ص٧٢ .

[٦٧] نفسه ج١ ص٣٨٧ .

[٦٨] نفسه ج٢ ص١٠ .

وقال : تغرس أصول الرازيانج في تشرين الأول ، وقد يزرع بذره في آب ؛ فإذا استقل نقل))[٦٩]

ومن كتب الفلاحة (مباهج الفكر ومناهج العبر) لمحمد بن ابراهيم ابن يحيى جمال الدين الكتبي المعروف بالوطواط (- ٧١٨ هـ) إذ اعتمد كالسابقين على أسماء هذه الشهور عند كلامه على مواسم الغرس والزرع والحصاد ، ويبدو أنه متأثر بكتاب (الفلاحة النبطية) إذ يكثر النقل منه ، وسمى هذه الشهور (السريانية) قال : ((مايه ويسمى بالسريانية أيار))[٧٠] وظف أسماء الشهور في كلامه على مواسم الفلاحة ، وقال - مثلا - في زراعة النخيل : ((وأما وقت زرعه من النوى من أول آذار الى آخر حزيران ، وكذلك فسيله)) [٧١]

لقد اعتمدت كتب الفلاحة على الشهور (كانون الثاني ، شباط ...) لأنها لاتتغيرعلى مدار السنين ، وكان الاعتماد الأساسي على التقويم الشرقي الذي تبدأ سنته في العشرين من كانون الثاني المتداول الآن بين الناس .

(٥)

اهتمت المعاجم العربية باسماء الشهور الشمسية ، وترددت في نسبتها ، فهي سريانية مرة ، ورومية مرة أخرى ، ومن المعاجم ما أوضحت ، ومنها ما أوجزت ، ومن النوع الأول (المساعد) للأب أنستاس ماري الكرملي ، قال : ((فشهر(آب) أصله (أب) أي : شهر النواكه والحب من

---

[٦٩] نفسه ج٥ ص٢١ .

[٧٠] مباهج الفكر ومناهج العبر ص٤٠٥ .

[٧١] مباهج الفكر ص٢٠٧ .

الأب ، وقال ثعلب : ((الأب كل ما أخرجت الأرض من النبات)) والأصل فيها هجاء واحد أي (أب) وهو آخرما تكون عليه اللفظة وهذا يدل على قدمها ، أما الآراميون فيقولون في هذا المعنى (أببانا) وتكاد تكون الكلمة في العبرية والسامرية والأمحرية تشبه العربية لكنها ليست بهجاء واحد كما في لغتنا ، كل هذا يدلك على أن صيغة حرفنا من أقدم الصيغ)) [٧٢]

وقال : ((آذار شهر بين شباط ونيسان ، ومدّ الهمزة غلط)).[٧٣]
ولم يذكر أصل هذا الشهر .

ووقف الشيخ عبد الله العلايلي هذا الموقف ، وأشار الى أكدية الشهور الشمسية أو سومريتها أو بابليتها ، قال : ((آب : الشهر الثامن من السنة الشمسية تعداده ٣١ يوما ، فيقابل (انج august) و (فر aout) وهو اسم شائع في اللغات (السامية ؟) ويرجع بتأكد الى أصل بابلي معناه : الغلة والثمر الناضج في أرجح الأقوال ، وقيل : من جذر معناه : العداوة ، إشارة الى صنيع حرارته الشديد بالأرض . اما موقعه من السنة فدار مع العرف ، فهو عند العبرانيين الشهر الحادي عشر من السنة المدنية والخامس من الدينية ، وعند السريانيين القدماء هو الشهر الثاني عشر)) . [٧٤]

وقال : ((آذار : الشهر الثالث من السنة الشمسية ، تعداده واحد وثلاثون يوم فيقابل (فر mars) يرجع الى أصل بابلي في الأرجح ،

---

[٧٢] المساعد ج١ ص٩٧ .

[٧٣] وردت (الأب) في القرآن الكريم ، قال الله – سبحانه وتعالى – ((وفاكهة وأبا)) (عبس ٣١) .

[٧٤] المعجم للعلايلي ج١ ص١٧ .

ومعناه : الهدر والصخب لكثرة بروقه ورعوده ، أما موقعه من السنة فدار مع العرف فهو عند العبرانيين الشهر الثاني عشر من السنة الدينية ، والسادس من السنة المدنية ... وله صيغتا تعريب أخريان : أذار ، أدار .

آذار الثاني عند اليهود الشهر الثالث عشر من السنة ، وذلك لأن سننهم قمرية فهي تنقص أحد عشر يوما من السنة الشمسية ولتنطبقا كانوا يزيدون بعد كل ثلاث سنوات شهرا)) [٧٥]

وتطرق (المعجم الكبير) الذي أصدره (مجمع اللغة العربية) في القاهرة الى هذه القضية ، فقال : ((آب : معرب في العبرية المتأخرة والآرامية اليهودية والآرامية المصرية والسريانية (ab) آب ، والأصل في هذا (abu) أَبُ في الأكدية . الشهر الخامس من شهور السنة عند الأكديين و العبريين ، والحادي عشر من الشهور السريانية يقابله (أغسطس) من الشهور الرومية ومِسرى من الشهور القبطية .

قال محمد بن عبد الملك الزيات :

برد الماء وطال الليـل والتذ الشـرابُ

ومضـى عنــه حزيران وتموز وآب [٧٦]

وجاء فيه : ((آذار معرب (adar) آدار في السريانية (adar) أذار في عبرية التوراة في سفر استير فقط ، وهو يرجع الى ما بعد النفي في بابل ، والعبرية المتأخرة وبعض اللهجات الأرامية ، والأصل في هذا كله (addaru) أدَّرُ في الأكدية . الشهر الثاني عند الأكديين ثم العبريين وهو

---

[٧٥] المعجم للعلايلي ج١ ص١٢٤ .

[٧٦] المعجم الكبير ج١ ص٥ .

السادس من الشهور السريانية ويقابل (مارس) من الشهور الرومية و (بَرمهات) من الشهور القبطية ، وفي الواحد والعشرين منه يقع الاعتدال الربيعي ، قال أبو نواس :

طاب الزمان وأورق الأشجار ومضى الشتاء وقد أتى آذار[٧٧]

وجاء فيه : أيلول : الأصل (ELUNU) إلُونُ أو(ELULU) إلول ، أو (ELULU) ألول ، الشهر السادس من السنة البابلية ، ومنه إلول عند اليهود ، وإيلول لدى السريان . شهر يقابله سبتمبر من شهور الروم ، قال أبو نواس :

مضى أيلول وارتفع الحرور وأَخَبت نارها الشعرى العبور [٧٨]

أما المعاجم التي أوجزت القول فمن القديمة (القاموس المحيط) لمجد الدين الفيروز آبادي الذي أشار الى أسماء الشهور المعروفة الآن ، قال : ((آذار : الشهر السادس من الشهور الرومية)) (الآذر)

وقال : ((شباط كغراب شهر بالرومية)) (شبط)

وقال : ((أيلول شهر بالرومية)) (أيل)

وقال : ((الكانون الموقد كالكانونة ، وشهران في قلب الشتاء)) (الكن).

فالشهور عنده رومية ، ولم يفصل القول فيها محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزَّبيدي في (تاج العروس من جواهر القاموس) وظل مرتبطا بما قاله صاحب (القاموس المحيط) إلابعض الاضافات اليسيرة

---

[٧٧] المعجم الكبير ج١ ص٩ .

[٧٨] المعجم الكبير ج١ ص٦٥٦ .

جاء فيه : ((نقل أبو عمر في (ياقوتة الجلعم) شُباط وسُباط كغراب شهر من الشهور بالرومية ، وقال يصرف ولا يصرف)) (شبط) .

لم يبعد المعاصرون عن هذا القول ، ففي (محيط المحيط) للمعلم (بطرس البستاني) : ((شباط : شهر قبل آ ذار)) (شبط) . وفيه : آذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية)) (أذر)

وفيه : ((حزيران : شهر بين أيار وتموز)) (حزر) .

وفيه : ((أيلول: الشهر التاسع من السنة المسيحية)) (أيل)

وفيه : ((تشرين الأول وهو الشهر العاشر من السنة المسيحية التي أولها كانون الثاني ، وتشرين الثاني هو الشهر الحادي عشر)) .

وفيه أن ((كانون الأول وكانون الآخر أوالثاني شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ، قيل : هو اسم سرياني اسم لفصل الشتاء ، وقيل : هو عربي مأخوذ من معنى الثقل لشدة برده وصعوبة الحركة فيه ، وقيل رومي)) .

وذهب صاحب (المنجد) الى أنَّ معظم الشهور سريانية ، قال عن (الكانونين) : ((كانون الأول والثاني شهران بين تشرين الثاني وشباط ، قيل : هو سرياني اسم لفصل الشتاء ، وقيل : هو عربي مأخوذ من معنى الثقل لشدة برده وصعوبة الحركة فيه)) (كنَّ) .

وذكرها عبد الله البستاني في (البستان) وقال : إن آذار ونيسان وآيار وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني من السنة المسيحية ، وشهر (آب) رومي معرب ، ولم يحدد أصل الشهور الباقية ، قال :

((الكانونان : كانون الأول ، وكانون الثاني وهما شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ، ولا شهر بينهما)) . (كنّ)

وجاء في (الموسوعة العربية الميسرة) أن (كانون) من التقويم السرياني ، وهو شبيه بالتقويم الجريجوري)) .[٧٩]

وجاء في المعجم الوسيط) أن الشهور سريانية : ((أيلول: الشهرالثاني عشر من الشهور السريانية ، يقابله شهر سبتمبر من الشهور الرومية)) (ايل) .

وفيه ((حزيران : الشهر التاسع من الشهور السريانية ، ويقابله شهر يونيه من الشهور الرومية)) (حزر) .

وفيه : ((تموز : الشهر العاشر من الشهور السريانية ، يقابله يوليه من الشهور الرومية)) (تموز) .

وفيه : ((تشرين : اسم لشهرين من شهور السنة السريانية ، تشرين الأول وهو اكتوبر ، وتشرين الآخر وهو نوفمبر ، ج : تشارين)) (تشرين) .

وفيه : ((كانون الأول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ، ولاشهر بينهما ، ويسميهما العرب : شهري قماح)) (الكانون)[٨٠] ، فالمعجم الوسيط فرق بين الشهور السريانية (العربية) والرومية في حين أن بعضهم خلط بينها .

---

[٧٩] الموسوعة العربية الميسرة ص٥٣٩ .

[٨٠] جاء في كتاب (الأنواء) لابن قتيبة : ((ويسمون شهري الشتاء الخاص شهري قماح)) ص١٠٩ .

وسمى المعجم العربي الأساسي بعض الشهور بشهور السنة الشمسية ، جاء فيه ((آب : الشهر الثامن من السنة الشمسية في بعض الأقطار العربية ، ويعرف باسم (أغسطس) في أقطار عربية آخرى)) (أرب)

وفيه : ((أيلول : الشهر التاسع في السنة الشمسية ، ويعرف كذلك باسم سبتمبر)) (أي ل و ل) .

وفيه : ((حزيران : الشهر السادس من السنة الشمسة ، يونيو)) (ح ز ي ر ا ن) .

وفيه : ((تموز : الشهر السابع من شهور السنة الشمسية ، يعرف كذلك باسم يوليو ، في الأساطير إله الخصب عند البابليين ، وكان يعتقد أنه يموت كل سنة ثم يبعث)) (ت م م و ز) .

وفيه : ((تشرين : اسم لشهرين من شهور السنة الشمسية تشرين الأول (اكتوبر) وهو الشهر العاشر ، وتشرين الثاني (نوفمبر) الشهرالحادي عشر)) (تشرين) .

وفيه : ((كانون الأول : الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية شهر (ديسمبر) .

كانون الثاني : الشهر الأول من السنة الشمسية شهر يناير)) (كانون) .

ولم تخرج المعاجم المتأخرة مثل (الرائد) و (القاموس الجديد) عما ذكره القدماء والمعاصرون ، فاسماء الشهور إما سريانية ، أو رومية ، أو شمسية ، ولعل (المعجم الوسيط) الوحيد الذي لم يخلط بين الشهور ،

فقال عن (كانون الثاني ...) إنه سرياني ، وما هو متداول (يناير) إنه ليس كذلك وإنما هو (رومي) .

(٦)

وردت أسماء هذه الشهور (كانون الثاني ، شباط ...) في الشعر العربي القديم والحديث لأنها تنسجم مع أبنية اللغة العربية وإيقاعها ، ومن أقدم ما جاء منها قول عدي بن الرقاع (-٩٥ هـ) يصف حميرا رعت مكانا ذكره :

شباطا وكانونين حتى تعذرت عليهن في نيسان باقية الشرب

قال ابن قتيبة : ((وذكر شهور الروم لأنه كان ينزل الشام فعرفها)) وقال : ((وكان ينزل الشام فأخذ هذا عن أهله)) [٨١]

وقال (الجماز) يهجو أبا السمط وكان يركب بغلة له بالبصرة :

يا أبا السمط حزيـران وتمـــوز وآ ب

كن لنا منها مجيرا لك ، في ذاك ثواب

بشُعير يُذهب الحرَّ ، ويهنينا الشراب [٨٢]

وقال الشاعر في طلوع (سهيل) :

إذا أهلُ الحجاز رأوا سهيلا وذلك في الحساب بشهر آب[٨٣]

---

[٨١] الأنواء في مواسم العرب ص٢٣ ، ١٠٧ ، وينظر ذيل ديوان عدي ص٢٤٥ .

[٨٢] كتاب البغال (رسائل الجاحظ) ج٢ ص٢٣٢ .

[٨٣] الأنواء لابن قتيبة ص٥٧ ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ج٢ ص٣٨١ .

وترددت في الشعر العباسي فقال أبونواس :

يا حبذا الصحبة في الدهر وحبذا نيسان من شهرِ

وقال

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

وقال:

طاب الزمان وأورق الأشجار ومضّى الشتاء وقد أتى آذار [٨٤]

وقال عبد الله بن المعتز :

لم يبقَ في آب غير يوم ثم الى الحول لا تراه

يا حسن آب وقد تولى وكف أيلول في قفاه

وقال :

أحرقنا أيلول في ناره فرحمة الله على آبِ

وقال :

أدام أيلول لنا وقده جرَّعنا منه الأَمَرَّينا

يريد أن يبدي لنا كوكبا نحسا بطيء السير ملعونا

وقال :

وآبَ في آب يجنيها لعاصرها لأَنَّ كفيه قد غُلَّت بحناء

وقال :

حتى إذا حرّ آب جاش مرجله بغاير من هجير الشمس مستعر

---

[٨٤] ديوان أبي نواس ص٨٢ ، ٤٥٥ ، ٦٨٨ ، المعجم الكبير ج١ ص٩ ، ٦٥٦ .

وقال :

هات كأس الصبوح في أَيلولِ   بردَ الظل في الضحى والمقيلِ

وقال :

بأبردِ من كانون في يوم شمألٍ   وأكثر قسوا من رياح شباط

وقال :

حَبَّذا آذار شهرا   فيه للنَّور انتشار [85]

وقال علي بن العباس بن الرومي في وهب بن سليمان :

هبت لوهب ريح سوء عاصف   بارى بها شهر الرياح شباطا

وقال :

ياغم آب عند سكان الغرف   يابرد كانون لعارٍ بالنجف

وقال :

نشَّرَ آذار في الثرى حللا   قد كان كانون قبل طوَّاها

وقال :

لولا فواكه أَيلول إذا اجتمعت   من كل نوع ورقَّ الجو والماءُ

وقال :

دعونا هذه لنقلّ من تموزنا اللهبا [86]

---

[85] ديوان أشعاره ج٢ ص١٥٠ ، ١٥٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٤٥٣ ، ٤٨١.

[86] ديوان ابن الرومي ج٤ ص١٤٤١ ، ١٥٩٨ ؛ ج١ ص١٢٥ ، ١١٥ ، ٥٥ ، ١٧٩ .

وقال محمد بن عبد الملك الزيات :

برد الماء وطاب الليل والتذَّ الشراب

ومضى عنك حزيران وتموز وآب [٨٧]

وقال : علي بن الجهم في أرجوزته :

وكان هذا كله في آب قبل انتصاف الشهر في الحساب [٨٨].

وقال أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي :

ألست ترى التل يُبدي لنا طرائف من صنع آذار [٨٩]

وقال أبو بكربن القوطية :

وطيب الريق عذب آب في آبِ وزار مشتملا في زي أعراب[٩٠]

وقال ابن زيدون الأندلسي :

قد قلت لما هزني فيه الربيع المتقد

نسيم أيلول سرى أم ورد نيسان ورد [٩١]

---

[٨٧] مروج الذهب ج٢ ص١٨٠ ، وينظر الآثار الباقية ص٣٣٣ ، والمعجم الكبير ج١ ص٤ .

[٨٨] ديوان علي بن الجهم ص٢٣٢ .

[٨٩] ديوان الخالديين ص٦٢ .

[٩٠] مباهج الفكر ص٣٠٥ ، نهاية الارب ج١١ ص١٤٠ .

[٩١] ديوان ابن زيدون ورسائله ص٦٠٣ .

ودخلت هذه الشهور في الشعر العربي الحديث ، قال أحمد شوقي :

زهراء عون العاشقين على الهوى

مختارة الشعراء في آذار

وقال :

مثل الحياة تحب في عهد الصبا   مثل الرياض تحب في آذار [٩٢]

وقال حافظ ابراهيم :

وأرض كستها كرام الشهور   حرائرَ من نَسجِ آذارها [٩٣]

وقال بشارة الخوري (الأخطل الصغير) في قصيدة (تشرين ١٩٥٢ م) :

تشرين مهر المعالي مانثرت على حدّ   الظبى ومثار النقع قد لفحـا

ألبسـت تشريـن منـه يـوم مولـده   ألاتراه بلـون الورد متشحـا

تشرين قـل للتشاريـن التي سلفـت   لنا عتاب ولا نرضاه إن جَرحا

وقال في قصيدة (الجابي) .

لمن ينساق هذا المال قولي ياسما قولي

أأيلول على الأبواب لا عشنا لأيلولِ [٩٤]

---

[٩٢] الشوقيات ج٢ ص٤٤ ، ١٥٦ .

[٩٣] ديوان حافظ ابراهيم ج١ ص١١٨ .

[٩٤] شعر الأخطل الصغير ص٢١٢ – ٢١٣ ، ٢٥٥ .

وقال أمين نخلة :

جمعت معاني الأنس في نجوى   أبكل ذلك جاد آذار؟ [٩٥]

وقال ابراهيم طوقان :

نيسان هان عليّ حكمك بالنوى

لما تحطمت المنى في آبِ [٩٦]

وقال نزار قباني وهو من شعراء هذا العصر الذين أكثروا من استعمال أسماء الشهور وتوظيفها في شعره ، وقد سمى إحدى قصائده (٢٢ نيسان) ، وسمى قصيدة أخرى (عودة أيلول)

وقال :

أيلول للضـــم فمدّ لي زنـــدك

هل أخبروا أمي أني هنا عنـدك

ياطيب أيلــولا يلحّن الأبـــواب

هل هذه الأحطاب كانت موا ويلا

وقال :

يأتي حزيران ويذهب

والفرزدق يغرز السكين في رئتي (جرير)

وقال في قصيدة (خطاب شخصي الى حزيران)

كن ياحزيران انفجارا

في جماجمنا القديمه

---

(٩٥) الديوان الجديد ص٨٩ .

(٩٦) ديوان ابراهيم طوقان ص١٢١ .

وقال :

يثير حزيرانُ جنوني ونقمتي فاغتال أوثاني وأبكي وأكفرُ

وقال :

ياحزيران ما الذي فعل الشعر وما ذا أعطى لنا الشعراء ؟

ياحزيران أنت أكبر منا وأب أنت ماله أبناء

ما لنا ما لنا نلوّم حزيران وفي الاثم كلنا شركاء ؟

وقال :

أدمت سياط حزيران ظهورهم فأدمنوها وباسواكف من ضَربا

وقال :

حرب حزيران انتهت

وحالنا والحمد لله على أحسن مايكون

حرب حزيران انتهت

جرائد الصباح ماتغيرت

حرب حزيران انتهت

وضاع كل شي

حرب حزيران انتهت

كأنَّ شيئا لم يكن

وقال :

باقون في آذارها

باقون في نيسانها

وسمى إحدى قصائده ((دعوة اصطياف للخامس من حزيران))

وقال :

يا ست الدنيا يابيروت

قومي من تحت الردم كزهرةِ لوز في نيسان [٩٧]

وقال محمد مهدي الجواهري في قصيدة (يا دجلة الخير):

يادجلة الخير خلي الموج مرتفعا   طيفا يمر وإن بعض الأحايين

وحمليه بحيث الثلج يغمرني   دفء (الكوانين) أوعطر التشارين[٩٨]

وقال أحد الشعراء في وثبة شعب (العراق) سنة ١٩٤٨ م على معاهدة (بورت سموث) :

يوم الثلاثاء من كانون الثاني   يوم رهيب جرى فيه الدم الفاني

وهو اليوم الذي سقط فيه عدد من الشهداء في معركة الجسر الخالدة .

وقال شفيق الكمالي :

وخذ بالعذر من نيسان أن تتوسد الغضبا

عرفنا في ذرى نيسان أن نتجاوز الشهبا

يعلمنا ذرى نيسان أن لا نسأل السحبـا

وقال كمال الحديثي :

وعدت نيسان ثرا كل ذي لغب   فاختال بين ربانا سيلك العرم

---

[٩٧] الأعمال الشعرية الكاملة – نزار قباني ص١٢١ ، ١٢٥ ، ٧٠٨ ، ٧٢٢، ٨٤٠ .

[٩٨] ديوان الجواهري ج٥ ص٩١ .

يا صبح نيسان حثّ الخطو أن بنا   شوقا يلح وبوحا ليس ينكتم

وقال :

يا فيض نيسان ياثر الأطاييب   ياطهر لحن سخيّ البوح مشبوب

وقال خليل الخوري :

يختال نيسان في المغاني   يوزع العطر في الحنايا

نيسان يامبدع الحكايا   عن فارس طوّع الرزايا

وقال عبد الرزاق عبد الواحد :

ثم وافى تموز فجرا فرشت   عطش الأرض غيمة سمحاء

وقال لؤي حقي :

نيسان يا حلم الزمان وسحره   يأيها الخصب الذي ما أجدبا

وقالت زهور دكسن :

نضد العقد كفك نيسان من درر فانتظم[٩٩]

وجاء في ديوان (رفيف المنى) :

ماعاد تحتمل الشتاءَ سنابل الفجر الحزين

فمتى حزيران الحزين يميسُ فيه الياسمين

---

[٩٩] ينظر (من دفتر نيسان) ص٩ ، ١٠، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٩٣ ، ١٦٨ ، ١٨٣ .

وفيه :

يا آخر كانون الأول

عيسى أقبل

يحمل في جنبيه الماضي

والحاضر والمستقبل

وفيه :

كانون الثاني ما أقساه

كنتم تحت جناحي حيثُ الدفء

والزاد وفير

وفيه:

تشرين أدمى معصمي والأسى　　　يقتات كالتنين من مُهجتي

وفيه :

لا عدت كانون لا عادت ليا ليكا　　　نكأت جرحا دفينا في عواديكا

ما بعتُ كانون قومي فالعراق أبي　　　وأمتي أرضعتني مايياريكا

لولاك كانون ما كانت تقيدني　　　عصابة أغرقت بالاثم واديكا [١٠٠]

استعمل شعراء المهجر الجنوبي هذه الشهور ، وهم بعيدون عن وطنهم الكبير ، وكان رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) يذكر في طبعات ديوانه

---

[١٠٠] رفيف المنى ص٨٥، ١٤٤ ، ١٧٣ ، ٢٩٩ ، ٣٨٢ ، وكانون هو الشهر الذي اعتقلت فيه سنة ١٩٥٦م ، وهو تأريخ العدوان على العراق سنة ١٩٩١م .

وهو في (البرازيل) التأريخ القمري والتأريخ الشمسي ، ويؤرخ قصائده بهما ؛ ووظف الشمسي في شعره ، قال :

بهرت تلاميذ المدارس أوجه   سجد الربيع لهنَّ في آذار

وله قصيدة بعنوان (السابع من أيلول)[١٠١]

وكان جورج صيدح يؤرخ قصائده بأسماء الشهور الشمسية في دواوينه : (نبضات) و(النوافل) و (حكايات مغترب) ونحا نحوه توفيق بربر في (ديوان الرافدين) و (ديوان الشلال) وفعل مثله جورج الكعدي في (الكعديات) و (الديوان الجديد) .

هذا ما كان من أمر الشهور قديما وحديثا ، وقد ظهر أن القدماء والمعاصرين لم يتفقوا على أصولها ، وكانوا يترددون في نسبة شهور السنة الشمسية (كانون الثاني ، شباط ...) فهي سريانية مرة ورومية مرة أخرى ، والفرق كبير بينهما ، فالأولى شرقية ، والثانية غربية وهي التي تستعمل الآن في انكلترة ومحمياتها ، وفي مصر ومنطقة الخليج العربي .

وفي أحد مواقع الشبكة العالمية [١٠٢]كلام على الشهور ، وسُمي بعضها بالسريانية ، ولكن التعليق عليها أو وصفها يظهر أنها ليست كذلك . جاء فيه أن تسمية الشهور السريانية تعود الى عام ٣١٢ م ، وتنسب الى السريان الذين عاشوا في بعض (مناطق الشرق الأوسط ؟) منذ عهد قديم ، وقد أرجع بعض الباحثين اسم (كانون) الى الثبات والاستقرار ، و(شباط)

---

[١٠١] ديوان الشاعر القروي ج١ ص٣٠٥ ، ٣٩٠ .

[١٠٢] قدم لي القائمة الاستاذ وليد خالد احمد حسن القيسي (رئيس أبحاث أقدم في المجمع العلمي ببغداد) وذلك يوم الأحد ١٠ آب ٢٠١٤م ١٤ شوال ١٤٣٥هـ .

الى الضرب والجلد ، و (آذار) من الاكدية ، و(نيسان) من البابلية ، و(أيار) من البابلية ، و(حزيران) من السريانية ، و(تموز)من البابلية عن لفظ سومري يعني ابن الحياة وقصد به إله عبده السومريون والأكديون وكان هذا الشهر مكرساً له ، وهو يموت ويعود ، وآب من البابلية ومثله (أيلول) ومعناه في العربية الصراخ والعويل ، و(تشرين) من السريانية .

وتردد في تسمياتها حبيب تومي ، فاسم شهر (كانون) من الآرامية ، ومثله (شباط) وتسمية (أيار) مشتقة من الأشهر البابلية ، و (حزيران) لفظ سرياني ، و(تموز) اسم آرامي ، و(آب) من السنة الشمسية البابلية ، وأصل تسمية (أيلول بابلية) ، وأساس تسمية (تشرين) بابلية [١٠٣]

وكان ابن وحشية قد قال إن الشهور سميت باسماء رجال عظام أو أفاضل علماء ، مثل (تموز) و(تشرين الأول) و (تشرين الثاني) و (كانون الأول) و (شباط) وقال إن (تموز) ليس من (الكسدانيين) ولا (الكنعانيين) ولا (العبرانيين) ولا (الجرامقة) وإنما هم من الحساسن الأول [١٠٤] أي أن أسماء هذه الشهور قديمة جداً .

ويفهم مما ألمح اليه الأب أنستاس ماري الكرملي وعبد الله العلايلي والمعجم الكبير ، ما أشار اليه (ابن وحشية) قبل عدة قرون .

---

[١٠٣] تنظر تسميات الشهور في (معجم الألفاظ المحكية المشتركة) .

[١٠٤] ينظر الفلاحة النبطية ج١ ص٢٩٧ ، وقد مرَّ في الحاشية رقم (٥٦) وصبح الأعشى ج٢ ص٣٩١ ، والحاشية رقم (٣٨) .

(٧)

وبعـــد :

أحق أن أصل الشهور الشمسية (الميلادية) سريانية أو رومية أو عبرانية ؟ لقد دلت البحوث والتنقيبات الآثارية على أنها من التراث القديم تراث (عرب العراق) المتمثل بالسومري والأكدي والبابلي ، ثم انتقل الى أطراف أخرى من الوطن العربي إذ كانت الهجرة اليها معروفة ، وما هجرة النبي (ابراهيم) وابن أخيه (لوط) – عليهما السلام – من (أور) في (العراق) إلا دليل ساطع على الصلات التي تربط بلاد العرب وموطنهم برباط اللغة ووحدة الثقافة والمشاعر .

ليس هذا غريبا فقد كانت المنطقة عربية ، ووردت كلمة (عرب في النقوش القديمة في الألف الثالثة قبل الميلاد ، والاكديون بفرعيهم البابلي والآشوري عاربة صرحاء [١٠٥]

فالأكديون عرب ، ويرى الدكتور (علي فهمي خشيم) – رحمه الله – أن ((عربيتنا المضرية الحجازية شقيقة الأكدية ، بل إن الأخيرة ليست سوى لهجة هاجر أهلها الى بلاد الرافدين من شبه الجزيرة كما هو معروف ، فهم أصلا عرب)) [١٠٦]

فأسماء شهور السنة الشمسية (الميلادية) عربية في ضوء المستجدات وما أثبتته التنقيبات الآثارية ، قال الاستاذ (طه باقر) . رحمه الله – : ((يرجع أصل معظم الأشهر المتداولة الآن في (العراق) وبعض الأقطار

---

[١٠٥] ينظر حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم ص٢٩ ، ٣٠ ، ١٤٥ .

[١٠٦] اللاتينية العربية ص١٤ ، وينظر فقه لغات العاربة المقارن ص٧٤ .

العربية المجاورة والتي تسمى خطأ الأشهر الرومية أو السريانية أو العبرانية الى تراث العراق القديم ، وقد جاءت الينا عن طريق السريان أو العبرانيين وعلى هذا الوجه تؤصلها المعاجم العربية . ومن هذه الأشهر شهر آب الذي يُسمى في البابلية بلفظ مطابق للعربية تقريبا هو (آبو) - AbU- وكان يقع في التقويم البابلي مابين تموز وآب ، وهو الشهر الخامس في السنة البابلية ...

ومن هذه الأشهر التي نذكرها تحت الحرف (آ) الشهر المسمى (آذار) وهو الشهر الثالث في التقويم الشمسي الآن ، ولكن كان الشهر الثاني عشر في التقويم البابلي ما بين شباط وآذار الآن)) [١٠٧]

وأورد أسماء الشهور العراقية القديمة كما عمَّ استعمالها في التقويم البابلي من بعد توحيدها وجعلها مطردة الاستعمال منذ العصر البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق . م) وهي ابتداء من رأس السنة البابلية في شهر (نيسان) ١- نيسانو ٢- أيارو ٣- سيانو وسيون ٤- تموزو أو دوازو ٥- آبو ٦- اولولو ٧- تشريتو ٨- أرخ سمنو ٩- كيسليمو ١٠- طبيتو ١١- شباطو ١٢- أدَّارو ١٣- أرخو مرخوسا أدّارو ، أي (آذار الثاني) أو التالي ، وهو الشهر الثالث عشر الكبيسي ، ويسمى (أدّار أركو) أيضا .

واهتم الاستاذ حبيب تومي في (معجم الألفاظ المحكية المشتركة) بآراء المرحوم طه باقرالتي هي حقيقة ما عثر عليه في التنقيبات الآثارية ، ففي هذا المعجم من كلام طه :

---

[١٠٧] من تراثنا اللغوي القديم ص٣١ .

١- آب : ((أما الدكتور طه باقر فيرى أن ذلك بعيد عن الصواب فهي من الأكدية – البابلية والآشورية – حيث أن كلمة (أبوبو) التي تعني الماء الغزير والطوفان وتضاهيها الكلمة العربية عُباب)) (ص ١١) .

٢- أذار: ((وهو الشهر الثالث في التقويم الشمسي المعمول به حاليا ، وكان ترتيبه الشهر الثاني عشر في التقويم البابلي ، ويقول (طه باقر) إنهم كانوا يضيفون شهرا قمريا كبيسا ثالث عشر الى أشهر سنتهم القمرية)) (ص ١٩)

٣- تشرين : ((لكن طه باقر يقول كان الشهر السابع في التقويم البابلي)) (ص٩٨) .

ويبدو أن الحقيقة ما ذهب اليه الآثاريون ، ومنهم (طه باقر) استنادا الى التنقيبات ، في حين أن بعض القدماء والمعاصرين ذهبوا الى أنها سريانية ، وكان بعضهم يردد كلام السابقين من غير معرفة باللغات القديمة التي نبعت منها أسماء شهور السنة الشمسية ، مثل الأكدية والبابلية والآشورية التي عرفها المعاصرون وأخذوا بما جاء فيها .

وأكد ما ذكره (طه باقر) الذين جاءوا بعده من أساتذة الأثار ، ومنهم الدكتور (عامر سليمان) الذي قال إن اسماء الشهور المتداولة في (العراق) وبعض الأقطار العربية التي ذكرت المعاجم اللغوية العربية أنها أسماء رومية أو سريانية أو عبرية ، هي من الأسماء العراقية القديمة التي استخدمت منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وهي :

١- نيسان – نيسانُ

٢- أيار – أيارُ

٣- تموز – تموزُ

٤- آب – آبُ

٥- أيلول – أُلُلُ

٦- تشرين – تِشرت

٧- شباط – شباط

٨- آذار – أذارُ [١٠٨]

وذكرها الدكتور (محمد بهجة قبيسي) باسم (الشهور الأكدية) [١٠٩] وهي :

١- كانون الثاني – طيتوم – طيبةُ

٢- شباط – شباطوم

٣- آذار – آذاروم

٤- نيسان – نيسانوم

٥- أيار – أياروم

٦- حزيران – سيمانوم

٧- تموز – دوموزي

٨- آب – آبوم

٩- أيلول – أُولوم

١٠- تشرين الأول – تا إشريتوم

١١- تشرين الثاني – أرخ سمنوم

١٢- كانون الأول – كيس ليموم

---

(١٠٨) اللغة الأكدية ص٥٩ .

(١٠٩) ملامح في فقه اللهجات العربية ص٣٣١ .

وذهب الاستاذ (عبد الحق فاضل) – رحمه الله – الى أبعد من هذا فأرجع أسماء بعض الشهور الى أصولها العربية قال :

((إذا وجدت كلمة (آب) في معجم عربي فلن يخطر لك أن معناها الماء لأنها بهذا المعنى من اختصاص المعجم الفارسي ، أما في المعجم العربي فمعناها (الأُقنوم الأول بالتعبير النصراني أو الشهر الخامس باللسان البابلي الذي يقابل عندنا الشهر الثامن بالتقويم الميلادي)) ثم قال : ((وأما (آب) بمعنى الشهر المعروف فمن معنى الماء)).[١١٠]

وفي اللغة العربية كلمة (أباب) – بالفتح وهي ((الماء والسراب عن ابن الأعرابي ، وأنشد :

قوّمن ساجا مستخف الحمل

تشق أعراف الأباب الحفل[١١١]

فالأَباب : الماء والسراب ويرى (أدي شير) أن الكلمة فارسية [١١٢] ورده طه باقر فقال : ((هذا رأي بعيد عن الصواب ، والصحيح في أصل هذه الكلمة أنها من الكلمات العربية القديمة في (العراق) أي الأكدية (البابلية والآشورية) حيث كلمة (أبوبو التي تعني الماء الغزير والطوفان أيضا

---

[١١٠] مغامرات لغوية ص٢٠٧ ، ٢١٢ .

[١١١] ينظر لسان العرب وتاج العروس (أبب) .

[١١٢] معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٦ ، وينظر معجم الألفاظ المحكية المشتركة ص١١ ، على أساس أن معنى كلمة (آب) بالفارسية الماء (ينظر المعجم الفارسي العربي الموجز ص١) .

وتضاهيها الكلمة العربية غُباب))[١١٣] ، وهو ماجاء في (لسان العرب) إذ أن (أُباب الماء) : غُبابه [١١٤]

وبذلك حسمت التنقيبات والدراسات الآثارية عروبة أسماء الشهور الشمسية .

(٨)

عَرَفَ العرب والمسلمون التواريخ والشهور الرومية والعبرية والقبطية والفارسية ، ولكنهم استعملوا نوعين منها هما :

الأول : العربي الاسلامي الذي يبدأ بهجرة النبي (محمد) – صلى الله عليه وسلم – الى (المدينة المنورة) وهو : محرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثاني جمادى الأولى ، جمادى الآخرة ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة .

الثاني : الشمسي الذي سُمي السرياني وما هو بالسرياني : كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، أيلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول .

والعرب والمسلمون وهم يعيشون اليوم في القرن الحادي والعشرين للميلاد والقرن الخامس عشر للهجرة لا بدَّ من أن يوحدوا شهورهم بعد فرقة

---

[١١٣] من تراثنا اللغوي القديم ص٣٢ .

[١١٤] لسان العرب (أبب) .

استمرت طويلا ، والتقويمان ضروريان ، وينبغي الأخذُ بهما في حساب الزمن ، فالأول الأخذ به واجب لأنه :

١- يرتبط بالتراث العربي العريق ، وقد كان العرب قبل الاسلام يستعملونه ، ولم يطرأ عليه إلا تغيير طفيف مثل تحريم النسيء ، ووضع اسم (المحرم) على الشهر الأول من السنة الهجرية بعد أن كان يسمى (صفر الأول) .

٢- يرتبط ارتباطا وثيقا بالتأريخ الاسلامي ، إذ أرخ المؤلفون به منذ عهد مبكر ، ووضعت عليه القرون الهجرية ، وحددت سنواتها .

٣- يتصل بالعبادات والاعياد الاسلامية كصوم رمضان ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى والحج والزكاة ومولد النبي العربي (محمد) – صلى الله عليه وسلم – وتحديد رأس السنة الهجرية .

٤- يوحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ويربط بين شعوب (العالم الإسلامي) فيصدرون جميعا عن منبع واحد في كتابة تأريخهم وتسمية شهورهم ، وتحديد أعيادهم ، واحتفالاتهم الدينية .

٥- يبرز أصالة الفكرالاسلامي ، ويجعل المسلمين في كل مكان متميزين ، يجمعهم تقويم مشترك ، يوحد مشاعرهم وأفكارهم .

والثاني : الأخذ به ضروري بعد أن تمزقت وحدة العرب ، وأخذوا يستعملون ثلاثة تواريخ ، الأول الانكليزي المحرف كما في مصر ومنطقة الخليج العربي ، والثاني الفرنسي كما في المغرب العربي ، والثالث العربي كما في العراق ، وسورية ، والاردن ، وفلسطين ، ولبنان .

إن الأخذ به مهم لأنه يوحد العرب بعد أن سقطوا بين ثلاثة تقاويم في العصر الحديث ، وذلك لأنه :

١- من التراث العربي القديم إذا استعمل في عهود الأكديين والسومريين والبابليين لأنه صدر عنهم ، وظهر بين ظهرانيهم .

٢- يتصل بالتراث العربي الاسلامي ، إذ استعمل منذ عهد مبكر وفي الأقل في القرن الأول للهجرة ،إذ جاء في شعر (عدي بن الرقاع) المتوفى (سنة ٩٥ للهجرة) أي أنه عُرف في بيئة الشام ، ثم بيئة العراق والمغرب العربي والأندلس .

٣- يدل دلالة دقيقة على الوقت إذ ليس فيه اختلاف بحسب الأزمنة وتعاقب الفصول ، ولذلك استعمله العرب والمسلمون في تحديد الأزمنة ورصد الكواكب والنجوم وتحديد طلوعها وسقوطها ، وكل مايتصل بالأنواء .

٤- يرتبط بكثير من شؤون الحياة ، وكان العرب والمسلمون يعتمدون عليه في مواسم الغرس والزرع والحصاد ، ولاسيما التقويم الشرقي الذي يبدأ كانونه الثاني في العشرين من كانون الثاني الذي يسمى الغربي .

٥- يربط العرب والمسلمين ، ويجعل الاتصال بينهم يسيرا عندما يستعملون أسماءً واحدة للدلالة على الشهور .

٦- يوحد الأقطارالعربية ، ويلغي ثلاثية التقويم وهي

أ- في العراق وسورية والأردن وفلسطين ولبنان : كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، أيلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول .

ب- في مصر ومنطقة الخليج العربي :

يناير ، فبراير ، مارس ، ابريل ، مايو ، يونيه ، يوليو ، أغسطس ، أيلول ، اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ، وهي تحريف التسميات الانكليزية ، وتسميات الشهور القديمة التي وردت في التراث العربي الاسلامي وهي عند الأعاجم معرفة الشهور الشمسية وأسمائها .(١١٥)

تشرين الأول (اكتوبر) وهو أول سنة الروم ، تشرين الثاني (نومبر) ، كانون الأول (دجنبر) ، كانون الآخر (يناريه) ، شباط (فبراريه) ، آذار (مارسه) ، نيسان (أبريل) أيار (مايه) حزيران (يونيه) ، تموز (يوليه) آب (أوسه) ، وأيلول (شتنبر)

ج- في المغرب العربي :

جانفي ، فيفري ، مارس ، افريل ، ماي ، جوان ، جوليه ، أوت ، سبتمبر، اكتوبر، نوفمبر ، ديسمبر .

إن من أسباب توحيد العرب الأخذ بما يؤدي الى توحيدهم إداريا وثقافيا ومشاعر ، وكان العرب والمسلمون قد أخذوا باسماء الشهور العربية (كانون الثاني ، شباط ...) في حياتهم العامة ، واستعملوها في كتبهم ولا سيما كتب الأنواء والفلاحة ، ووظفوها في شعرهم منذ القرن الأول للهجرة .

أما الأسماء الرومية (ينير ، فبرير ...) فلم تشع هذا الشيوع وقد اختلفت في البيئات العربية والاسلامية قديما وحديثا ، فشهر (أيار) : (مايوس ، مايه ، ماي ، مايو) وشهر (آب) : أغسطوس ، أغسطس ، أغشت ، أوت ، ومثل هذا الاختلاف يدعو الى لاستغناء عن أسماء الشهور

---

(١١٥) ينظر الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ص١٣٧ وما بعدها

الرومية أو الغربية ، والعودة الى ما اتفق عليه العرب والمسلمون ، وذكرته أشعارهم وكتبهم العلمية والأدبية ، ولا سيما كتب الفلاحة والأنواء .

وصفوة القول :

إن توحيد التقويم وأسماء الشهور في الوطن العربي ، والعالم الاسلامي خطوة على طريق الوحدة ومعلم من معالم تغيير الواقع الذي رسمته قوى معروفة ، وكان العراق وسورية والاردن وفلسطين ولبنان قد أخذوا باسماء الشهور التي نبعت من التراث العربي القديم ، وبذلك تسود وحدة الفكر والهدف عند أخذ العرب والمسلمين كلهم بها ، ويسهل عليهم التعامل فيما بينهم من غير عائق يصرفهم الى تحويل أسماء الشهور كما يحولون العملة حين ينتقلون من بلد الى آخر وهم في غمرة من عدم الثقة بالصياريف . فالشهور (كانون الثاني ، شباط ، آذار ...) هي العربية الأصيلة ، والأخذ بها في الوطن العربي كله من سبل الوحدة المنشودة إن شاء الله .

المصـــادر :

١- الآثار الباقية من القرون الخالية – أبو الريحان محمد بن احمد البيروني – القاهرة ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م .

٢ – الأزمنة والأمكنة – أبو علي المرزوقي الأصفهاني – حيدر اباد الدكن ١٣٣٢هـ .

٣ – الأزمنة والأنواء – أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الأجدابي – تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ١٩٦٤م .

٤ – الأعمال الشعرية الكاملة – نزار قباني – الطبعة (١٤) بيروت – باريس .

٥ – اقرأ الفارسية وتحدث بها – صادق نشأة – القاهرة ١٩٥٨م .

٦ – الأنواء في مواسم العرب – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – بغداد ١٩٨٨ م .

٧ –الأيام والليالي والشهور – أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء – تحقيق ابراهيم الأبياري – القاهرة ١٩٥٦ م .

٨ – البُخَلاء – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق الدكتور طه الحاجري – القاهرة ١٩٦٣م .

٩- البستان – عبد الله البستاني – بيروت ١٩٢٧ م .

١٠ – البغال – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (رسائل الجاحظ ج ٢) تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

١١- بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب – محمود شكري الآلوسي بعناية محمد بهجة الأثري – الطبعة الثالثة – القاهرة .

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي – دار الكتب العلمية – بيروت .

١٣ – الجمان في تشبيهات القرآن – أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البغدادي – تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي – بغداد ـ ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨ م .

١٤ – حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم . الدكتورمحمد بهجة قبيسي – الطبعة الثانية – دمشق ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

١٥ – الحيوان – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٨ م .

١٦- ديوان ابراهيم طوقان – بيروت ١٩٥٥ م .

١٧ – ديوان ابن الرومي – أبو الحسن علي بن العباس بن جريج – تحقيق الدكتور حسين نصار – القاهرة ١٩٧٣ م وما بعدها .

١٨ – ديوان ابن زيدون ورسائله – تحقيق علي عبد العظيم – القاهرة ١٩٥٧ م .

١٩ – ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – القاهرة ١٩٦٤ م ومابعدها .

٢٠ – ديوان أبي نواس – الحسن بن هانىء – تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي – بيروت .

٢١- ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي – تحقيق الدكتور محمد بديع شريف – القاهرة ١٩٧٧م وما بعدها .

٢٢- الديوان الجديد – أمين نخلة – بيروت ١٩٦٢ م .

٢٣- ديوان الجواهري – محمد مهدي الجواهري – بغداد ١٩٧٥ م .
٢٤- ديوان حافظ ابراهيم – صححه وشرحه ورتبه احمد الزين وابراهيم الأبياري – الطبعة السابعة – القاهرة ١٩٥٥م .
٢٥- ديوان الخالديين – جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان- دمشق ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
٢٦- ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي – تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن – بغداد ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
٢٧- ديوان علي بن الجهم – تحقيق خليل مردم بك – الطبعة الثانية – بيروت .
٢٨- ديوان القروي – رشيد سليم الخوري – بيروت ١٩٧٨م .
٢٩- ديوان محرم – أحمد محرم – الكويت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
٣٠- رحلة ابن جبير – محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي – تحقيق الدكتور حسين نصار – القاهرة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥ م .
٣١- رفيف المنى – احمد مطلوب – مطبعة جامعة ديالى – بعقوبة (العراق) ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م .
٣٢- سيرة ابن هشام – تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي – الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م .
٣٣- شعر الأخطل الصغير – بشارة الخوري – بيروت ١٩٦١ م .
٣٤- الشوقيات – احمد شوقي – القاهرة .
٣٥- صبح الأعشى في صناعة الانشا – أبو العباس احمد بن علي القلقشندي – دار الكتب – القاهرة .

٣٦- فقه لغات العاربة المقارن – مسائل وآراء – الدكتور خالد اسماعيل – أربد – الاردن ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .
٣٧- الفلاحة الأندلسية . أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلي . تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ، والدكتور سمير الدروبي والدكتور علي ارشيد محاسنة – عمان ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م .
٣٨- الفلاحة النبطية – الترجمة المنحولة الى ابن وحشية (أبوبكر احمد بن علي بن قيس الكسداني – تحقيق توفيق فهد – دمشق ١٩٩٣ م وما بعدها .
٣٩- القاموس المحيط – محمد بن يعقوب الفيروز ابادي
٤٠- كتاب الأنواء – (كتاب غريب في تفصيل الأزمان ومصالح الزمان – أبو الحسن عريب بن سعده. ط – دوزي – ليدن – ١٩٦١ م .
٤١- كتاب الصلة – أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال – القاهرة ٢٠٠٨م .
٤٢- اللاتينية العربية – دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين (مقدمة ومعجم) – الدكتور علي فهمي خشيم – القاهرة ٢٠٠٢ م
٤٣- لسان العرب – ابن منظور – محمد بن مكرم .
٤٤- اللغة الأكدية – البابلية الآشورية – تأريخها وتدوينها وقواعدها – الدكتور عامر سليمان – الموصل ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .
٤٥- مباهج الفكر ومناهج العبر (القسم النباتي) محمد بن ابراهيم بن يحيى جمال الدين الكتبي المعروف بالوطواط – تحقيق الدكتور ناصر حسين احمد بغداد ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م .
٤٦- محيط المحيط – المعلم بطرس البستاني – بيروت ١٩٧٧ م

٤٧- المخصص - أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده القاهرة .
٤٨- المرجع في قواعد اللغة الفارسية - الدكتور احمد كمال الدين حلمي - الكويت ١٩٧٥م .
٤٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - بيروت ١٩٦٥ م .
٥٠- المزهر في علوم اللغة وانواعها - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد احمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي البجاوي ط ٣ القاهرة .
٥١- المساعد - الأب أنستاس ماري الكرملي - حققه وعلق عليه كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي - بغداد (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .
٥٢- المعجم - عبد الله العلايلي - بيروت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .
٥٣- معجم الألفاظ الفارسية المعربة - السيد أدي شير - بيروت ١٩٨٠ م .
٥٤- معجم الألفاظ المحكية المشتركة - حبيب يوسف صادق تومي - اربيل (العراق) ٢٠١١ م .
٥٥- المعجم العربي الأساسي - اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
٥٦- المعجم الفارسي العربي الموجز - الدكتور محمد التونجي - بيروت ١٩٩٧ م .
٥٧- المعجم الكبير - مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٧٠ م .
٥٨- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - القاهرة .

٥٩- مغامرات لغوية - عبد الحق فاضل - بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .
٦٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - الدكتور جواد علي - بيروت ١٩٧١ م .
٦١- المقنع في الفلاحة - احمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي - تحقيق صلاح جرار وجاسر ابو صفية - عمان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٦٢- ملامح من فقه اللهجات العربية من الأكادية والكنعانية حتى السبئية والعدنانية - الدكتور محمد بهجة قبيسي - الطبقة الثانية - دمشق ٢٠٠٠م .
٦٣- من تراثنا اللغوي القديم ما يُسمى في العربية بالدخيل - طه باقر - بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
٦٤- من دفتر نيسان - اعداد منذر الجبوري - بغداد ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .
٦٥- الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة ١٩٦٥ م .
٦٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - احمد بن محمد المقَّري التلمساني - تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م .
٦٧- نهاية الارب في فنون الأدب - شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري - دار الكتب - القاهرة .

الرعاية الصحية والبدنية لكبار السن
في التراث الطبي العربي والإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد
طبيب أطفال _ الموصل _ العراق

الدكتور عامر عزيز جواد
فسيولوجيا التدريب الرياضي
معهد إعداد المعلمين _ الانبار _ العراق

الملخص :

تعد فئة كبار السن من الشرائح في المجتمع التي تحتاج إلى اهتمام عظيم ورعاية كبيرة ، لاعتبارات إنسانية ودينية ، وتعد المرحلة العمرية المتقدمة والأخيرة من حياة الإنسان ، التي يمر فيها الشخص المسن بسلسلة تحولات جسمية ونفسية تحدث بسبب مرور الزمن ، وتكون نتائجها عدة تغيرات في التركيب العضوي والوظيفي للجسم .

ونظرا لقلة البحوث التي تناولت إسهامات الأطباء العرب والمسلمين في رعاية كبار السن ، ارتأينا القيام بهذا البحث ، علما بأن الباحثين لم يجدا في كتب الأطباء العرب والمسلمين فصولا مستقلة عن تدبير كبار السن ورعايتهم ، وإنما فقرات وردت ضمن مواضيع مختلفة تم جمعها وتبويبها لإعطاء صورة متكاملة لأهداف البحث .

أهداف البحث :

١/ الكشف عما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن رعاية كبار السن والشيوخ .

٢/ الكشف عن إسهامات الأطباء العرب والمسلمين في رعاية كبار السن وتدبيرهم ، وتشمل وقايتهم من الأمراض ومعالجتهم والعناية بهم (بدنيا ونفسيا واجتماعيا) .

محاور البحث :

المحور الأول / رعاية كبار السن في القرآن الكريم وألسنه النبوية المطهرة

المحور الثاني/ الأمراض التي تصيب كبار السن وعلاجها

١/ مرض الساد (الماء الأبيض النازل في العين)

٢/ الإصابة بالإمساك

٣/ حصاة الكلى والمجاري البولية

٤/ أمراض المفاصل

أ / أوجاع المفاصل

ب/ مرض النقرس

ج/ أوجاع الظهر

د/ انزلاق الفقرات

هـ/ داء عرق النَّسا

٥/ مرض داء السكري

٦/ كسور العظام عند كبار السن

المحور الثالث / الغذاء (فوائده ومضاره) لكبار السن

المحور الرابع / الرعاية البدنية والنفسية لكبار السن

أولا / تدبير كبار السن

ثانيا / الرعاية البدنية لكبار السن

ثالثا / الرعاية النفسية والاجتماعية لكبار السن

رابعا / دور رعاية كبار السن

استنتاجات البحث :

١/ أثبت البحث أن لكبار السن في القرآن الكريم والسنة النبوية مكانة متميزة ، إذ احتوى البحث العديد من الآيات والأحاديث التي جاءت في إكرامهم وتعظيم مكانتهم وأوجبت على الأبناء والأقارب رعايتهم وإجلالهم .

٢/ تبين من استعراض ماذكره الأطباء العرب المسلمون عن كبار السن أنهم كانوا روادا في ذلك ، وجاء في تناولهم الموضوع فيه الكثير من الموضوعية والصواب ، وأنهم كانوا دقيقين في معرفتهم أمراض الشيخوخة ومعالجتها .

٣/ أولى الأطباء العرب والمسلمون الرعاية البدنية والنفسية للكهول والشيوخ عناية خاصة باعتبارهم ضعاف الأبدان ، سريعي الإصابة بالأمراض كأبدان الأطفال والناقهين . .

المقدمة وأهمية البحث :

تعد فئة كبار السن من الشرائح في المجتمع التي تحتاج إلى اهتمام ورعاية كبيرة ، لاعتبارات إنسانية ودينية ، وتعد المرحلة العمرية المتقدمة والأخيرة من حياة الإنسان ، التي يمر فيها الشخص المسن بسلسلة تحولات جسمية ونفسية تحدث بسبب مرور الزمن ، وتكون نتائجها عدة تغيرات في التركيب العضوي والوظيفي للجسم . ولو دققنا في مراحل حياة الإنسان لاتضح لنا أن مرحلة الرشد ومرحلة كبر السن (الشيخوخة) تمثل ثلاثة أرباع عمر الفرد . ونجد أن فترة الطفولة والمراهقة القصيرة نالت اهتماما خاصا ودرست دراسة دقيقة من المربين والأطباء منذ وقت مبكر ، في حين لم تحظ مرحلة كبر السن (الشيخوخة) بنصيب وافر من الاهتمام أو بما تستحقه من عناية في المجالات التربوية والطبية حتى عهد قريب . إذ أنه في السنوات الأخيرة وبعد حدوث التقدم الهائل في عالم الطب، زاد الاهتمام بكبار السن، وكثرت الدراسات عن مشاكل الشيخوخة وما يتعلق بالصحة الجسمية والعقلية في مرحلة النضج وتقدم السن .

وقبل الدخول في البحث هناك حقيقتان لا بد من ذكرهما ، الأولى : أن تراث أية أمة هو بذرة بقائها ودعامة وجودها الحضاري ، ودراسته تعني تعرفا على الذات واستشفافا للمستقبل ، وإن أية أمة لن تستطيع أن تسير قدما إلى الأمام بخطى راسخة شجاعة إلا إذا وعت جذور تراثها وربطت خيوط حاضرها ومستقبلها بما ماثلها وشابهها في صفحات ماضيها سواء القريب أو البعيد . الثانية : بان العلوم على اختلافها ليست من صنع أمة واحدة ولا شعب معين ، وإن الازدهار الذي نجده في مختلف الميادين إنما هو

محصلة حضارات متعاقبة على مرّ العصور . وإن صحة هذه الحقائق في نظرنا تتجلى بشكل واضح وملموس في دراسة علم الطب. وذلك إن التقدم الهائل الذي نجده فيه اليوم لم يكن من نتاج الحضارة المعاصرة فحسب ، وإنما كان حصيلة خبرات وتجارب أجيال وأجيال من قوافل الأطباء على مر العصور ، والدور الريادي للأطباء العرب والمسلمين في هذه المسيرة التاريخية أثبتته الدراسات المنصفة العديدة [1].

وينطلق منهج رعاية المسنين في الإسلام من منطلق إنساني بحت ، بعيدا عن التميز بين فئات المسنين على أساس الدين أو الجنس أو اللون . فالإسلام لا يقر قواعد الرعاية للمسلمين من منطلق عرقي . ونظم الإسلام حقوق المسنين وأمر بحمايتها ، وطالب كل مسلم برعايتها ، وشرع لهم الأحكام التي تتناسب مع أعمارهم وطاقاتهم .

وبما أن التراث العربي العلمي والطبي منه خاصةً ، جدير بالعناية والرعاية والسعي الحثيث لكشفه وتحقيقه ونشره ، تأكيدا لمكانته في تأريخ البشرية ، وإظهار المستوى الحضاري لامتنا في ميدان الفكر والعلم ، ولقلة البحوث التي تناولت إسهامات الأطباء العرب والمسلمين في رعاية كبار السن ، ارتأينا القيام بهذا البحث ، علما بأن الباحثين لم يجدا في كتب الأطباء العرب والمسلمين فصولا مستقلة عن تدبير كبار السن ورعايتهم ، وإنما فقرات وردت ضمن مواضيع مختلفة تم جمعها وتبويبها لإعطاء صورة متكاملة لأهداف البحث .

---

[1] محمود الحاج قاسم ؛ الطب عند العرب تأريخ ومساهمات ، ط١ (جدة ، دار السعودية للنشر ، ١٩٨٧) ص٧ -٨ .

أهداف البحث :

١/ الكشف عما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن رعاية كبار السن والشيوخ .

٢/ الكشف عن إسهامات الأطباء العرب والمسلمين في رعاية كبار السن وتدبيرهم ، وتشمل وقايتهم من الأمراض ومعالجتهم والعناية بهم (بدنيا ونفسيا واجتماعيا) .

محاور البحث :

المُسن ((هو كل فرد أصبح عاجزا عن رعاية نفسه وخدمتها أثر تقدمه في العمر وليس بسبب إعاقته أو شبهها))[٢]. ويقال ((هرم الرجل هرما : أي بلغ أقصى الكبر ، وضعف فهو هرم))[٣].

وبداية نشير إلى تقسيمات مراحل العمر التي اعتمدها الأطباء العرب والمسلمون في تناولهم تدبير صحة الإنسان :-

يقول "ابن سينا" في أمزجة الأسنان والأجناس ((الأسنان أربعة في الجملة ، سن النمو ويسمى سن الحداثة . وهو إلى قريب من ثلاثين سنة . ثم سن الوقوف وهو سن الشباب وهو إلى نحو من خمسة وثلاثين سنة وأربعين سنة ، وسن الانحطاط مع بقاء في القوة وهو سن المتكهلين وهو إلى

---

(٢) عبدا لله بن ناصر ؛ رعاية المسنين في الإسلام ، ط١ (الرياض ، العبيكان ، ١٩٨٨) ص١٦ .

(٣) مجمع اللغة العربية ؛ المعجم الوجيز (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٩٠) ص٤٦٨ .

نحو من ستين سنة . وسن الانحطاط مع ظهور الضعف في القوة وهوسن الشيوخ إلى آخر العمر))[٤].

ويقول "البلخي" ((الأسنان هي طبقات العمر أربع : الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة . وحصة كل طبقة منها عشرون سنة في الطبائع القوية))[٥].

ويقول "القرطبي" فأما الأسنان فتجزأ على أربعة أجزاء في قول عامة الأطباء . وخوف الإطالة نلخص ما ذكره[٦] :- ١/ سن الصبا حتى ١٨ سنه من العمر ٢/ سن الشباب حتى ٣٥ سنه من العمر.٣/ سن الكهولة حتى ٦٠ سنه من العمر.٤/ سن الشيخوخة حتى أن يفنى العمر.

وفي ضوء هذه التقسيمات كان تناولنا للبحث ضمن خمس محاور كما يأتي:-

المحور الأول / رعاية كبار السن في القرآن الكريم وألسنه النبوية المطهرة

أكد الإسلام للمسنين حقوقا شاملة بمقتضى حاجتهم للرعاية الأخلاقية والاجتماعية، ونَظم الاهتمام بهم بأدق تفاصيله قبل أربعة عشر قرنا، وانعكس هذا على أفراد المجتمع الإسلامي آنذاك سلوكا وممارسات في تعاملهم مع المسنين ، ولم يُنظم الحقوق فحسب بل نادى بحمايتها وطالب

---

(٤) ابن سينا ، أبو علي الحسين ابن علي ؛ القانون في الطب ، ج١ (بغداد ، مكتبة المثنى ، ب . ت) ص١١ .

(٥) البلخي ، أبي زيد احمد بن سهل ؛ مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيق محمود مصري (القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ٢٠٠٥) ص٤٨٩ .

(٦) القرطبي ، عريب ابن سعد الكاتب ؛ خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين (الجزائر ، مكتبة فراريس ، ١٩٥٦) ص٨٥ .

الكل برعايتها بين المسنين ، وشرع لهم الأحكام التي تناسب أعمارهم وطاقاتهم . فقد جاء ذكر الشيخوخة باعتبارها آخر أيام العمر في القرآن الكريم في عدد من الآيات منها :-

قال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (النحل:٧٠) وقال تعالى أيضا في أية أخرى (... ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ...) (الحج:٥) وقال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (غافر:٦٧)

وذكرت الشيخوخة في القرآن الكريم على أنها نهاية مطاف الإنسان في مرحلة تطوره على هذه الأرض تمهيدا لرحلته الأبدية إلى العالم الآخر . فقال عز وجل (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ) (يس:٦٨) وقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (النحل: ٧٠) وقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (النحل:٧٠) وقال تعلى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ...) (الحج:٥) وقال تعالى(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (الروم :٥٤) فالإنسان يبدأ من ضعف ، ثم ينمو ويشتد عوده ويقوى، ثم يعود إلى أصله بعد أن يبلغ أرذل العمر إلى حالة من الضعف وبعد أن يصل إلى نهاية أيامه على هذه الأرض .

وفي سورة أخرى جاء وصف الشيخوخة وصفا رائعا في هذه المناجاة بين الله سبحانه وتعالى و"زكريا" (عليه السلام) يسأل فيها الله سبحانه وتعالى أن يهب له وليا يرث "آل يعقوب" خاصة وقد بلغ سن الشيخوخة وكانت امرأته عاقرا ، تظهر بعض الصور اللغوية الجميلة التي تصف مرحلة الشيخوخة . قال تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا *وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) (مريم :٤-٨) .

وجاء ذكر الكهل في القرآن الكريم في آيتين يخاطب بها نبي الله "عيسى"(عليه السلام) ، في قوله تعلى (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران :٤٦) وقال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ...) (المائدة :١١٠) . ولقد ذهب المفسرون لقول الله تعالى في هاتين الآيتين ، الى أن ذكر الكهل هنا يعني الحليم العاقل ، لان نبي الله "عيسى"(عليه السلام) رفع إلى السماء وهو في عمر الشباب .

وقد حث الإسلام الإنسان على بر الوالدين والإحسان إليهما في كل مراحل العمر وضرورة رعايتهم ولاسيما عندما يكبرون ، حيث يصبحون أكثر حاجة الى الرعاية والعناية والشعور بالطمأنينة والأمن بعد أن أدوا الرسالة تجاه أبنائهم وأوطانهم . يقول سبحانه وتعالى (وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (لقمان :١٤) وفي أية آخرى قال تعالى (وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الاحقاف:١٥) ويقول جل جلاله في آية أخرى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيما * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا) (الإسراء :٢٣-٢٤)

((ولم تنه الآية الكريمة الإنسان عن أن ينهر والديه أو يؤذي شعورهما بالقول الخشن أو التعبير عن التبرم من باب الاحترام والتوقير فحسب ، فذلك مطلوب سواء كان الوالدان في حال قوتهما أو ضعفهما ، ولكنه نهي يحمل في جوهره تقديرا إلهيا لطبيعة الحالة النفسية التي يكون عليها المرء حين يكبر وتهن قوته ويضعف))[٧] .

---

(٧) منظمة الصحة العالمية ؛ الشيخوخة تبديد الخرافات (مصر ، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ، ١٩٩٩) ص٢٤.

ومن النماذج الحية على توقير الكبار في السن واحترامهم في الإسلام إعطاء كبير السن أفضلية في إمامة المسلمين في حالة التساوي في حفظ القرآن وقراءته والعلم بالسنة ، وكذلك إعطاء الكبير حق الكلام قبل الصغير في المجالس ، وبشكل عام وجوب إجلاله كما جاء في أقواله صلى الله عليه وسلم البليغة يقول (ﷺ) [إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط][8] . ومن أقواله (ﷺ) أيضا [ما أكرم شاب شيخا لسنه إلاّ قيض الله له من يكرمه عند سنه][9].

والمجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متواد ، ومن أولياته توقير كبار السن واحترامهم ، وتقدير مكانتهم وفاءً لما قدموه من إسهام في إرساء بناء المجمع ونهوضه ، يقول (ﷺ) [ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا][10]. وفي حديث آخر يقول (ﷺ) [إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط][11].

---

[8] سنن أبو داود ، كتاب الآداب (برقم ٤٨٤٣) .

[9] رواه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، ما جاء في إجلال الكبير (يرقم ٤٥٧/ ٢٠٠٢) وقال انه ضعيف .

[10] رواه الترمذي ، كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في رحمه الصبيان (برقم ١٩١٩/٤٣٨) .

[11] سنن أبو داود ، كتاب الآداب (برقم ٤٨٤٣) .

والمسن المؤمن له مكانته عند الله ولا يزاد في عمره إلا كان له خيرا يقول (ﷺ) أيضا [خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا][12]. ويقول أيضا (ﷺ) [ما شاب رجل في الإسلام شيبةً إلى رفعه الله بها درجة ومحيت عنه سيئة وكتب له بها حسنة][13]. وفي حديث آخر يقول (ﷺ) [من شاب شيبة في الإسلام كان له نورا يوم القيامة][14]. ويروي أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب" (ﷺ) قول الرسول (ﷺ) [من وقر ذا شيبةٍ لشيبته أمنه الله عز وجل من فزع يوم القيامة][15].

ومما رواه "انس ابن مالك"(ﷺ) أن النبي(ﷺ) قال [ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة ، إلى صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلايا : الجنون ، والجذام والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة ليَن الله عليه الحساب ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته

---

(12) مسند أبو يعلى الموصلي (برقم ٦/٢١٤) – قال الهيثمي ، مجمع الزوائد إسناده حسن (برقم ١٠/٢٠٦) .

(13) رواه أحمد في مسنده ، كتاب العشرة المبشرين بالجنة ، مسند المكثرين من الصحابة (برقم ٦٧٦٢) .

(14) مصنف بن أبي شيبة، كتاب الأدب، باب في نتف الشيب (برقم ٢٥٣٥) وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب

(15) النوري ، مرزه حسين ؛ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، ج٨ ، تحقيق مؤسسة آل البيت (بيروت ، مؤسسة آل البيت ، ١٩٨٧) ٤٦٧ .

وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته](١٦).

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن بر الوالدين و قدمها (ﷺ) على الجهاد في سبيل الله ، وساوى عدم برهم بالإشراك بالله وجعله من أكبر الكبائر إذ سؤل رسول الله (ﷺ) أي الإعمال أفضل قال [الصلاة لميقاتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله](١٧). وفي حديث آخر قال (ﷺ) [رضا الرب من رضا الوالد ، وسخط الرب من سخط الوالد](١٨). وفي حديث ثالث يقول (ﷺ) [آلا أحدثكم بأكبر الكبائر ، قالوا بلا يا رسول الله ، قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين](١٩).

وعندما يصبح الشيخ ضعيفا عاجزا فإن زوجته أولى الناس برعايته ، فهي السكن وهي التي جعل الله في قلبها وفي قلبه المودة والرحمة المتبادلة ، وأنى لها أن تتركه في شيخوخته فهي نعم القرين عليها واجب نظافته

---

(١٦) مختصر الزوائد ، مسند البزار ، لابن حجر (برقم ١٨٨/٢) ، وقال الزرقاني صحيح ، ينظر مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني (برقم ٨٢) – والطبراني ، في المعجم الكبير (برقم ١٠٨) .

(١٧) سنن الترمذي ،أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ (برقم ١٩٦٠)، وقال حيث حسن صحيح .

(١٨) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب الفضل في رضا الوالدين (برقم ١٩٦٢).

(١٩) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في عقوق الوالدين (برقم ١٩٦٤ – صحيح البخاري ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، كتاب الآداب (برقم ١٤٠٧) .

إطعامه ، وعليها واجب الصبر إن بدا منه ما تكره فللشيخوخة في الإسلام حرمتها . وكلما طال أمد رعايتها ازداد رصيدها في الآخرة وعلت منزلتها بإذن الله . وبعد الزوجة حق الشيخ العاجز على أولاده (وطبعا حفدته من الأولاد) وقد ذكرنا حق الوالدين على الأولاد ولا داعي لتكرار ذلك . ومع الأولاد أو بعدهم يكون حق الشيخ على باقي أقاربه كالأخوة والأصهار ، وأولاد العم والخال وغيرهم من الأرحام . ولصلة الأرحام مكانة خاصة في الإسلام لما فيها من توثيق للروابط وحماية للأسرة ومساندة للضعفاء ، فعن النبي (ﷺ) قوله [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت][٢٠]. ومن وصاياه حثّه (ﷺ) للشاب على بر أقاربه وأصدقاء أبيه ، فعن "انس بن مالك" (ﷺ) قال رسول الله ﷺ [من سره أن يمَد له في عمره ، ويزاد في رزقه ، فليبر والديه ، وليصل رحمه][٢١]. ويقول (ﷺ) [من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل أخوان أبيه بعده][٢٢].

وقد أوصى الإسلام ببر الوالدين في حياتهما ، كما فتح باب البر حتى بعد وفاتهما ، وجعل من أبواب برهما صلة صديقهما بعد وفاتهما ، فلقد

---

[٢٠] صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (برقم ٥٧٨٧) .

[٢١] رواه أحمد ، الحافظ ألمنذري ؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ج٣ (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٨!) ص٣١٧

[٢٢] الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص٢٢٣ – الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج٣ (برقم ١٤٣٢) .

روى "عبد الله ابن عمر"(ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال [من البر أن تصل صديق أبيك][٢٣] ، بل عده الرسول (ﷺ) من أبرّ البر، إذ قال رسول الله (ﷺ) [إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه][٢٤].

وأخيرا وبعد الأقارب يكون حق الشيخ على الجار وأهل المحلة الذين تعودوا رؤية بعضهم بعضا في أوقات الصلاة في الجامع ، فإذا مرض الشيخ وجب السؤال عنه وعيادته والإنفاق عليه إن كان معسرا [٢٥] . ومما لاشك فيه أن لكبار السن أنفسهم دورا مهما في الاستعداد لمرحلة الشيخوخة ، وتخفيف معاناتهم من أمراضها يقول (ﷺ) [أغتنم خمس قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك][٢٦]. ((وهذا يعني أن يعد المرء العدة المناسبة ليعيش صحيحا معافى في الكبر بأن يحافظ على صحته في شبابه ويرعاها ويجنبها ما يضرها من عادات مذمومة كالتدخين وتعاطي الخمر وسائر أشكال الإدمان ، وأن يحافظ على نشاطه بمداومة الحركة المفيدة – كالمداومة على الصلاة في المساجد – وممارسة الرياضة ، وإحداث التوازن المنشود بين أوقات العمل والراحة ، بحيث لا يركن إلى الكسل والاسترخاء أغلب الوقت ،

---

(٢٣) ذكره الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج٥ (برقم ٢٣٠٣) .

(٢٤) صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٦ – صحيح البخاري ، الأدب المفرد ، ص٣١ ، واللفظ لمسلم .

(٢٥) وجيه زين العابدين ؛ صحة الشيخ (بغداد ، إيداع المكتبة الوطنية ، ١٩٨٦) ص ٨٣ .

(٢٦) رواه الحاكم في المستدرك ، وصححه الألباني .

ولا يهلك جسده في عمل متواصل وإجهاد دائم ؛ وأن يتحرى التغذية الجيدة التي تمد جسمه بما يحتاج دون إفراط أو نقصان))[٢٧].

ولما كان كبار السن معرضين لبعض الأمراض التي تتطلب زيارة الأطباء وأخذ العلاجات فقد حث (ﷺ) على التداوي من كل مرض . وفي ذلك يقول (ﷺ) [ما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء][٢٨]. وقال (ﷺ) [إن الله لم ينزل داء إلى أنزل معه دواء جهله من جهله وعلمه من علمه][٢٩]. وذلك يشير إلى أن الطب من حيث الأصل مشروع ، والتداوي مطلوب شرعا للجميع .

المحور الثاني/ الأمراض التي تصيب كبار السن وعلاجها :

على الرغم من محدودية ما جاء في كتب الطب العربية عن أمراض الشيوخ ومعالجتها ، إلاّ أنهم كانوا روادا في ذلك ، وجاء تناولهم الموضوع تناولا فيه الكثير من الموضوعية والصواب ، وفي معالجتهم الشيوخ كانوا دقيقين وأولوهم عناية خاصة باعتبارهم ضعاف الأبدان سريعي الإصابة بالأمراض كأبدان الأطفال . يقول "ابن هبل" ((وأما الشيوخ فيدبروا تدبيرا رفيقا كتدبير الأطفال لأن مزاجهم بارد في غاية اليبوسة))[٣٠].

---

[٢٧] منظمة الصحة العالمية ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٩) ص ٢٥ .

[٢٨] صحيح البخاري ، كتاب الطب (برقم ٥٣٥٤) – مستدرك الحاكم (برقم ٧٤٢٣) .

[٢٩] صحيح ابن حبان ، كتاب الطب (برقم ٦٠٦٢) .

[٣٠] ابن هبل ، مهذب الدين علي بن أحمد ؛ المختارات في الطب ، ج١ (الهند ، مطبعة حيدر آباد الدكن : ١٣٦٣ هـ) ص١٩٨ .

ويمكن إجمال ما جاء لدى الأطباء العرب والمسلمين عن أهم الأمراض التي يصابون بها وطرق معالجتها كما يأتي :-

١/ مرض الساد (الماء الأبيض النازل في العين) :-

لقد كانت العملية السائدة عند البابليين والمصريين هي دفع العدسة المعتمة إلى داخل العين بواسطة إدخال إبرة حادة في العين وعند وصولها إلى العدسة تدفع الأخيرة بلطف إلى الأسفل لتستقر داخل كرة العين بعيدة عن منطقة البؤبؤ ، واستمرت هذه الطريقة في الحضارة اليونانية واستعملها "أبقراط" و"جالينوس" (وهناك من يقول بأن أنطليموس البيزنطي كان أول من مارس هذه العملية) . ثم اقتبس العرب عنهم هذه العملية وطوروها وحوروا بها .

فقد ذكر "الرازي" أنه من الممكن استخراج الماء الأبيض من العين بعد قص قسم من قزحية العين . وعملية قص القزحية لتوسيع البؤبؤ هي الخطوة الأولى في العمليات الحديثة لهذا المرض التي تعرف (Iridectomy) . وجاء بعده "عمار بن علي الموصلي" (ت ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م) وذهب إلى أبعد من ذلك بكثير بأن استعمل أنبوبا زجاجيا دقيقا ليدخله في مقدمة العين ويفتت العدسة المعتمة ثم يمتص هذه العدسة المتفتتة وكانت هذه العملية هي أول عملية حديثة للساد . ظلت هذه العملية سائدة في الشرق ولم تنتشر في الغرب في القرون الوسطى . حتى انتقلت بواسطة العرب إلى أوربا فمارسها (برسيفال بوث بإنكلترا سنة ١٧٨٠ م) . وفي عام (١٩٧٠) نشر "جارلس كليمان" من الولايات المتحدة مقالة في مجلة الجمعية الطبية العينية البريطانية ، ذُكر فيها بأنه قام بإجراء ما يزيد

على (١٥٠) عملية بواسطة إدخال إبرة مجوفة داخل العين تتحرك بذبذبة عالية لتعمل على تفتيت العدسة واستحلابها ومن ثم سحبها بواسطة جهاز خاص متصل بجوف الإبرة . وكانت نسبة نجاح هذه العملية أكثر من (٩٨ ٪) وإذا رجعنا إلى محاولة "عمار بن علي الموصلي" رأينا الشبه بينهما وبين ما توصل إليه الطب الحديث كبيرا ، وعلى القاعدة نفسها ولكن بآلات حديثة جدا . فالفكرة القديمة هي لب العملية والتقنية هي عائدية العصر لإعادة أجمل وأروع ما في الإنسان عينه[٣١].

٢/ الإصابة بالإمساك :-

الإمساك بالنسبة للشيخ أمر غير مريح ومقلق لذا يحرص الشيوخ دائما على تحاشي حدوثه ، وقد دأب الأطباء قديما وحديثا على إرشاد المسنين إلى الأغذية التي تحول بينهم وبين الإمساك كما ذكرنا سابقا . نذكر فيما يأتي بعضا من أقوال أطبائنا القدامى ، يقول "ابن هبل" ((وتليين طبائعهم فإن الطبع يحتبس عندهم بسبب قلة المراد في أبدانهم وفرط لزوجات رطوباتهم وتلين طبائعهم بمثل الترنجبين أو بمثل جوارش التمر ... والحقنة الملينة صالحة لهم خاصة بالزيت. ومنهم من يلين بطنه فيجب أن يعدل ببعض ربوب الفاكهة القابضة ولا أجود من رب السوس ، وقد يعرض لهم إدرار البول وينتفعون بهذا الرب وبحب الآس نفسه مع التين))[٣٢].

---

[٣١] عبد المنعم عبد الحميد ؛ الساد (الماء الأبيض) بين القديم والحديث (الموصل ، مجلة جامعة الموصل ، عدد ١٥ ، ١٩٧٢) ص ٦٧ .

[٣٢] ابن هبل ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) (١٣٦٣ هـ) ص ١٩٨ -- ١٩٩ .

ويذهب "البلخي" بنفس المنحى فيقول ((وأما الشيوخ : فمداواتهم بالإسهال فأمر نافع واجب ، وذلك أن الفضول النيئة الفجة تكثر في أبدانهم لقلة الهضم . ونقصان الحرارة الغريزية فيهم ، فيحتاج إلى إخراجها منهم بالأدوية المسهلة . إلا أن التدبير في استفراغهم يجب أن يكون مبنيا على أن يتعهد أبدانهم للاستفراغ في الأوقات المتقاربة ، وان لا يسقوا مع ذلك الأدوية القوية))[٣٣] .

٣/ حصاة الكلى والمجاري البولية :-

موضوع الحصاة من المواضيع التي نالت اهتماما خاصا من الأطباء العرب والمسلمين ، إذ لا يخلو كتاب من كتبهم المعتمدة من ذكره ، وقد تناولوه من جوانب مختلفة .

ولقد أصاب "الرازي" و"ابن الجزار" عندما أكدا أن الحصاة تتكون من نواة يتراكم حولها ما في البول من أملاح وغيره إذ يقول "الرازي"[٣٤] ((ويتقدم تولد الحصى في الكلى رسوب في البول)) ويقول أيضا ((إذا اتسع المجرى الذي يحمل مائية الدم إلى الكلى دخل فيه شيء غليظ ، فإذا انفلق في بطون الكلى وانطبخ بالحرارة ، فإذا جمد مرة أمكن أن يتعلق به أبدا ما يجيء حتى تعظم الحصاة)) . ويقول في أسباب تولدها في الكهول ((الحصى يكون في الكلى في الكهول أكثر وذلك لان الأفعال الطبيعية فيهم ليست في غاية

---

(٣٣) البلخي ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٥) ص٤٩١ .

(٣٤) الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ الحاوي في الطب ، ج١٠ ، ط١ (الهند ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، ١٩٦٢) ص ٩٥ ، ١٢٥ .

الرقة والإنطباخ . ولكن فيها غلظ ماء . ولذلك يتحجر منها شيء في بطون الكلى في بعض الأحوال ... فإذا جمد مرة أمكن أن يتعلق به أبدا ما يجيء حتى تعظم الحصاة)) ويقول ((وتولدها في الكهول لان الحرارة الغريزية فيهم من ناحية الكلى ليست بالغة القوة فيمكن أن يغلظ فيهم هناك ما يجيء)) .

ويقول "ابن الجزار "((وتولد الحصى مرض خاص بالصبيان في الدرجة الثانية (من أعمارهم) ..... فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة فينحدر من أعلاها شيء في البول إلى المثانة فتصبح مادة تولد الحصى في المثانة))[٣٥] .

و"لابن سينا" ملاحظة مهمة حول تكون الحصى في البلاد الباردة إذ يقول ((واعلم أن حصاة المثانة تكثر في البلاد الشمالية وخصوصا في الصبيان))[٣٦].

ويقول "الرازي" في كتاب التقسيم والتشجير ((فإن دليل حصاة الكلى ، وجع في القطن والخواصر والحالبين مع ثقل وتمدد حتى كأن بها معلق))[٣٧].

---

[٣٥] ابن الجزار ، أبي جعفر أحمد ابن إبراهيم ؛ سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد حبيب الهيلة (تونس ، مطبعة المنار ، ١٩٦٨) ص ١٣٠ .

[٣٦] ابن سينا ، مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٥٠٩ .

[٣٧] الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ التقسيم والتشجير ، تحقيق صبحي محمود حمامي (حلب ، معهد إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٩٢) ص ٣٤ .

وتأكيد "الرازي" بأن المريض إذا ما أحس الرغبة في التبول فإن المثانة تتمدد ويكون الحصر ملاحظة جيدة ومقبولة . وبأن الدم الغزير في البول الذي يحدث بغتة وبلا وجع أو سبب ظاهر هو في أغلب الأحيان نتيجة سرطانات الكلية أو المجاري ملاحظة صحيحة[٣٨].

ويقول "الزهراوي"[٣٩] علامة الحصاة إذا كانت في الكلى ((الوجع الشديد في الخاصرة وجع ثابت غير متنقل ، وتعتقل طبيعة العليل مع إحساسه بالحاجة إلى التبرز حينا بعد حين فإذا استحكم الوجع عرض القيء والغشي ، وتتخدر اليدان والرجلان ، واخص علامات الحصاة ما يظهر في البول من الرمل)) ويضيف في صعوبة شفاء الشيوخ منها بقوله ((إن الحصاة المتولدة في المثانة أكثر ما تعرض للصبيان ومن علاماتها أن البول يخرج من المثانة شبيها بالماء في رقته ، ويظهر فيه الرمل ويحك ذكره ... ويسهل برء الصبيان منها إلى أن يبلغوا أربع عشرة سنة ، ويعسر في الشيوخ)) .

وللتخلص من الحصاة سلك الأطباء العرب والمسلمون طرقا مختلفة هي الآتي:-

---

(٣٨) محمد كامل حسين وعبد الحليم العقبي ؛ طب الرازي – دراسة تحليلية (القاهرة ، شروق القاهرة ، ١٩٧٧) ص٩٦ .

(٣٩) الزهراوي ؛ أبو القاسم خلف بن العباس ؛ التصريف لمن عجز عن التأليف ، المقالة الثلاثون (لندن ، معهد وليكم لتأريخ الطب ، ١٩٧٣) ص٤١١ .

يقول "الرازي"[٤٠]((وعلاج الحصى في الكلى ، إما في وقت هيجان الوجع ، فأن يدخل في الأبزن (حوض ماء ساخن) ويمرخ الصلب ، ويركب دابة قطوفا (التي تبطئ في السير) ، أو يحجل على رجل أو ينزل من درج إلى درج ، حتى تخرج عنه الحصاة في البول . فإن كفى وإلاّ فأسقه الأدوية المفتتة للحصاة في الكلى ، ثم ترجع إلى التدبير ، وتضمد قطنه وخاصرته)) ثم يذكر الأدوية المفتتة للحصاة والمستعملة في التضميد .

وابتكر "الزهراوي"[٤١] طريقة في تفتيت حصاة مجرى البول لم يسبقه إليها أحد ، يقول ((إن كانت الحصاة صغيرة وصارت في مجرى القضيب ونشبت فيه وامتنع على البول الخروج فعالجها بما أنا واصفه ... فكثيرا ما استغنيت بهذا العلاج عن الشق فقد جربت ذلك وهو أن تأخذ مشعبا (مثقبا) من حديد الفولاذ مثلث الطرف حادا في عود ، ثم تأخذ خيط وتربط القضيب تحت الحصاة لئلا ترجع إلى المثانة ، ثم تدخل حديد المشعب في الإحليل برفق حتى يصل المشعب إلى نفس الحصاة وتدير المشعب بيدك في نفس الحصاة قليلا قليلا وأنت تروم ثقبها حتى تنفذ من الجهة الأخرى فإن البول ينطلق من ساعته ، ثم تزم يدك على ما بقي من الحصاة من خارج القضيب فتتفتت وتخرج مع البول ويبرأ العليل)) . وهذا وصف آخر لتفتيت حصاة مجرى البول لم يسبقه إليه أحد أيضاً ((فإن لم يتهيأ لك هذا العلاج فاربط خيطا تحت الحصاة وخيطاً آخر فوق الحصاة ثم تشق على الحصاة في نفسه القضيب بين الرباطين ثم تخرجها تحل الرباط ... وإنما وجب ربط

---

(٤٠) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٢) ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٤١) الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٣) ص ٤٢١ – ٤٢٣ .

الخيط تحت الحصاة لئلا ترجع إلى المثانة والربط الآخر من فوق لكيما إذا حل الخيط بعد خروج الحصاة يرجع الجلد إلى مكانه فيغطي الجرح)).

ولم نعثر على ما يشير إلى إجرائهم العمليات الجراحية لاستخراج حصاة الكلى مباشرة منها ، وكل ما جاء عندهم كانت محاولات لإنزال حصاة الكلى إلى المثانة ومن ثم إجراء العمليات الجراحية لاستخراجها من المثانة .

٤/ أمراض المفاصل :-

هناك أمراض كثيرة تنتاب مفاصل كبار السن وهي متنوعة منها الخفيف لبضعة أيام ، ومنها الشديد الذي يدوم لأيام أو أسابيع أو أشهر ، ومنها ما تلازم مفاصل الجسم حتى نهاية العمر. وفي الحقيقة أن وجع المفاصل بأنواعه لا يستثني عمرا فالكل يصابون به من ستة أشهر إلى أرذل العمر ، ومما يلفت النظر تناول أغلب الأطباء العرب مختلف أنواع الأمراض التي تصيب مفاصل كبار السن ، وهذا ما دفعهم أن يهتموا بها اهتماما كبيرا استنادا الى ما نقلوه عن سابقيهم أو ما أضافوه من تجاربهم وخبراتهم حول تلك الأمراض وكيفية معالجتها بوسائل معروفة في زمانهم . وجاءت بعض أرائهم مطابقة مع ما هو معروف في الطب الحديث ، نذكر فيما يأتي نماذج مما قالوه :-

أ/ أوجاع المفاصل :- إن أول من كتب بهذا الموضوع من الأطباء المسلمين هو "أبو الحسن علي ربن الطبري" في كتابه (فردوس الحكمة) ، وهو يفرق بين آلام الورك وألم الظهر ، ومن ثم بين النقرس من جهة وبقية أمراض المفاصل . وكان استدلاله بحالات المريض وتأريخ وتطور مرضه استدلا يكاد يكون مشابها لما هو معمول به في الوقت الحاضر فيقول ((انه

ينحدر إلى الوركين من عظم المتن عصب قوي ثم يمر بأطراف الأصابع ، وتجري إليهما فضول من الدم والبلغم والرياح فيهيج من ذلك وجع الوركين والمفاصل والنقرس ، ويستدل على جنس المرض من حالات المرض في سنه وطباعه وعاداته وغذائه ، ومن علامات الحر والبرد))[٤٢].

ويقول "ابن ما سويه" ((تكون أوجاع الفاصل إما من دم حاد أو بلغم ، فابدا في علاج الدموي بالفصد أولا ثم بالإسهال بما أشبه ذلك ، ثم بعد ذلك اسقي ماء البقول وما يطفئ حدة الدم))[٤٣].

ويقول "الرازي"[٤٤]((وجع النقرس والمفاصل وعرق النسا من جنس واحد ، وذلك أن الوجع إن كان في المفاصل سمي وجع المفاصل هو بعينه ، وإذا كان في الورك سمي عرق النسا ، وإذا كان في القدمين سمي نقرسا)) ثم يقول ((قد رأيت الذين بهم وجع المفاصل يهيج عليهم إذا تعبوا ، وإنما يكون ذلك لأنه ينصب إليها شيء خاصةً إذا كان الجسم ممتلئا ، لان المفاصل تتعب كثيرا في الحركة ، ولا شيء انفع لهم من الحركة . ولكن ينبغي أن يتدرجوا إليه قليلا قليلا ، ولا يحمل احد منهم نفسه على ما لم يعتاد منه ضربةً ، لكن يعتادوا قليلا قليلا ، فانه إذا تدرج فيها احتمل الشديد وذهب أصل الوجع البتة)) وينقل عن "روفس" فيقول ((وينفعهم الحمام اليابس والدفن بالرمل ووصف الحمام اليابس ومدحه ، قال : فليحذروا الأغذية

---

(٤٢) الطبري ، أبو الحسن علي بن سهل ربن ؛ فردوس الحكمة (برلين ، مطبعة آفتاب ، ١٩٢٨) ص٣١٧ .

(٤٣) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (ج١١) (١٩٦٢) ص١٥٢ .

(٤٤) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (ج١١) (١٩٦٢) ص ٩٨، ١١٢ ، ١٦٣ ، ١٨٢ .

الرطبة السريعة الفساد ، وقال : واللحوم كلها تضرهم لأنها رطبة كثيرة الغذاء فليقل منه ، ويؤكل أيبسها)) . ويقول "الرازي" أيضا ((إنما يكثر وجع المفاصل لمن لا يستعمل الرياضة ، ولا يستمرء الغذاء ويكثر السكر وشرب النبيذ على الريق والإفراط في الجماع والحمام)) ويقول ((علل المفاصل والنقرس تزيد في الربيع . وربما هاج في الخريف . والذي يجتمع فيه في الصيف في وقت الفواكه خلط رديء ، وأكثر ما يهيج في الربيع فيمن كان تدبيره في الشتاء كثيرا رديا)) ويضيف ((النقرس والنسا ووجع المفاصل ونحوها من العلل إذا كانت من رطوبات غليظةً في المشايخ لا يبرأ ، لان هذه يعسر نضجها في الشباب فضلا عن الشيوخ))ويؤكد ذلك بقوله ((رأيت مشايخ وشبابا بهم أوجاع المفاصل الحارة الغلغمونيه جلهم تهيج عليه العلة والثبور متى تعبوا ومشوا)) .

ووصف "ابن سينا" حالات سوفان المفاصل الذي يصيب كبار السن ، ويعطي وصفا جيدا لحالات الرثية المفصلية (الروماتيزم) وما يرافقها من اعوجاج مفاصل أصابع القدمين واليدين ، ولم يفرق بين حالات الرثية التي تبدأ في القدمين فقد اعتقد أنها النقرس، كما أشار بشكل علمي على أهمية عامل الوراثة في إصابات النقرس وأمراض المفاصل فقال ((وكثيرا ما تتحجر المواد في المفاصل وتصير (كالجص) ... وكثيرا ما ينبت اللحم في مفاصلهم وخصوصا بين الأصابع فتتلوى الأصابع وتتقفع ويشتد الوجع حينا وسكن حينا ... وأكثر ما تعرض له أوجاع المفاصل يعرض له أولا النقرس .

وأوجاع المفاصل من جملة الأمراض التي تورث ، لان المَني يكون على مزاج الوالد))[٤٥].

ويعلل "ابن زهر" كيفية تكون أوجاع المفاصل فيقول ((ويحدث في البدن أوجاع تكثر في الأكثر نحو المفاصل ، وإنما ذلك لأخلاط غليظة لزجة تنصب إلى المفاصل بالحركات ، وربما جففتها الحركة فيتحجر من تلك الأخلاط شيء، وما كان قد تحجر هنالك فبعسر ما يكون له برء))[٤٦].

وأما في علاج المفاصل يقول "الرازي"[٤٧]((يستعمل في أوجاع المفاصل الأدوية التي تلطف غاية التلطيف والتي تدر البول غاية الإدرار (كبزر السذاب والزراوند المدحرج والقنطريون الدقيق والجعدة والبطراساليون ...) فهذه تفرغ البدن دائما بالعرق والبول والتحليل الخفي وتفني الفضول)) ويقول أيضا ((رأيت رجلا به وجع المفاصل يستريح راحةً عظيمة متى غمزت مفاصله غمزا رفيقا بأيدي حارة لينه ، لان علته كانت عن انصباب أخلاط كثيرة إلى مفاصله بعضها دموية وبعضها مرارية وبلغمية ، وبالجملة نية غير نضيجه)) . ثم يقول ((الماء البارد يسكن أوجاع المفاصل والنقرس من غير قرحة أذا صب عليه منه شيء كثير بارد لأنه يخدر قليلا والخدر البين يسكن الوجع))

---

[٤٥] ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٦١٤ .

[٤٦] بن زهر ، أبي مروان عبد الملك ؛ التيسير في المداواة والتدبير ، ج٢ (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٣) ص ٣٧٢ .

[٤٧] الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (ج١١) (١٩٦٢) ص١٠٨ .

ب/ مرض النقرس :– يفرق "الرازي" بين النقرس وأمراض المفاصل ، فذكر أولا وصف لمرض النقرس فقال ((يعرض للمنقرسين الورم أو وجع القدم فيبدأ الوجع من أبهام الرجل ، ومنهم من يبدأ به من العقب أو من أسفل القدم ، والورم الكائن في القدم ربما تغير لونه عن لون البدن ، وربما كان بلونه . وربما كان الوجع مع حرقة ، وربما كان بلا حرارة البتة ، وربما كان مع برودة شديدة ، وقد يكون في القدمين جميعا ، وربما بلغت شدة الوجع إلى الساقين والركبة))[٤٨]. وكان مصيبا في وصفه لكثير من حالات النقرس ، وقد فرقه عن الم المفاصل الأخرى فيما سبق .

ونجد عند "ابن الجزار" "وابن النفيس" وصفا فيه الكثير من الصحة والدقة في وصف النقرس إذ يقول "ابن الجزار" ((أن هذا الداء المسمى بالنقرس وجع مخصوص بالقدمين شديد مؤذٍ يصحبه امتداد في العصب وضربانٌ دائم . وإنما يتولد من قبل تحلل كيموس رديء إلى القدمين . فان كان ذلك الكيموس حارا تولد عن ذلك شدة الوجع ، ودمومة الضربان ، وحرقة واشتعال في القدمين ، وان كان ذلك الكيموس باردا غليظا، تولد عن ذلك ثقل شديد، وتمدد في القدمين، وانتفاخ بلا وجع ولا ضربان))[٤٩].

ويقول " ابن النفيس" ((فان كان في مفاصل القدمين مثل مفصل الكعب والأصابع فيقال له النقرس ، وإنما تشتد هذه الأوجاع خاصةً وجع

---

[٤٨] الرازي ؛ نفس المصدر السابق (ج١١) (١٩٦٢) ص١١٧ .

[٤٩] ابن الجزار ، أبي جعفر احمد بن إبراهيم ؛ زاد المسافر ، المقالة السادسة في الأدواء التي تعرض في آلات التناسل ، تحقيق جمعة شيخة والراضي الجازي، (تونس ، المغاربية للطباعة والنشر ، ١٩٩٩) ص٦٩ .

النقرس لضيق المفاصل بالنسبة إلى أوعية البدن فإن المفاصل جعلت آلةً للانثناء والانبساط ولم يكن أن يأتي منها ذلك أو كانت وصمته أو ضيقة قصيرة الرباطات))[٥٠].

ويؤكد "الزهراوي" ما ذكره الآخرون في النقرس ((إذا كانت أوجاع المفاصل عن رطوبات باردة تنصب إلى أي عضو كان من الجسم ، فإذا حدثت الأوجاع في الرجلين عادة الأطباء أن يسموا ذلك (نقرسا) خاصةً ، فإذا عولج النقرس البارد السبب بضروب العلاج الذي ذكرنا في التقسيم ولم تذهب الأوجاع ، فإن الكي يذهب بها وهو أن تكويه بعد الأستفراغ حول مفصل الرجلين كياتٍ كثيرةً))[٥١].

وعن معالجة النقرس يقول "المجَوَسي"[٥٢]((وأما مداواة النقرس ووجع المفاصل فينبغي أن تنظر فإن كان حدوث ذلك من مادة دموية ورأيت لون المفصل الآلم إلى الحمرة .. فينبغي أن يبادر بفصل (الباسليق) من الجانب العليل وان يخرج لصاحبه من الدم بحسب مقدار المادة وبحسب ما تحتمله القوة والسن والزمان ، ويغذى في يوم الفصد (بمرق الفروج أو بماء الرمان المز) ...)) ويذكر أنواعا أخرى من الأدوية والأغذية إلى أن يقول ((وإذا

---

(٥٠) ابن النفيس ،علاء الدين أبو الحسن ؛ شرح تشريح القانون (www.kotobarabia.com) ص٢٢ .

(٥١) الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٣) ص١٣١ .

(٥٢) المجَوَسي ، علي بن العباس ؛ كامل الصناعة الطبية ، ج٢ (مصر ، المطبعة الكبرى ، ١٢٩٤ هـ) ص٤٤٥ .

اشتد الوجع وبرح بالعليل فينبغي أن يضع على العضو الأضمدة المخدرة من ذلك الداء)) .

ج/ أوجاع الظهر :- تناول الأطباء العرب والمسلمون أوجاع الظهر وعرق النَّسَا وعلاجها بشكل بين ، إذ أنهم لم يفرقوا بينها وذلك لتداخل أعراضها . وعلى سبيل المثال نذكر بعض مما جاء عندهم :- يقول "ثابت بن قرة" ((حدوث هذه العلة في الوركين وموضعهما هو ملتقى عظم الظهر والفخذ ، واليهما انتهاء العروق من أعلى البدن ولذلك يكثر انصباب فضول البدن فيقتلانهما لضعف طبائعهما ، ويحدث الوجع فيهما عن الحر والبرد ، وعلاج الحار منه مثل علاج النقرس الحار بالأطلية بالأدوية المانعة فإن ذلك يدفع الفضول الحاصلة إلى الغور فيصير انحلاله . ومما قيل انه من المجرب من العلاج لهذا النوع ، أن يرطب المزاج باستعمال الاستحمام بالماء الحار ، والأغذية الرطبة وتمريخ العضو أسبوعيا ثم يفصد عرق النسا بين الخنصر والبنصر بعد فصد (الباسليق) من اليد المحاذية))[٥٣].

ويعلق "راجي عباس" قائلا ((يذهب هنا "ثابت بن قرة" مذهب الأطباء الإغريق من أن نزول الفضول إلى الأجزاء السفلى من الجسم تسبب آلام الظهر ، وكذلك النقرس في القدم ويصفها إلى الحار البارد ، وربما كان الحار منها إذا ما أصيب الجذر الخاص بالإحساس حيث يكون الألم شديدا أو عندما يكون الألم بسبب التهابات جرثومية ، أما البارد منها وهي عندما يكون هناك آلاما مزمنة بسبب سوفان الفقرات أو جهد الأنسجة الرابطة

---

[٥٣] ثابت بن قرة ؛ الذخيرة في علم الطب (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٢٨) ص١٢٥ .

للفقرات أو مفصل العجز أو الورك ، ولا يوجد تبرير علمي نستطيع أن نركل إليه لنعلل فائدة الفصد (لعرق الباسليق) من الجهة الثانية للإصابة لشفاء عرق النسا ، أو حتى فصد العرق بين الخنصر والبنصر))[٥٤].

ويصنف "ابن النفيس" أسباب وعلامات وعلاج وجع الظهر إلى أربع أنواع هي كالأتي[٥٥] :-

١/ وجع الظهر يكون إما لبرد مزاج ساذج أو بلغم خام ، فان الظهر لكونه ابرد الأعضاء وأكثفها بسبب النخاع وكثرة العظام والأعصاب والرباطات وقلة اللحم وقلة الحركة والبعد عن القلب لكثرة استيلاء البرد ، وتوليد البلغم الخام في عضلاته وأوتاره ورباطاته ، فيمتدد ويتألم .

علامته/ أزمانه وان حدث قليلا قليلا إلى أن يشتد البرد ويكثر البلغم فيصعب الألم ، وان المشي والرياضة يسكتانه في الأكثر للتسخين والتحليل .

علاجه / استعمل فيها بعض الأدوية النباتية ، تؤخذ عن طريق الفم ، وبعضها للتمريخ .

٢/ وإما من التعب لتحريكه خلطا بلغميا ساكنا وتحريكه وتفريغه له في العضلات والأوتار والرباطات والأعصاب بكثرة التحليل أو من كثرة الجماع .

---

(٥٤) راجي عباس التكريتي ؛ الظهار والفصال في التراث العربي (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠) ص٤٩

(٥٥) ابن النفيس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٥ .

علاجه/ الراحة والحمام للترطيب والتحليل والتليين والمرخ بدهن (الخيري والبنفسج) الممزوجين .

٣/ وإما من ضعف الكلى أو علل فيها ، يوجب ألما في الظهر، أي عضلاته وأغشيته ، أو يوجب ألما في نفس الكلى .

علامته / أن يكون الوجع في القطن لمكان الكِلية .

علاجه / علاج ضعف الكِي وأمراضها .

٤/ وإما من امتلاء العرق الكبير الموضوع على الصلب وتمدده .

علامته/ وجع في جميع الظهر ، من أول ما يتوكأ عليه الأجوف من فقرات الظهر إلى آخر فقرات القطن ، مع ضربان لامتلاء الشريان النازل المجاور له المتكي على الصلب .

علاجه / فصد (الباسليق) وشرب ماء الرمان ... والدخول في الماء البارد .

هكذا وصف الحكيم "ابن النفيس" أوجاع الظهر وفسرها تفسيرا علميا صائبا إلى حد كبير ، لان الأسباب تكمن في كثرة العظام والرباطات والنخاع وقلة اللحم ، ومن ثم فعلا يكثر إزمان الم الظهر في الكثير من المرضى ووجع الظهر قد يكون مرافقا للحميات والجهد والتعب وأمراض الكلى ، وامتلاء الشريان الأبهر ، وهو يشير إليها ويفسر أسبابها ومن ثم يصف العلاج لكل منها[٥٦].

---

[٥٦] راجي عباس التكريتي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٠) ص٩٠ .

د/ انزلاق الفقرات :- تطلق كلمة انزلاق الفقرات عندما يكون هناك تحرك واضح للفقرات بعضها فوق بعض ولاسيما إلى الأمام ونادرا إلى الخلف ، واكبر نسبة من هذا الانزلاق يحدث عند الفقرة القطنية الخامسة ويليها عند الفقرة القطنية الرابعة ، وأحيانا عند الفقرة القطنية الثالثة(٥٧).

وقد أجاد الأطباء العرب والمسلمون الحديث عن ذلك ، فعلى سبيل المثال نذكر ما جاء عند "ابن جميع"(٥٨) حول أنواع انزلاق الفقار وعلاجه ، فجعله في ثلاثة أقسام وكما يأتي :-

القسم الأول : الخلع في الفقار والفك التام

القسم الثاني : الزوال الكبير الذي يقارب الخلع

القسم الثالث : الزوال الذي لا يبلغ الحدين السابقين

ويصف "ابن جميع" حالة المريض في القسم الأول والثاني قائلا ((والخلع التام وما يقاربه من الزوال يضغط النخاع لا محالة ضغطا شديدا وربما ورمه ، وربما هتكه ، وإذا انهتك النخاع بطل من جميع الأعضاء التي يأتي عصبها من موضع الهتك ، أو مما دونه حسها وحركتها. وإذا تورمة تشنجت ، ولذلك صار الفك التام وما يقاربه من الزوال إذا عرض في الفقرات العليا من العنق قتل صاحبه ، لانه يعدم التنفس على المكان من أجل أن

---

(٥٧) راجي عباس التكريتي ؛ مصدر سبق ذكره (ب.س) ص ٨١ .

(٥٨) مريزن سعيد مريزن عسيري ؛ الاستبصار في زوال الفقار لهبة الله بن الحسن بن جميع المصري ، دراسة تحليلية مقارنة ،ج١٧،عدد٢٩ (السعودية ، جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ١٤٢٥هـ) ص٣٩٥-٣٩٩

مخارج العصب المحرك لآلات التنفس من تلك الفقرات . وأما علاج حالة المريض في هذين القسمين ، فهي مستحيلة)) .

وأما القسم الثالث من أقسام انزلاق الفقرات ، فهو ما لم يصل إلى الفك التام أو الزوال الكبير المقارب للخلع ، وهذا القسم جعله نوعين :-

الأول : زوال بسيط ويعني بذلك أن يكون الزائل من الفقرات واحدة أو أكثر ، إلى أن زوالها جميعا إلى جهة واحدة .

الثاني : زوال مركب وفي هذا يكون الزائل مجموعة من الفقرات بعضها، إلى جهة والبعض الآخر إلى الجهة الأخرى .

وفي علاج ذلك أعطى أهمية كبيرة لضرورة معالجة العضو المصاب بالضمادات والمسوحات والمروخات ، وحدد أدوية معينة لمثل هذه الطرق العلاجية . كما وأكد على أهمية الرياضة ودورها الكبير في استعادة العضو المصاب لطبيعته . والغذاء واحد من أهم الأسباب التي أعطى لها أهمية كبيرة في معالجة هذه الحالة المرضية .وعن حدبة الكبار التي يسببها الورم الجاسي فيقول ((إن حالتهم إذا أزمنة واستحكمت واستقرت الحدبة زمنا على حالها ، فإنه يصعب معالجتها وعودتها إلى حالتها الطبيعية ، حتى لو زالت العلة المسببة لزوال الفقرات))

هـ/ داء عرق النَّسَا :- نبدأ بذكر ما ذكره "ابن ما سويه" إذ يقول ((يهيج عرق النسا من الجلوس على الأشياء الصلبة ، ولا يكاد يعرض للغلمان ، ويعرض للشباب والكهول . ومتى أزمنة هذه العلة ، عرج صاحبها ، وهي في الجانب الأيسر أشد))[٥٩].

---

(٥٩) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (ج١١) (١٩٦٢) ص١٨٤ .

ويعلل "ابن الجزار" كيفية حدوث عرق النسا فيقول ((إن هذا الداء المسمى عرق النسا يتولد من تحلب الكيموسات في العصب الغليظ المجاري . . وهو بين عضل الفخذ . وأكثر ما يتولد من الكيموس البلغمي اللزج إذا رسب وتعفن في حق الورك . . فيعرض من ذلك وجع في الورك... وأكثر ما يعرض ذلك في الكهول والمشايخ))[٦٠].

ويقول "الرازي" [٦١]عن علامات وجع عرق النسا ((يعرض لصاحبه وجع في الورك وثقل وإبطاءً في الحركة ومجسته ضعيفة صغيرة كثيفة جدا وربما عرضت له الحمى فلا يقدر أن ينقلب على جانبه ، وربما بلغ الوجع من الورك إلى الركبة وربما بلغ إلى الكعب ، وربما لم ينزل من حد الإربية ، وإذا طال هذا السقم هزل هذا العضو هزالا شديدا بوجع وألم شديد وينطلق البطن ويجد إذا غمز راحة كثيرة ، ويشتد عليه المشي في أول علته فإذا أزمنة قل توجعه له ، ومنهم من يمشي على أطراف أصابعه ويمد صلبه ، ولا يقدر أن يركب ، ومنهم من يركب ويمشي متكئا لا يقدر أن يسوي قامته)) . ويقول عن عرق النسا ((يكون من كثرة الدم ، وإذا كان كذلك فعلاجه سهل ، فصل العرق الذي تحت مثنى الركبة أو العرق الذي بجانب الكعب ، وأعظم الأشياء ضررا ترك الفصد ووضع الأدوية الحارة على الورك والجسم ممتلئ مما يزيد بالانجذاب إليه وينعقد فيه شيء كثير ، فأبدا أولا بالفصد والاستفراغ بالإسهال مرات ثم ضع الأدوية الحارة)). ويقول في علاجه ((عالج عرق النسا بنبات (الشيطرج) قال خذه وهو ناظر في

---

(٦٠) ابن الجزار ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٩) ص٦١ .

(٦١) الرازي ؛ نفس المصدر السابق (ج١١) (١٩٦٢) ص ١٠٠ ، ١٠٣ .

الصيف لأنه في الشتاء أضعف وانعم دقة فإنه عسر الدق واسحقه نعما مع شيء من شحم ثم ضعه على حق الورك والرجل كاها واربطه ودعه أربع ساعات إلى ست ، ثم ادخله الحمام فإذا ندى بدنه ادخله (الأبزن) ثم خذ عنه الضماد ، وضع على الموضع صوفا تغطيه به . ولا يحتاج إلى شيء آخر فإنه يكفيه البتة ، فإن بقى شيء فعاوده مرة أخرى فقط ، وفي الأكثر لا يبقى شيء البتة ولا تعده إلى بعد عشرة أيام ، ثم أرحه في الوسط))

ونحن مع قول "راجي عباس" إذ يعلق على ما ذكره "الرازي" ((في وصفه لإعراض وعلامات عرق النسا فيه الكثير من الوصف الدقيق ؛ إلا انه لا يوجد تفسير عن العلاقة بين عرق النسا وامتلاء الأوعية بالدم ، وكذا لا يوجد فائدة أو تفسير علمي بين الفصد أو الاستفراغ بالإسهال أو القيء وشفاء الآلام الناتجة من عرق النسا . أما قوله في العلاج فإنه يبدوا من الناحية العلمية الحديثة أكثر منطقية ، حيث هذه التركيبة في الطلاء على الورك والساق وإعادتها مرة أخرى بعد عشرة أيام والراحة بين العلاجين قد يساعد في تخفيف الألم ومن ثم ربما بالراحة تحرير العصب من الضغط الذي يتعرض له))[٦٢].

ويذهب "المجوَسي" إلى مذهب الأطباء العرب الذين سبقوه من حيث تأثرهم بالمدرسة الإغريقية لسبب أعراض عرق النسا وعلاجها فيقول[٦٣]((أما العلل التي تعرض في الوركين والرجلين فهي عرق النسا ، ووجع المفاصل والنقرس ، فأما عرق النسا فهو نوع من أنواع المفاصل وذلك أن هذه العلة

---

[٦٢] راجي عباس التكريتي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٠) ص٥٨ ، ٦٠ .

[٦٣] المجوَسي ، مصدر سبق ذكره (ج١) (١٢٩٤هـ) ص ٣٩١ .

تحدث في مفصل الفخذ ويفرق بينها وبين وجع المفاصل ، لان الوجع في هذه العلة يكون في ظاهر عظم الفخذ وينتهي إلى مفصل الركبة ، وربما انتهى إلى الكعب والى طرف الرجل من الجانب الوحشي ، وحدوثها يكون إما من خلط دموي غليظ ، وإما من خلط بلغمي محتقن في مفصل الورك ، وربما انخلع الورك في هذه العلة بسبب لزوجة هذا الخلط ، فإذا طال الزمان على هذه العلة ضمرت الرجل وحدث عنه العرج ، وكذلك إن الرجل لا يصل إليها الغذاء على ما ينبغي فتهزل)) . ومن بين ما ذكره في العلاج ((ينبغي أن يسح العضو بدهن السمسم المدقوق في الهاون المستخرج دهنه ويدخل البيت الأوسط من الحمام وينطل عليه كما قلنا الماء الحار المعتدل الحرارة أسبوعا ، ثم يعطيه بعض الأدوية المسهلة)) .

وقد ذهب "ابن سينا " الى المنحى نفسه في وصفه عرق النسا وعلاجه ، ولا نرى ضرورة لذكر أقواله جميعها بل نقطف بعض منها[٦٤] ((وأما وجع الورك فهو الذي يكون فيه الوجع ثابتا في الورك لا ينزل إلا إذا انتقل إلى عرق النسا ، وكثيرا ما يعرض عن ضعف يلحق في الورك بسبب الجلوس على الصلابات ، وبسبب ضربة تلحقه ، وبسبب إدمان الركوب)) ويقول ((وعرق النسا من اشد أوجاع المفاصل والكي يؤمن منه)) . وفي العلاج استعمل أنواعا من المروخات وتراكيب أدوية مختلفة لتسكين الوجع منها تؤخذ عن طريق الفم ومنها تستعمل موضعيا ، وادخل في بعضها علاجات مخدرة (كالأفيون والبنج والشوكران) .

---

[٦٤] ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٦١٥ ، ٦٢١ .

٥/ مرض داء السكري:-

لم يعرف الأطباء العرب والمسلمون حقيقة مرض السكر وسببه وقد اكتفوا بإعطاء أعراضه وبنوا أفكارهم على نظرية الأخلاط والطبائع التي أخذوها عن (اليونانيين) ، نستعرض فيما يأتي بعض الآراء مثالا لما كان سائدا لديهم ونبدأ بذكر قول "الرازي" في ذلك إذ يقول ((إذا كان البول مع الشبه بالماء ، خروجه سريعا فإن هذا حينئذ هو المرض المسمى ديابيطس وهذه العلة من العروق بمنزلة سلس المعي ، وذلك أنه كأنه موت القوة المغيرة والماسكة فهذا شر أصناف البول غير النضيج))[٦٥].

ويقول "ابن سينا"((ديابيطس هو أن يخرج الماء كما يشرب في زمان قصير ونسبة هذا المرض إلى المشروب وإلى أعضائه نسبة زلق المعدة والأمعاء إلى المطعومات وله أسماء باليونانية غير ديابيطس ، فإنه يقال له أيضا (دياسقومس وقراقيس) ويسمى بالعربية (الدوارة والدولاب وزلق الكلية وزلق المجاز والمعبر) . وصاحبه يعطش فيشرب ولا يروى بل يبول كما يشرب غير قادر على الحبس ألبته . وقال بعضهم إن هذا يعرض بغتة لأنه أمر طبيعي غير كائن بالإرادة ... وسبب ديابيطس حال الكلية إما لضعف يعرض لها ، واتساع وانفتاح في فوهات المجرى فلا ينضم ريثما تلبث المائية في الكلية، وقد يكون ذلك من البرد المستولي على البدن أو على الكبد ، وربما فعله شرب ماء بارد وحصر شديد من برد قارس ... وهو مرض رديء ربما أدى إلى الذوبان وإلى الدق بسبب

---

[٦٥] الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (ج ١٩) (١٩٦٢) ص ٥ .

كثرة جذبه الرطوبات من البدن ومنعه إياه ما يجب أن يناله من فضل الرطوبة بشرب الماء))[٦٦].

ويقول "الزهراوي" ((ذَرَبُ البول : يسمى باليونانية (ديابيطس) ومعناه أن الماء الذي يشرب ينفذ بسرعة ويسمى أيضا ديفاقيوش ، ومعناه العطش . وحدوثه من ضعف القوة الماسكة وشدة القوة الدافعة ، وسبب ضعف هذه القوة الماسكة حرارة خارجة عن الاعتدال إما بمادة أو بغير مادة . وعلامته : العطش الدائم ، لا يبتل فم العليل إلاّ ساعة مباشرة الماء ثم يجف فيه على المقام ولا يرتوي من الماء ، ويطلبه باردا فإذا شربه وجده حارا ، ويبوله على المقام أبيض رقيقا غير متغير كأنه الماء المشروب فإذا تمادى به الحال ذبل البدن))[٦٧].

ويذكر "عبد اللطيف البغدادي" أسباب كثرة التبول التي هي بإيجاز[٦٨]((استرخاء المثانة ، ضعف في هذه العضلة ، قرحة في مجاري البول ، ضعف القوة الماسكة التي في الكلى)) ويتناول الحديث عن مرض البول السكري الذي سماه كسابقيه (ديابيطا) فيقول ((وقد يكون هذا الاسترسال عن سوء مزاج حاد يعرض للكلا ... فيجذب الرطوبات من البدن جذبا قويا وأول جذبها إنما يكون من نواحي الكبد ، فإذا أعوزت الكبد رطوبتها جذبت من المعدة ثم المعدة تجذب من المريء والمريء يجذب من

---

[٦٦] ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ٢) ص ٥٢٦ – ٥٢٧ .

[٦٧] الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (ج١)(١٩٧٣) ص ١٨٦ .

[٦٨] البغدادي ، عبد الطيف ؛ مقالتان في الحواس ، تحقيق بول غلينجي وسعيد عبده (الكويت ، مطبعة الكويت، ١٩٧٢) ص ١٢٧ .

الفم فيعرض فيه جفاف ، وهذه الرطوبة إذا كثرت في الكلى ثقلت عليها فدفعتها عنها بسرعة وأقبلت تجتذب شيئا آخر ... وتكون القوة الماسكة في هذه التي في الكلى قد ضعفت أو بطلت أما القوة الجاذبة فتزيد زيادة الإفراط ، لا يرويه ماء لأنه لا يلبث في محل الحاجة بل يخرج وينفذ كما يرد ولذلك تسمى هذه العلة(ديابيطا) ومعناه عبارة الماء)) .

من أجل إعطاء فكرة عن طريقة معالجة هذا المرض من قبل الأطباء العرب والمسلمين نذكر قول "ابن سينا" ((أكثر علاجه التبريد والترطيب بالبقول والفواكه والربوب الباردة مما لا يدر ، مثل الخس والخشخاش ، والسكون في الهواء البارد الرطب ، والجلوس في أبزن بارد ..ليسكن عطشه وتبرد كليته وتشتد عضلية وينفع فيه شم الكافور والنيلوفر ونحوه من الرياحين ، ومما ينفع من هذا التنويم والشغل عن العطش وتدبير العطش))[٦٩].

ويقول "الزهراوي" ((وعلاجه أن يكون مضجع العليل في المواضع الباردة الهواء المرشوشة بالماء المفروشة بالحشائش الباردة ... وينام على الفرش الباردة ، ويدخل الحمام ثلاث مرات في اليوم ، ويضمد أسفل ظهره (بالبزر قطونا المضروب بالخل والصندل والماورد) ويكثر من النوم ويسقى من أقراص (ديابيطس) بماء الرمان الحامض أو رب السفرجل أو رب الريحان ، ويسقى الجلاب مع الكافور والطين الأرمني ويشرب ماء ورق الكرم المدقوق المعصور مع خل خمر وعصارة البقلة الحمقاء ، ويسقى من نقيع التمر هندي وشراب الكمثرى ، ويجعل طعامه سماقية أو حصرمية ، ويسقى

---

[٦٩] ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٥٢٦-٥٢٧ .

ماء الشعير مع دهن اللوز ... ويجتنب الأغذية الحارة وكل ما يدر البول والعرق))[٧٠].

ويقول "عبد اللطيف البغدادي" ((ولما كانت هذه العلة تحدث عن سوء مزاج حاد في الكلى وجب أن تقاوم بما يبرد ويرطب ويغري ويجفف في بعض الأحيان ، فلما كان البدن يعرض له من ذلك هزال وجفوف وجب أن يؤخذ في طريق ما يسمن ويرطب ويخصب ، ولما كانت الرطوبات قد مالت نحو الكلى وجب أن تجذب الرطوبة عنها نحو سطح الجلد على وجوه مختلفة ، بالحمام اليابس والتعريق والدلك))[٧١].

٦/ كسور العظام :-

لقد تنبه الأطباء العرب والمسلمون إلى حقيقة علمية عرفت حديثا وهي تأخر التحام العظام في كبار السن نتيجة إصابتهم بهشاشة العظام ، وعدم إلتآم عظامهم لذلك . يقول "الرازي" [٧٢]((عظام الصبيان يمكن أن تلتحم أما عظام ... الشيوخ فلا. وأما أن يجتمع على الجزأين شيء يلزقهما فذلك يكون ، وسبب ذلك أن العظم يغتذي بغذاء يشاكله فيجمد على طرفي العظمين من قلة غذاء العظم شيأن يلتزقان به)).وفي موضع آخر يقول ((والساعد ينجبر في ثلاثين يوما .. وربما برء في ثمانية وعشرون يوما على قدر اختلاف الأبدان ، فإنه متى كانت القوة قوية ، والذي فيه غلظ

---

[٧٠] الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (ج ١) (١٩٧٣) ص ١٨٦ .

[٧١] البغدادي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٢) ص ١٢٨ – ١٢٩ .

[٧٢] الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (ج١٣) (١٩٦٢) ص١٢٩، ٢٤٤ .

أسرع الجبر ، ويبطئ في الغلمان والمشايخ لرقة دم الغلمان ، وانه ينفذ منه كثيرا في غذائهم ، وضعف قوة المشايخ)) .

ويؤكد ذلك "الزهراوي" في الفصل من الباب الثالث من كتاب (التصريف) فيقول ((العظام المكسورة إذا كانت في المسنين فلا يمكنها أن تتصل وتلتحم على طبيعتها الأولى ، وإنما يتصل ما كان من العظام في غاية اللين كعظام الصبيان ، والطبيعة تنبت على العظم المكسور من جميع جهاته شيء يشبه الغراء ، فيه غلظ يلزق به بشدة حتى يلزم بعضه بعضا))[٧٣].

وفي نهاية تناولنا أمَراض الشيخوخة ، لابد من ذكر قاعدة مهمة في الجزء العملي في معالجتهم الأمراض بشكل عام ، إذ يقول "البغدادي" ((ينبغي أن يراعى في العلاج : السن، والعادة، والفصل، والصناعة،فلا يسهل بالدواء شيخ كبير ولا طفل صغير ولا من به ذرب البطن ولا صاحب كدٍ وتعب ولا قيم حَمَام ولا ضعيف القوة ولا ضعيف البدن جدا ولا سمين جدا ولا أسود ولا من به قرحة ولا في شدة الحر والبرد ولا من اعتاد الدواء))[٧٤].

المحور الثالث/ الغذاء (فوائده ومضاره) لكبار السن :

مما لاشك فيه بأن الغذاء الجيد الحاوي على جميع العناصر الأساسية في مختلف مراحل حياة الإنسان يحافظ على أنسجة الجسم من

---

(٧٣) الخطابي ، محمد العربي ؛ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية . ج١ (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨) ص ٢٥٥ .

(٧٤) البغدادي ، موفق الدين عبد اللطيف ؛ الطب من الكتاب والسنة ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٨٦) ص٥٤ .

الانحطاط ويضفي على الشخص الكثير من الحيوية والنشاط حتى في سن الشيخوخة . وعلى العكس فإن النقص في أي عنصر أو نوع من الغذاء يمكن أن يؤثر في صحة الإنسان ويعجل بالشيخوخة . وغذاء الشيخ له خصوصيته عن غيره فحاجته للزلاليات قليلة لأن عمليات البناء في جسمه تكاد تكون متوقفة لذا عليه التقليل من اللحوم . ومن أجل التعويض عن نقص الكلس الذي يصيب عظامه عليه أن يديم تناول الحليب أو اللبن يوميا ، ويمكنه تناول بيضة واحدة بين يوم وآخر . أما الدهنيات والحلويات والمعجنات والسكريات فتقليلها قدر المستطاع أمر محتم بالنسبة للشيخ . وعليه الإكثار من الخضراوات والفواكه الحاوية على السليلوز ليحفظ نفسه من الإمساك .

ونستعرض فيما يأتي ما جاء لدى الأطباء العرب والمسلمين عن ذلك وهي في مجموعها لا تخرج عن الإطار الذي يحدده الأطباء وعلماء التغذية اليوم .

على سبيل المثال يقول "الرازي"[٧٥] في التغذية ((الأبدان يجب أن تتغذى بمقدار الوقت والمزاج فأن الشتاء وسن الصبيان والمزاج الحار والكد والرياضة توجب أن يكون الغذاء كثيرا وبالضد ... وأما السن فلان الصبيان لكثرة ما يتحلل منهم يحتاجون إلى غذاء كثير ، وكذلك الشباب ، وأما المشايخ فأقل ... وأما المشايخ فيحتاجون أن يغتذوا قليلا قليلا في أزمنة متقاربة)) . ويقول "الرازي" في تغذية المشايخ أيضا ((أحمل الناس

---

[٧٥] الرازي ، مصدر سبق ذكره (ج٢٣) (١٩٦٢) ص٩، ص١٠٩

للامساك عن الغذاء المشايخ ، ويعدهم الكهول ، والفتيان اقل احتمالا له ، والصبيان اقل احتمالا من الفتيان . ومن كان من الصبيان أقوى شهوة فهو اقل احتمالا له ، وإنما يصلح هذا في المشايخ فيمن هو ابتداء الشيخوخة لا في الذين هم في الغاية القصوى ،لان أولئك يحتاجون إلى الغذاء في كل قليل ، ولا يحتملون الإمساك عنه وقتا طويلا،وأكثرهم يحتاج منه إلى القليل جدا في كل مرة)) .

ويقول "البلخي" ((وينبغي لمن كانت طبيعته قوية صحيحة أن يستوفي أكلته ، فإنه يتهيأ له أن يجعلها في اليوم والليلة واحدة ، وأما من ضعفت قوته كالمشايخ والناقهين من العلل ، فانه ربما عجز لضعف قوته عن استيفاء أكلته ، وينبغي أن يخفف على الطبيعة ، ويتناول من الطعام قدر ما يتهيأ له استمرائه ويجعلها مرتين أو أكثر ويتحرى أن يكون ما يغتذي به الطيف من الأطعمة والأغذية ، ويقلل كميته في كل مرة ، ليتهيأ له استمراءه ولا يتولد عليه مكروه))[٧٦].

ويقول "المجَوَّسي"[٧٧] عن غذاء المشايخ (الهرمى) ((أن يغتذي بالأغذية الحارة الرطبة السهلة الانهضام السريعة الانحدار عن المعدة بمنزلة (الخبز والدجاج القبج ، وأجنحة الإوز)... ومن البقول (الخس والهندبا والخباز والسلق) وينبغي أن يجتنبوا الأغذية الغليظة والبطيئة الانهضام بمنزلة لحوم (البقر والتيوس) وما شاكل ذلك . ومن الاطبخة (الهرايس

---

(٧٦) البلخي ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٥) ص ٤٠٧ .

(٧٧) المجَوَّسي ؛ (ج٢) (١٢٩٤ هـ) ص٦٠ .

والرؤوس ...وهذه الأغذية إذا أدمن عليها المشايخ ولدت فيهم الاستسقاء والسدد في الكبد والطحال والحصى في الكلى والمثانة)) . ويضيف "المجوسي" في أغذية المشايخ (والهرمى) فيقول ((ينبغي أن يجتنبوا جميع الأغذية المولدة (للكيموس) الرديء ما كان منها حريفا مولد للصفراء كالخردل والثوم والبصل ، وما كان مولا للبلغم (كالفطر والكماة) وما كان مولدا للسوداء (كالعدس والكرنب) ويتجنبوا أيضا الأغذية السريعة الفساد في المعدة (كالتوث والمشمش والبطيخ والقرع) ويستعمل من الفاكهة (التين والعنب والتين اليابس والزبيب الطافي مع الجوز واللوز) ويجب أن يعطيهم غذائهم في النهار مرتين ، ومن كان منهم بضعف ، فليكن غذائه في النهار ثلاث مرات قليلا قليلا فإن حرارتهم الغريزية لا تحتمل تناول الغذاء دفعة واحدة ، لأنها لا تقوى على هضم الكثير لضعفها))

وعن غذاء الشيخ يقول "ابن سينا"((ويغذى في كرتين أو ثلاث بحسب الهضم وقوته وضعفه فيأكل في الساعة الثالثة الخبز الجيد الصنعة مع العسل ، وفي السابعة بعد الاستحمام ما يلين البطن مما نذكره ويتناولوا بعد ذلك بقرب الليل الطعام المحمود الغذاء فإن كان قويا زيد في غذائه قليلا وليتجنبوا كل غذاء غليظ يولد السوداء والبلغم ، وكل حاد حريف يجفف مثل الكواميخ والتوابل ...وأما اللبن فينتفع به منهم من يستمرئه ولا يجد عقبه تمدد في ناحية الكبد والبطن ، ولا حكة ولا وجع ، فإن اللبن يغذوا ويرطب وأوفقه لبن الماعز ولبن الأتن . ومن خواصه انه لا يتجبن كثيرا وينحدر سريعا ولاسيما إن كان معه ملح وعسل ، وأما البقول والفواكه التي تتناولها المشايخ فهي مثل السلق والكرفس وقليل من الكراث يتناولها مطيبة بالمرّي والزيت

وخصوصا قبل طعامهم ليعين على تليين الطبيعة وإذا استعملوا الثوم في الأوقات كانوا معتادين له انتفعوا به و(الزنجبيل المربى) من الأدوية الموافقة لهم ...ومما يستعملونه لتليين طبائعهم ويوافق أبدانهم من الفواكه التين والأجاص في الصيف ، والتين اليابس المطبوخ بماء العسل إن كان الوقت شتاءً وجميع هذا يجب أن يكون قبل الطعام))[٧٨].

ويقول "ابن هبل" [٧٩] في ذلك ((وإن ضعفوا يفرق غذاؤهم بأن يطعموا في اليوم مرات ويحسوا الأمراق القوية كماء اللحم فإن هضومهم ضعيفة ويجتنبوا الأغذية الغليظة كالهرايس والرؤوس والقديد والعدس .... ولا يمنعوا من البقول كمثل الخس والهندباء ، والسلق والاسفناخ ، ومن الفواكه يأكلون التين والعنب والبطيخ الحلو)). ثم يقول((والشيخ أجود ما تحفظ به صحته اختيار الطعام الصالح اللطيف القابل الهضم ، ويتجنب الأشياء الرديئة والغليظة والعسرة الهضم . ويجتنبون الماء المثلوج الشديد البرد خاصة فإنه يقرع معدتهم ويطفئ حرارتهم والجلاب نعم المفذ لغذائهم ولا شيء أنفع لهم عن الشراب)).

ويقول "ابن البرقماني" [٨٠]في غذاء المشايخ ((وينبغي للشيوخ أن ينقص من أغذيتهم التي كانوا عليها في زمن الشبيبة بتدريج قليلا قليلا

---

(٧٨) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص١٧٨ .

(٧٩) ابن هبل ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) (١٣٦٣ هـ) ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٨٠) ابن البرقماني ، فاضل بن أبي الحسن الاسرائلي السكندري ؛ المقالة الحسينية في تدبير الصحة البدنية ، مخطوط (القاهرة ، جامعة القاهرة ، ٢٠٧٥هـ) ص ٢٠-٢١ .

ويحاول تلطيف الغذاء وترطيبه ما أمكنهم وليفرقوا أخذه كما أمر "جالينوس" فليأكل مرتين وثلاثة في اليوم بحسب قوة الهضم وتلين الطبيعة للأغذية الملينة باعتدال من غير حمل مشقة على البدن)) ويضيف القول ((عليهم باجتناب كل غذاء غليظ وخاصةً ما ولد السوداء والبلغم ، وما له كايموس رديء كلحوم البقر والتيوس والقديد والمسلوق من البيض إذا أشتد ، ولا لكبيرة الحدة من السمك والعدس والكرنب والباذنجان والقلقاس والثوم والبصل والفجل والكراث ، فهذه النباتات قد جمعت بين الرداءة والغلظة ، فليست محمودة للناس عامة وللمشايخ خاصةً . وليحذروا الأغذية السريعة الاستحالة والفساد في المعدة كالمشمش والتوث والبطيخ ، ويتوقوا حلاوةً يدخلها النشا أو الدقيق وما فيه قوة قابضة كعجمي الزبيب وكذلك الحوامض والموالح الحريفات لاسيما الإكثار منها . وليرتاضوا قبل الغذاء رياضةً لطيفة برفق ولا يأخذوا من الغذاء إلى على نقاء تام ، وخلو من المعدة وبشهوة صادقة ، وليكن الغذاء محمود الكايموس سريع الانحدار عن المعدة ... مع توقي الامتلاء من الغذاء بحيث يؤدي إلى تمدد المعدة ، فينبغي أن لا يشرب الماء إلى على عطش صادق ، وليكن من الماء العذب المعتنى بشأنه من التلطيف والمشروب بأوعية مبخرة لائقة معتدلة في البرودة ، ويجتنب ما كان فيه ملوحة)) .

وقبل أن ننهي هذه الفقرة ، نشير إلى انه كان للأطباء العرب منهج بين في علاج الأمراض ، حيث أنهم اعتبروا الغذاء بديلا عن الدواء في معالجاتهم ، فكانوا يبدؤون بعلاج المريض بالأزم (الصوم) والحمية بتحديد كمية الطعام أو نوعه ، وفي ذلك راحة للمعدة وإصلاح لما فيها من فساد .

وإذا أخفقت الطريقتان في إبراء المريض عالجوه بالأدوية إذ كانوا يرون أن الدواء لا يخلو من الأضرار . فقد جاء عند الغالبية منهم إشارات من ذلك قول "ابن الأكفاني" ((اجمع الأطباء على انه متى أمكن مداواة مرضٍ بتقدير الغذاء لا يتعرض للدواء ، وإذا احتيج إلى الدواء فيكتفي بالأدوية الغذائية ما أمكن ، فان كان ولا بد من محض الدواء فليكن بالأدوية اللطيفة ، وما أمكن الاستغناء بالدواء المفرد عن المركب فلا يتجاوز إليه ، كل ذلك فرارا من الإقدام على ما يغير الأبدان تغيرا شديدا ، وكذلك متى أشكل أمر التغذية في الإعطاء والمنع رجحوا جانب الإعطاء لأنه المعتاد ، وكذلك في شرب الماء يطلقون منه اليسير ولا يمنعونه البتة))[٨١]. وهذا المنهج في العلاج بالأغذية لم يكن مألوفا عند "اليونانيين" .

المحور الرابع/ الرعاية البدنية والنفسية لكبار السن :

نكاد لا نجد كتابا من الكتب الطبية العربية الأساسية خاليا من فصل خاص طال أم قصر لكيفية العناية البدنية والنفسية لكبار السن . وأن الالتزام بالقواعد الصحية والعادات الصحية في مختلف مراحل حياة الفرد حتى الشيخوخة ضرورة واجبة ، التفريط فيها يؤدي إلى عواقب وخيمة . من هنا كان اهتمام الأطباء العرب والمسلمين برعاية الكهل والشيخ اهتماما جديرا بالإكبار .

---

(٨١) ابن الأكفاني ، محمد ابن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري : غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ، تحقيق صالح مهدي عباس (بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٤) ص٦٢ .

أولا / تدبير كبار السن :-

نستعرض فيما يأتي ما جاء عند الأطباء العرب والمسلمين حول تدبير الكهول والشيوخ ، يقول "الرازي" ((أما الكهول فليكن ميلهم إلى الأستفراغ بالأدوية ، وأكثر منه إلى إخراج الدم ، وليبقوا على أنفسهم بان يقللوا الكد والجماع لتبقى عليهم أبدانهم ولا يشيخوا مدة طويلة . وأما المشايخ فليدعوا الكد والتعب والجماع وإخراج الدم البتة ؛ وليكن ذلك منهم أقل ما يمكن إلا من حاجة شديدة ، وليغتذوا بالأغذية الحميدة السهلة الهضم ، ويكثروا من الاستحمام والنوم والدعة والطَيب من الأشربة المعتدلة الرقيقة الصافية باعتدال من المزاج والقدر ، فانه بهذا التدبير يمكن أن يتدافع عنهم الهموم والذبول مدة طويلة ، ولا تنهدم أبدانهم ولا تتحطم بسرعة))[٨٢].

نذكر على سبيل المثال قول "المجَوَسي" [٨٣]((أما الكهول فينبغي أن يكون تصرفهم في مواضع معتدلة الهواء ما أمكن والتكن مائلة إلى الحرارة والرطوبة ، ولا يكثروا من الكد والتعب ، بل يعدلوا رياضتهم ويكثروا من الاستحمام بالماء العذب ، ولا يطيلوا المكث في هواء الحمام بل (الأبزن) ويدلكوا دلكا معتدلا ويتمرخوا بدهن (البنفسج مختلطا بدهن الخيري) ليرطب بذلك أبدانهم ويسخنها باعتدال)). يقول "المجوّسي" في المشايخ ((ولأن مزاج أبدان المشايخ الطبيعي بارد يابس فينبغي أن يدبر بالتدبير المسخن

---

(٨٢) الرازي ، أبي بكر محمد بن زكريا ؛ المنصوري في الطب ، تحقيق حازم البكري الصديق (الكويت ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، ١٩٨٧) ص ٢٣٤ .

(٨٣) المجَوَسي : مصدر سبق ذكره (ج٢) (١٢٩٤هـ) ص٥٩ .

الرطب فيكون مأواهم في المواضع التي هواؤها ليس باليابس بل شبيها بهواء الربيع)) .

ويقول "الجرجاني" في تدبير المشايخ ((ينبغي أن يجعل التدبير في سن الشيخوخة ، ما يسخن ويرطب وذلك بالاستحمام بالماء الحار العذب ، والأطعمة التي تسخن وترطب ، والدلك بالغداة مع الدهن والرياضة التي لا يتعب معها البدن . فان كانت القوة ضعيفة فليستعمل الغذاء مقادير قليلة في مدة قصيرة ، وان كانت القوة قوية قويته، فيستعمل الغذاء مقادير وافرة في مدة طويلة ... ويجب على الشيخ أن يتجنب ما يولد السدد من الأشربة الحلوة الغليظة التي تولد (كيموسا) غليظا أو (كيموسا) لزجا ، ويترك من اللحوم ما كان صلبا وما كان عسر الانهضام ويقتصر على لحوم الجداء والطيور))[٨٤].

ويقول "ابن سينا" في فصل تدبير المشايخ ((جملة تدبيرهم في استعمال ما يرطب ويسخن معا ، من إطالة النوم والُبث في الفراش أكثر من الشبان ومن الأغذية والاستحمامات والاشربة ، وإدامة إدرار بولهم وإخراج البلغم من معدهم عن طريق المعي والمثانة ، وان يدام لين طبيعتهم ، وينفعهم جدا الدلك المعتدل في الكمية والكيفية مع الدهن ، ثم الركوب أو المشي إن كانوا يضعفون عن الركوب ، والضعيف منهم يعاد عليه الدلك ويثنى ، ويجب أن يتعهد التطيب من العطر كثيرا وخصوصا الحار باعتدال

---

(٨٤) الجرجاني ، أبو سهل عيسى بن يحيى ؛ كتاب المائة في الطب ، مخطوط برقم ٦/٢٣ (الموصل ، مكتبة الأوقاف خزانة داود الجلبي ، ب.ت) ص ٣٩٨ .

وإن يمرخوا بالدهن بعد النوم فإن ذلك ينبه القوة الحيوانية ثم يستعمل المشي والركوب))[٨٥].

ويقول "ابن هبل" أيضا في العناية بالكهول[٨٦] ((وأما الكهول فيجب أن يكونوا في مواضع معتدلة الهواء وأن يقللوا من الكد والتعب ويقللوا من الجماع والفصد والإسهال لنقص فضولهم فذلك أوفق لهم . ويغتذوا من الأغذية الحارة الرطبة ويتغرقوا بالأدهان المرطبة كدهن (البنفسج واللوز ودهن حب اليقطين) ويسعطوا منه . ويكثروا من الاستحمام والجلوس في (الأبزن) ويخرجوا منه إلى سكون ودعة)) ويقول في تدبير الشيوخ ((وأما الشيوخ فيدبرون تدبيرا رقيقا كتدبير الأطفال لان مزاجهم بارد في غاية اليبوسة ، وأعضائهم منتقعة في الرطوبات الغريبة المتولدة فيهم لضعف حرارتهم الغريزية وعجزها عن إتمام المهضوم ، ومكانهم يجب أن يكون معتدلا إلى الحرارة وخاصة في الشتاء يجب أن يأووا إلى المدافيء ويطعموا الأغذية الحارة الرطبة ، ويمنعوا الكد والتعب ، وتكون رياضتهم إن كانوا أقوياء بالمشي الرفيق وان كانوا ضعفاء بالركوب ، ويكثرون من استعمال الطيب المعتدل الحرارة)).

ويقول" ابن البرقماني"[٨٧] وهو (من الأطباء العرب المتأخرين) في باب قانون مفرد في تدبير المشايخ ((بين القدماء أنه ينبغي مراعاة كل سن بحفظ صحته على أمثل الأحوال اللائقة به إلى وقت الهرم وألفنا الطبيعي ،

---

(٨٥) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص ١٧٧.

(٨٦) ابن هبل ؛ مصدر سبق ذكره (١٣٦٣ هـ) ص ١٩٨ .

(٨٧) ابن البرقماني ؛ مصدر سبق ذكره (١٠٧٥ هـ) ص ٢٠ ، ٥٠ .

وكان منع ألفنا غير ممكن ، وأولى ما صرف الطبيب إليه عنايته جهة الشيوخ لضعفهم وكثرة تولد الفضول فيهم . ولما كان مزاج أبدان المشايخ في الطبع باردا يابسا وجب أن يكون تدبيرهم بما يرطب ويسخن أمزجتهم ، بل دخول الحمام المعتدل الهوى والتمريخ اللطيف بألادهان المسخنة المطيبة ، مثل دهن الياسمين والسوسن ، ويستعملون شم الأزهار والرياحين العطرة كالنرجس والياسمين والنسرين والحبق القرنفلي والمرزنجوش ، وشم البخورات العطرة اللذيذة كالند والعود والعنبر والمسك والغالية والخام من العنبر الاسهب أو الأزرق اللون القوي الرائحة ، والمداومة على ذلك في غاية المنفعة لموافقته بتلطيفه وتسخينه ، وكذلك الشم نوافج المسك النبتي خاصةً في زمن الشتاء ، وأما المكان اللائق بهم فالمعتدل مائلا إلى الحر وخاصةً في الشتاء ، فليأووا إلى المدافئ المفترشة بالفرش النعسة والوثيرة والوسائد اللينة المطيبة ، ويناموا نوم الليل الطبيعي المحمود باعتدال ويتجنب السهر المؤرق ويقلل من الرياضة ويحذر الجماع ولا يقرب الفصد والإسهال إلا عن ضرورة ، ويستديم والسرور والترف والدعة ، ويتوقوا الأعراض النفسانية مثل الغضب والهم .. وكذلك كل ما يقبض النفس أو يكدر الأرواح والروائح الكدرة والدخان والغبار ، ويستعمل من الراحة ما يليق بقواهم)) ويضيف في موضع آخر أيضا ((وينبغي أن يجتنب عقب الحمام الانفعالات البدنية والنفسية كالتعب والغضب ونحوهما ، وينام فإن النوم عقب الحمام نافع جدا لإنضاجه الأخلاط الغليظة اللزجة التي في البدن وتحليلها ، فإن وافق الخروج منه نوم الليل المستغرق المحمود كان انفع وأوفق)) .

ثانيا/ الرعاية البدنية لكبار السن :-

قبل أن نتناول رياضة كبار السن ، نذكر ما ذكره"الرهاوي" عن الرياضة وموافقتها لكل الأعمار إذ يقول ((فإما الرياضات الموافقة لكل واحد من الناس ، التي تخرج بها إلى الإعياء والتعب ، فانه يقوي الدماغ على قبوله للغذاء ، وعلى نضجه وعلى إنقائه عنه فضلاته التي لا حاجة به إليها ، وكذلك يقوي أيضا الحواس بأسرها ، ويجود حركات الأعضاء وأفعالها . ويجب أن تعلم أن الرياضة جنس يضم أنواع كثيرة من الحركات ، لان الدلك نوع لها ، والركوب على اختلاف أصنافه نوع لها ، وكذلك المشي والحصار والصراع ، ومما يدخل في جملتها أيضا الدهن (الدهن : هو اللعب بالعصي أو الضرب بها) والتمريخ والاستحمام ، وأشباه ذلك من الحركات القوية ، وذلك أن ليس كل حركةٍ رياضة ، ولكن الرياضة هي الحركة القوية عند المرتاض ، من قبل أن حركة ما تكون قوية عند إنسان ضعيفة عند آخر ، فلذلك ليس كل حركة رياضة ، فالحد من الرياضة هو مع ابتدائها في تغير نفس المتحرك إلى العظم والسرعة والتواتر فإنها حينئذٍ تسمى تعبا ورياضة))[٨٨].

وانه لما يبعث على الإعجاب حقا اشتراط الأطباء العرب والمسلمين في ممارسة الرياضة ، ملاءمتها طبيعة الشخص وقوته البدنية وتركيبه

---

(٨٨) الرهاوي ، إسحاق بن علي ؛ كتاب أدب الطبيب ، تحقيق كمال السامرائي وداود سلمان علي (بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢) ص ٥٢ .

الجسماني . يقول "الرازي"[٨٩] في ذلك ((ينبغي أن يرتاض كل إنسان بقدر احتماله وقوته ، ويقطع الرياضة كلما ثقل عليه ويبدأ به الإعياء)) ويقول ((من الرياضة القوية الصراع والإحضار، ومن المتوسطة المشي السريع ، ومن أضعفها الركوب ، إن لم يكن قطف ، ولا ركض)) ويضيف ((فلان الرياضة القوية تصلح للأبدان القوية التي فيها فضول غليظة ، والوسط للمتوسطة في ذلك ، والضعيفة للضعيفة))

يقول "المجُوسي" عن رياضة المشايخ ((ويبدؤا أولا في تدبيرهم إذا انتبهوا من النوم بالغداة فتمرخ أبدانهم بالدهن وليكن دهن الخيري ودهن بنفسج ممزوج بدهن بابونج أو بدهن الشبث . ومن بعد ذلك تستعمل الرياضة المعتدلة كالمشي المعتدل والركوب المعتدل ، الذي لا يعرض لهم منه إعياء وليكن ذلك بحسب قواهم ، فمن كان منهم ضعيفا فليستعمل الركوب وليقلل المشي الذي لا يتعب ، وكل من كان منهم أضعف فلتكن رياضته أقل ويوقى التعب والرياضة القوية . ثم يستحم بالماء الحار العذب في حمام معتدل الحرارة ، وأما المشايخ الهرمي فلا ينبغي أن يستحموا دائما لكن في كل أسبوع أو في كل عشرة أيام فإن قوتهم لا تحتمل، ومن كان ضعيفا ففي كل شهر مرة ، فإذا فرغ من الاستحمام فليتودع ساعة ثم يغتذي بالأغذية الحارة الرطبة السهلة الانهضام السريعة الانحدار عن المعدة))[٩٠].

---

(٨٩) الرازي ،أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المرشد أو الفصول، تحقيق البير زكي إسكندر (القاهرة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٩٦١) ص ٣٦ -٣٧ .

(٩٠) المجَوّسي ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) (١٢٩٤هـ) ص ١٧٩ .

وبذلك يكون "المجَوَسي" قد وضع منهجا صحيا سليما للشيخ فالتدليك ضروري للشيخ خاصة المقعدون منهم ونصيحته بأن يتبع ذلك رياضة معتدلة حسب قابلية الشيخ وأن تعقب الرياضة الاستحمام والاستراحة ومن ثم يتناول غذاؤه . وتعد هذه النصائح في غاية الحكمة[٩١] .

يتناول "الجرجاني" الحديث عن فوائد الرياضة وأنواعها بشكل عام ، ورياضة الشيوخ بشكل خاص فيقول[٩٢] ((الأبدان المعتادة للرياضة اصبر على التعب وابعد في الأمراض وأطول أعمارا وأبقى شبابا وقوة وأكثر شهوة للطعام . وأطيب نوما وأقوى عقلا وذهنا ، وأنجب في النسل وخاصةً إن ارتاضت المرأة أيضا ... ولا ينبغي أن يرتاض المحموم ولا بعقب النوم الطويل ولا بعقب سهر واستفراغ وتخمة وشرب شراب كثير وصوم ...فالمشي يجلي البصر وينزل فضول الرأس بالمخاط ويخرج ما في الصدر ويدر العرق ويخف البدن وينشط ويصفي العقل والخاطر ويسهل خروج ما في البطن من الثفل والريح ويدر البول ، والمشي الرفيق يرطب البدن والسريع يجففه ، والمعتدل يعين في هضم الطعام ، والقوي يضر المعدة ، وكل حركة سريعة متعبة للبدن مثل (التصاعد ، وحمل الأثقال ، والمشي في طريق غير مستوية وفي الوحل) يتعب الظهر والورك ، وربما حدث من الرياضة الصعبة فتق وانحراف العروق ...فالرياضة إما بالمشي وإما بالركوب ، الراكب يستريح بالمشي ، والماشي بالركوب ، وركوب الأرجوحة ينفع الناقه

---

[٩١] محمود الحاج قاسم ؛ كبار السن ما لهم وما عليهم (حلب ، مكتبة الصفا والمروة ، ٢٠٠٩) ص٤٤ .

[٩٢] الجرجاني ؛ مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩٩، ١٦٠ .

ويفش فضـوله الباقية ، وينفـع المشـايخ ... وينبغـي أن يتـدرج فـي الرياضـة فيبتدئ بألينها ثم يزداد في شدتها ، حتى يصير إلى أشد ما يجب أن يكون ، ثم يتدرج فـى تركهـا ولا يـزال يخفف حتـى ينقطـع ، ولا يسـكن مـن الرياضـة الشديدة بغتتا)) . وفي موضـع آخر يقول ((أن تكون رياضـتهم بالأعضـاء التـي هـي أقوى أعضـائهم ، فـان هذه إذا تركت تحـرك وارتـاض معه سـائر الأعضـاء ..إنما الرياضـة لهم مـا كـانوا الفوه واعتـادوه ، فإنهم يستلذون ذلك ولا يحسون بأذيته))

وهنا نشير إلى أن ما ذكره "الجرجاني" عن فوائد الرياضة هي حقائق أثبتتها الدراسات الحديثة ، وان ما أكده عن التدرج في الشدة من السـهل إلـى الصعب ، وعدم الانقطاع عن الرياضة الشديدة بغتةً ، قواعد تدرس فـي علم التدريب الرياضي حاليا ، كما وانه لم يغفل عن ذكر أضرار الرياضـة الشديدة على كبار السن .

يقول خبراء الرياضة اليوم بان رياضـة المشـي تعد من أفضل أنواع الرياضة للمشايخ ، وهو ما أكده الأطباء العرب والمسلمون من قبل . يقول "البلخي" عن أفضلية رياضـة المشـي ((وأفضـل الحركات التـي يستعان فـي حفظ الصحة حركة المشي، لان كلا من أجزاء البدن يتحرك بحركة المشـي فيصـيبه حـظ منهـا ، ولـذلك يسـخن البـدن عنهـا سـريعا ، ويسـرع بهـا تحلـل الفضـول بـالعرق منهـا .فأمـا حركـة الركوب فليسـت تقـع فـي إفـادة النفـع من حركـة المشـي إلـى موقـع بعيدا ، لان الراكب يحركه مركوبه ، فإما هو فبدنه ساكن مـن الحركـة التـي تخصـه ، ولـذلك ينـال الماشـي من التعب مـا ينـال الراكب إلى بعد مدة تطول...فإما القدر الذي يحتاج أن يستعمله الماشي أو

الراكب من حركات الرياضة للبدن ، فأمر يجب أن يضاف إلى قدر قوة الإنسان ، إذ كان من الناس من يحتمل من الحركة مقدارا أقل ، ومنهم من يحتمل مقدارا أكثر))[٩٣].

وعن رياضة المشايخ يقول "ابن سينا"[٩٤] ((تختلف رياضة المشايخ بحسب حالات أبدانهم وبحسب ما يعتادهم من العلل وبحسب عاداتهم في الرياضية ، فان كانت أبدانهم على غاية الاعتدال ، وافقتهم الرياضات المعتدلة ، ثم إن كان عضو منهم ليس على أفضل حالاته جعلوا رياضته تابعة لسائر الأعضاء في الرياضة ، مثل أن كان رأسه يعتريه الدوار أو الصرع أو انصباب مواد إلى الرقبة ، وكان كثيرا ما يصعد فيه بخارات إلى الرأس والدماغ لم يوافقهم من الرياضات ما يطأطئ الرأس ويدليه ، ولكن يجب أن يمالوا إلى الارتياض بالمشي والإحضار والركوب وكل رياضة تتناول النصف الأسفل ، وإن كانت الآفة إلى جهة الرجل استعملوا الرياضات الفوقانية كالمشايلة ورمي الحجارة ورفع الحجر)) . ثم يقول ((وبخلاف المشايخ المستهلكين الذين يوافقهم أكثر ما يوافق المشايخ فإن أولئك يجب أن يقووا الأعضاء الضعيفة بتدريجها في النوع من الرياضة التي توافقها وتليق بها وأما الأعضاء المريضة فربما راضوها)). وعن دلك المشايخ يقول "ابن سينا" ((يجب أن يكون معتدلا في الكيف والكم غير متعرض للأعضاء الضعيفة أصلا والمثانة ، وإن كان الدلك ذا مرات فليدلكوا في المرات بخرق

---

(٩٣) البلخي ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٥) ص٤٦٧، ٤٦٩ .

(٩٤) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ١) ص ١٧٦ .

خشنة وأيد مجردة فإن ذلك ينفعهم ويمنع نوائب علل أعضائهم وينفعهم الحمام مع الدلك)) .

وهكذا فصلت شروط الرياضة بحسب القابلية البدنية وبحسب العمر (الصغار والكبار، شبابا وكهولا) والحالة الصحية (في الصحة والمرض) ، وجعلوا لكل منها نوعا يناسبه ، ووضعوا لهم ممارسة رياضاتٍ معينة فيها فائدة بدنية ونفسية وتساعد على شفائهم من الأمراض ، ويمكن القول بأن الطب العربي أعتبر الرياضة نوعا من العلاج في بعض الحالات المرضية .

ثالثا/ الرعاية النفسية والاجتماعية لكبار السن:-

الأمراض النفسية قديمة قدم الإنسان ، وإذا كان للطب النفسي مكانة كبيرة في عالم اليوم لانتشار الأمراض النفسية بشكل هائل، فإن المجتمع العربي الإسلامي لم يَخْلُ منه.ومن المدهش حقا أن نجد الأطباء العرب والمسلمين منذ أوائل عصر التأليف الطبي في نهاية القرن الثالث الهجري، قد اهتموا بحفظ صحة النفس كاهتمامهم بحفظ صحة البدن في الشباب والشيوخ. ولقد أطلق الأطباء والفقهاء المسلمون على هذا الفرع من فروع الطب اسم (طب القلوب أو الطب الروحي) .

ولإعطاء فكرة عن ما جاء لدى الأطباء العرب والمسلمين حول الأمراض النفسية ، نذكر ما يأتي :-

١/ حفظ الصحة النفسية :- يقول "البلخي"[٩٥]((فكما أنه يجب أن يبدأ في باب مصلحة البدن بحفظ صحته عليه ، ثم يتبع ذلك بإعادة صحته إليه إذا فقدت ، كذلك يجب في مصلحة النفس أنه يبدأ بحفظ صحتها عليها إذا وجدت ، وإذا كانت صحتها إنما هي في سكون قواها كما وصفنا ، فينبغي لمن أراد حفظ الصحة أن يجتهد في استدامة قوى نفسه ، وألاّ يهيج به منها هائج)) ، ثم يقول ((كذلك النفس إنما تحفظ صحتها عليها من وجهين أحدهما : أن يصان عن الأعراض الخارجية التي هي ورود ما يرد عليها من الأشياء التي يسمعها الإنسان أو يبصرها ، فتقلقه وتضجره ، وتحرك منه قوة غضب أو فزع أو غم أو خوف وما أشبه ذلك والآخر : أن يصان عن الأعراض الداخلية التي هي التفكير فيما يؤديه إلى شيء مما وصفنا من هذه الأعراض ، فيشغل قلبه ، وينقسم ضميره)) .

٢/ تأكيدهم العلاقة الوثيقة بين الصحة البدنية والصحة النفسية :- يقول "البلخي" ((أن إضافة تدبير مصالح الأنفس إلى تدبير مصالح الأبدان أمر صواب ، بل هو مما تمس الحاجة إليه ، ويعظم الانتفاع ، لاشتباك أسباب الأبدان بأسباب الأنفس ، فان الإنسان إنما قوامه بنفسه وبدنه ، وليس يتوهم له بقاء إلا باجتماعهما لتظهر منه الأفعال الإنسانية ، فهما يشتركان في الأحداث النائبة ، والآلام العارضة ، وكما أن البدن إذا سقم وآلم وعرضت له الأعراض المؤذية ، منع ذلك قوى النفس من الفهم والمعرفة وغيرهما أن تفعل أفعالها على وجهها ، ويتفرغ معها الإنسان

---

(٩٥) البلخي ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٥) ص ٥١١ .

للقيام بما يقلقها ويؤذيها ، كان في ذلك ما يشغل الإنسان عن الاستمتاع باللذات البدنية ، واخذ شيء منها على سبيله ، ووجد عيشه مكدرةً ، وحياته متنغصة عليه ، بل ربما أداه تحامل الآلام النفسانية عليه إلى الأمراض البدنية))[٩٦].

إن ما ذكره "البلخي" هنا نسميه اليوم بالطب النفسي الجسمي (Psycho – somatic medicine) ، الذي يقصد به النظر إلى الشخص من زاويته الجسمية والنفسية في وقت واحد ، ويشير إلى العلاقة بين الأعراض الجسمية والنفسية وبشكل خاص ، يبين العوامل النفسية المسببة للاضطرابات العضوية

٣/ مارس الأطباء العرب والمسلمون معالجة الأمراض العصبية والعقلية على اختلاف أنواعها ، وعلى سبيل المثال نذكر بعضا من أقوالهم عن بعض الأمراض النفسية التي قد يصاب بها كبار السن كغيرهم :-

يذكر "ابن سينا" ((إن المالنخوليا تكثر في الكهول والشيوخ ، وتقل في الشتاء وتكثر في الصيف والخريف ، وقد تهيج في الربيع كثيرا أيضا ، لان الربيع يثير الأخلاط خالطا إياها بالدم ، وربما كان هيجان بأدوار في تهيج السوداء وتثور، والمستعد للملنخوليا يصير إليها بسرعة إذا أصابه خوف أو غم أو سهر أو احتبس منه عادةً سيلان الدم أو قيئ سوداوي أو غير ذلك))[٩٧].

---

[٩٦] البلخي ؛ نفس المصدر السابق (٢٠٠٥) ص ٥٠٨ -٥٠٩ .

[٩٧] ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص٨٤٤ .

ويقول "الرازي" في مداواة المالنخوليا ((إذا أزمن بالمريض المرض وطال فانقله إلى بلد مضاد المزاج لمزاج علته ... فكثيرا برئ خلق كثير من المالينخوليا بطول السفر))[٩٨] . ويقول في علاج نفس المرض ((فإني رأيت الفراغ أعظم شيء في تولده . وينبغي أن يعالج هذا الداء بالأشغال فإن لم يتهيأ فبالصيد والشطرنج والغناء والمباراة فيه))[٩٩]. ويقول أيضا ((وسل عن السبب البادي والتدبير وضاده بالعلاج ، فمن كان وقع فيه من ضيق حال ولطف تدبير فأوسع عليه بالضد ، وأغب علاجهم مدة ثم عاوده فإنهم ربما خرجوا من العلة في المدة التي تغب فيها العلاج ، وإدمان العلاج يوهن الطبيعة))[١٠٠]. وهكذا نجد أن "الرازي" أدرك في علاج المالينخوليا حقيقة علمية هامة ، وهي إمكان حصول الشفاء عن طريق النمو التلقائي وبمجرد مرور الزمن ، وإن للإدمان على تعاطي المعالجة أثرا سيئا في إضعاف الطبيعة[١٠١]، ويقول "إسحاق بن عمران" في علاج المالينخوليا[١٠٢]((في كل صباح الأستفراغ

---

[٩٨] الرازي ، مصدر سبق ذكره (١٩٦١) ص ١١٦ .

[٩٩] الرازي ، أبي بكر محمد بن زكريا ؛ الحاوي الكبير في الطب ، ج١ ،ط٢ (الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن ، ١٩٧٤) ص ١١٢ .

[١٠٠] الرازي ؛ نفس المصدر السابق (ج١) (١٩٧٤) ص ١٢٨ .

[١٠١] عبد الرحمن العيسوي ؛ الإسلام والعلاج النفسي الحديث (بيروت ، دار النهضة العلمية للطباعة والنشر ، ب . ت) ص ٢١٣ .

[١٠٢] سليم بن عمار ؛ مقال إسحاق بن عمران في المالنخوليا ، بحث منشور (الكويت ، المؤتمر العالمي للطب الإسلامي ، ١٩٨١) ص١٠ .

في الماء الحار العذب أو الماء البارد في صميم الصيف والأدهان بعد التنشف بالمناديل بالأدهان الكثيرة الرطوبة مثل دهن الكتان وزيت اللوز ... الخ)) كما يؤكد الاعتناء بالصحة العامة للمصاب بالماليخوليا ومراقبته وذلك بتغذيته وتنظيم الأسباب الستة للمرض التي هي عنده ((العمل والحركة ، السكون والنوم ،اليقظة والطعام والشراب ، الهوى المتنسم والمستنشق ، الاستفراغ والامتناع ، الأحداث النفسية)) ، وتعرض بكل تبصر إلى العديد من الأغذية من حيث الكم والكيف لتكون دائما لينة نقية صالحة .

ولمداواة بعض أنواع الاكتئاب النفسي الحاد الذي قد يصيب الشيوخ نصح "ابن سينا" المريض ((أن يشم دائما الروائح الطيبة والادهان الطيبة ، ويتناول الأغذية الفاضلة الكيموس ، ويدبر في تخصيب بدنه بالأغذية الموافقة ، وبالحمام قبل الغذاء ...وإذا خرج من الحمام وبه قليل عطش فلا بأس أن يسقى قليل من الماء ، ويستعمل الدلك المخصب))[١٠٣].

رابعا / دور رعاية كبار السن :-

حسب المفاهيم الحديثة يتبين أن هناك تضاربا عن جدواها ، على سبيل المثال يقول أحد المؤيدين ((كثيرا ما يصل الشيوخ إلى مرحلة فيجدون أن معظم الأعزاء قد رحلوا عن هذه الدنيا إلى العالم الآخر ، ويصبحون في وحدة من بعد صحبة تملأ عليهم حياتهم . لذلك يجب أن نهيء لهم فرصة الاجتماع بغيرهم من الأفراد الذين يقتربون منهم في الاتجاهات والميول

---

[١٠٣] ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٦٨ .

والأفكار . ومن هنا جاءت فكرة بيوت الضيافة المخصصة لكبار السن ، حيث يجدون فيها صحبة أفراد في مثل سنهم وتفكيرهم ، وحيث يجدون الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية. وهذه البيوت كثيرًا ما تساعد على خروج الشيوخ وكبار السن من عزلتهم إذ أن الكثير من الشيوخ وكبار السن لا يجدون الراحة في العيش مع أبنائهم أو حفدتهم الذين يمثلون جيلا يختلف عن جيلهم في القيم والتفكير والاتجاهات وقد يفضل الشيوخ وكبار السن العيش وحيدين ، على صحبة هؤلاء الذين يمثلون جيلا غير جيلهم . ولكن الأمر يختلف عندما يعيش الشيخ مع أفراد في مثل عمره وحيث يشترك الجميع في وضع واحد ويعانون من مشكلات واحدة))(١٠٤).

بينما يعترض آخرون على ذلك ويبينون مساوئ عزل المسنين في دور خاصة نذكر فيما يأتي رأي أحدهم ((في كثير من الأحيان يلجأ الأهل إلى وضع كبير السن في إحدى مؤسسات أو مستشفيات كبار السن ، ولكن الحقيقة أن معظم الأطباء يرون أنه يتعين خروج المريض من المؤسسة بأسرع ما يمكن وبقاؤه خارجها بقدر الإمكان ، ولذلك وضعوا نظاما يقدم الرعاية خلال النهار فقط لعلاج من يشعرون بالوحدة للتمتع بالحياة والأنشطة الاجتماعية ولقضاء وقت فراغهم. والغرض الذي يكمن وراء هذا العمل هو أن العزل الاجتماعي في حد ذاته من الممكن أن يسبب بعض الأعراض المرتبطة بالشيخوخة أو يؤدي إلى زيادة كثافة هذه الأعراض وشدتها ، بل أن معظم المرضى المصابين بغتة الشيخوخة أو تصلب الشرايين يعانون أكثر

---

(١٠٤) علي أحمد علي ؛ أضواء على مرحلة الشيخوخة ، مقال منشور (الكويت ، مجلة العربي ، العدد ١٣٣ ، كانون الأول ، ١٩٦٩) ص ٢٤ .

من العزل الاجتماعي وإن كنا لا نستطيع أن نحدد ما السبب وما النتيجة في هذه المشكلة بمعنى هل تؤدي العزلة الاجتماعية إلى التدهور العقلي أم أن التدهور العقلي هو الذي يؤدي إلى العزلة الاجتماعية))[١٠٥].

ويجمع المؤرخون على أن "الوليد بن عبد الملك" منشئ أول بيمارستان كامل ناضج في الإسلام عندما أنشأ بيمارستان للمجذومين والعميان ، وأجرى عليهم أرزاقهم (سنة ٨٨هـ =٧٠٦م)[١٠٦]. وكان الخلفاء فيما بعد يتابعون إنشاء المستشفيات الإسلامية الخيرية باهتمام بالغ ، ويختارون مواقعها المناسبة من حيث الموقع والبيئة الصالحة للاستشفاء . وكانت المستشفيات العامة فيها أقسام طب المسنين ومعالجة أمراض الشيخوخة .

ولما كانت الشريعة الإسلامية قد كفلت للمسنين حق الحياة الكريمة التي يحقق فيها الأمن الاقتصادي والرعاية الصحية والاجتماعية داخل الأسرة ، واستنادا الى ما جاء في القرآن الكريم من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي سبق ذكرها في بداية البحث . لذا لم نجد في كتب التراث العربي الإسلامي معالم بارزة لدور رعاية المسنين ، وإنما هناك العديد من مؤسسات خيرية تشبه إلى حد كبير دور كبار السن وقد أطلقوا عليها

---

(١٠٥) أمين رويحة ؛ شباب في الشيخوخة ، ط٢ (بغداد . مكتبة النهضة ، ١٩٧٢) ص ١٨٥ .

(١٠٦) محمد بن جرير الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك (بغداد ؛ المكتبة العصرية ، ١٩٣٩) ص ١٢٧ .

(الـربط) وتكـون بـديلا حينمـا تعجـز الأسـر عـن تقـديم الرعايـة اللازمـة للمسنين ، أو حينما لا يكون هناك ثمة راعٍ أو معين لأولئك المسنين .

استنتاجات البحث

١/ أثبـت البحـث أن لكبـار السـن فـي القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة مكانـة متميزة ، إذ احتوى البحث العديد من الآيات والأحاديث التي جاءت في إكـرامهم وتعظـيم مكـانتهم وأوجبـت علـى الأبنـاء والأقـارب رعـايتهم وإجلالهم .

٢/ تبين من استعراض ما ذكره الأطباء العرب المسلمون عن كبار السن أنهم كانوا روادا في ذلك ، وجاء تناولهم للموضوع فيه الكثير من الموضوعية والصـواب ، كمـا أنهـم كـانوا دقيقـين فـي معـرفتهم أمـراض الشـيخوخة ومعالجتها .

٣/ أولى الأطباء العرب والمسلمون الرعاية البدنية والنفسية للكهول والشيوخ عنايـة خاصـة ، باعتبـارهم ضـعاف الأبـدان سـريعي الإصـابة بـالأمراض كأبدان الأطفال والناقهين .

المصادر

* القرآن الكريم

* الحديث النبوي الشريف / الصحاح والسنن والمساند

١/ ابن الأكفاني ، محمد ابن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري ؛ غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ، تحقيق صالح مهدي عباس (بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٤) .

٢/ ابن البرقماني ، فاضل بن أبي الحسن الاسرائلي السكندري ؛ المقالة الحسينية في تدبير الصحة البدنية ، مخطوط (القاهرة ، جامعة القاهرة ، ١٠٧٥هـ) .

٣/ ابن الجزار ، أبي جعفر أحمد ابن إبراهيم ؛ سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد حبيب الهيلة (تونس ، مطبعة المنار ، ١٩٦٨) .

٤/ ابن الجزار ، أبي جعفر احمد بن إبراهيم ؛ زاد المسافر ، المقالة السادسة في الأدواء التي تعرض في آلات التناسل ، تحقيق جمعة شيخة والراضي الجازي (تونس ، المغاربية للطباعة والنشر ، ١٩٩٩) .

٥/ ابن النفيس ،علاء الدين أبو الحسن ؛ شرح تشريح القانون (www.kotobarabia.com) .

٦/ ابن سينا ، أبو علي الحسين ابن علي ؛ القانون في الطب ، ج١ (بغداد ، مكتبة المثنى ، ب.ت) .

٧/ ابن هبل ، مهذب الدين على بن أحمد ؛ المختارات في الطب ، ج١ (الهند ، مطبعة حيدر آباد الدكن ، ١٣٦٣ هـ).

٨/ البغدادي ، عبد الطيف؛ مقالتان في الحواس ، تحقيق بول غلينجي وسعيد عبده (الكويت ، مطبعة الكويت ، ١٩٧٢)
٩/ البغدادي ، موفق الدين عبد اللطيف ؛ الطب من الكتاب والسنة ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٨٦) .
١٠/ البلخي ، أبي زيد احمد بن سهل ؛ مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيق محمود مصري (القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ٢٠٠٥) ص٤٨٩ .
١١/ الجرجاني ، أبو سهل عيسى بن يحيى ؛ كتاب المائة في الطب ، مخطوط برقم ٦/٢٣ (الموصل ، مكتبة الأوقاف خزانة داود الجلبي ، ب.ت) .
١٢/ الخطابي ، محمد العربي؛ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، ج١(بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨)
١٣/ الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ التقسيم والتشجير ، تحقيق صبحي محمود حمامي (حلب ، معهد إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٩٢) .
١٤/ الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ الحاوي في الطب ، ج١٠ ، ط١ (الهند ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، ١٩٦٢) .
١٥/ الرازي ، أبي بكر محمد بن زكريا ؛ الحاوي الكبير في الطب ، ج١ ، ط٢ (الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن ، ١٩٧٤) .

١٦/ الرازي ، أبي بكر محمد بن زكريا ؛ المنصوري في الطب ، تحقيق حازم البكري الصديق (الكويت ؛ منشورات معهد المخطوطات العربية ، ١٩٨٧) .

١٧/ الرازي ،أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المرشد أو الفصول، تحقيق ألبير زكي إسكندر (القاهرة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٩٦١) .

١٨/ الرهاوي ، إسحاق بن على ؛ كتاب أدب الطبيب ، تحقيق كمال السامرائي وداود سلمان على (بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢) .

١٩/ الزهراوي ؛ أبو القاسم خلف بن العباس ؛ التصريف لمن عجز عن التأليف ، المقالة الثلاثون (لندن ، معهد وليكم لتأريخ الطب ، ١٩٧٣) .

٢٠/ الطبري ، أبو الحسن علي بن سهل ربن ؛ فردوس الحكمة (برلين ، مطبعة آفتاب ، ١٩٢٨) .

٢١/ القرطبي ، عريب ابن سعد الكاتب ؛ خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين (الجزائر ، مكتبة فراريس ، ١٩٥٦)

٢٢/ المجوسي ، علي بن العباس ؛ كامل الصناعة الطبية ،ج٢ (مصر، المطبعة الكبرى ، ١٢٩٤ هـ) .

٢٣/ أمين رويحة ؛ شباب في الشيخوخة ، ط٢(بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٧٢) .

٢٤/ بن زهر ، أبي مروان عبد الملك ؛ التيسير في المداواة والتدبير ، ج٢ (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٣) .
٢٥/ ثابت بن قرة ؛ الذخيرة في علم الطب (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٢٨) .
٢٦/ راجي عباس التكريتي ؛ الظهار والفصال في التراث العربي (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠) .
٢٧/ سليم بن عمار ؛ مقال إسحاق بن عمران في المالنخوليا ، بحث منشور (الكويت ، المؤتمر العالمي للطب الإسلامي ، ١٩٨١) .
٢٨/ عبد الرحمن العيسوي ؛ الإسلام والعلاج النفسي الحديث (بيروت ، دار النهضة العلمية للطباعة والنشر ، ب .ت)
٢٩/ عبد المنعم عبد الحميد ؛ الساد (الماء الأبيض) بين القديم والحديث (الموصل ، مجلة جامعة الموصل ، عدد ١٥ ، ١٩٧٢) .
٣٠/ عبدا لله بن ناصر ؛ رعاية المسنين في الإسلام ، ط١ (الرياض ، العبيكان ، ١٩٨٨) .
٣١/ علي أحمد علي ؛ أضواء على مرحلة الشيخوخة ، مقال منشور (الكويت ، مجلة العربي ، العدد ١٣٣ ، كانون الأول ، ١٩٦٩) .
٣٢/ مجمع اللغة العربية ؛ المعجم الوجيز (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٩٠) .
٣٣/ محمد بن جرير الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك (بغداد ، المكتبة العصرية ، ١٩٣٩) .

٣٤/ محمد كامل حسين وعبد الحليم العقبي ؛ طب الرازي – دراسة تحليلية (القاهرة ، شروق القاهرة، ١٩٧٧) .
٣٥/ محمود الحاج قاسم ؛ الطب عند العرب تأريخ ومساهمات ، ط١ (جدة ، دار السعودية للنشر ، ١٩٨٧) .
٣٦/ محمود الحاج قاسم ؛ كبار السن ما لهم وما عليهم (حلب ، مكتبة الصفا والمروة ، ٢٠٠٩) .
٣٧/ مريزن سعيد مريزن عسيري ؛ الاستبصار في زوال الفقار لهبة الله بن الحسن بن جميع المصري ، دراسة تحليلية مقارنة،ج ١٧، عدد٢٩ (السعودية ، جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ١٤٢٥هـ)
٣٨/ منظمة الصحة العالمية ؛ الشيخوخة تبديد الخرافات (مصر ، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ، ١٩٩٩) ص٢٤.

مفهوم التسامح في الخطاب الفكري العربي

وليد خالد احمد

الملخص :

يتناول البحث محددات مفهوم التسامح في الخطاب الديني الاسلامي والمسيحي والفلسفي والايدولوجي (العقائدي) بعد ان يتبع جذور المفهوم في الفكر العربي الذي اقترن بتقريب المسافة بين المذاهب الدينية المتصارعة .

المقدمة :

ظهر مفهوم التسامح من حاجة المجتمعات الغارقة في الحروب والاقتتال الاهلي ، وهو اعطى تقدما باهرا للمجتمعات والمؤسسات في الغرب ، وحرر الانسان من قيود الخوف . لقد ارسى مفهوم التسامح قوانين اكثر انسانية ، وفرضت على الدول انماطا جديدة من التفكير واعمال العقل لاستنباط مخارج تجنب البشرية العنف والتعصب .

ليس المطلوب ان (نتعلمن) كي نصبح اكثر تسامحا ، فهذه الفضيلة موجودة في بنية ثقافتنا ذاتيا ، لكن حاجتنا تبدو اليوم اكثر الى التسامح في ظل تصاعد الاصوليات ، واندلاع الصراعات ... على خلفية عوامل ثقافية ، واختلاف الهويات والمذاهب والاديان .... .

ما زال العالم بحاجة الى تثبيت ايمانه اكثر بالتسامح الذي اصبح عبارة عن نسق كامل من الحقوق ، ومن الواضح اننا لم نتعلم كثيرا من تجاربنا ، وان المسيرة الي ما بعد التسامح حافلة بالعقبات ، حيث تبقى الخيارات محدودة ليعيش الناس بسلام في غياب الحوار والتسامح .

لقد كان فعل (تسَامحَ) متداولا منذ زمن طويل في معرض الحديث عن الحرية الدينية . والتسامح مفردة لاتينية الاصل بدأ التداول بها في القرن السادس عشر واستخدمها قدامى الادباء الكلاسيكيين . وهي تعبر عن معنى (القبول) او (التحمل) المتصل بحرية المعتقد. ان الاختلاف الذي يعتبره بعضهم مصدرا للخطر ، يستطيع ان يكون بفضل الحوار مصدر فهم اعمق لسر الوجود الانساني .[١]

*** محددات المفهوم**

عديدة هي المفاهيم المتداولة اليوم التي تحتاج الى تحديد دقيق لمعانيها ومدلولاتها ... وذلك ، لان استخدام هذه المفاهيم من دون ضبط المعنى الحقيقي لها يساهم في تشويه هذا المفهوم على مستوى المضمون ، كما انه يجعله عرضة للتوظيف العقائدي المتعسف، لذلك فان تحديد معنى المفاهيم المتداولة يسهم في خلق الوعي الاجتماعي السليم بها . ومن هذه المفاهيم التي تحتاج الى تحديد معناها الدقيق وضبط مضمونها الفلسفي والاخلاقي والاجتماعي... مفهوم التسامح حيث ان هذا المفهوم متداول اليوم في كل البيئات الفكرية ، ويتم التعامل مع هذا المفهوم ولوازمه الثقافية

---

[١] ثناء عطوان- التسامح والتاريخ ، مجلة دبي الثقافية (دبي) ، العدد ٦٢ (يوليو/ ٢٠١٠) ص١٠٣.

والسياسية باعتباره ثابتة من ثوابت المجتمعات المتقدمة... لذلك ، وبعيدا عن المضاربات الفكرية والتوظيفات العقائدية المتعسفة ، نحن بحاجة الى ضبط المعنى الجوهري لهذا المفهوم وتحديد مضمونه وجذوره الفلسفية والمعرفية وبيان موقعه في سلم القيم والمبادئ الاجتماعية .[٢]

تجمع معاجم اللغة والفلسفة والسياسة التي تقدم مفهوم التسامح بمعناه الاخلاقي ، على انه- موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت مواقفه مخالفة للآخر، اي الاعتراف بالتعدد والاختلاف وتجنب اصدار احكام تقصي الاخر. بمعنى آخر، التسامح هو احترام الموقف المخالف [٣].

ولانه مفهوم ملتبس- كما سيتضح- فقد اثار تداعيات مختلفة سواء على النطاق الفكري أم على صعيد الواقع العلمي ، ولاسيما ان الحديث عنه قد كثر في السنوات الاخيرة ، كونه واحدا من المفاهيم المستحدثة في اللغة العربية.

ولتحديد دلالة مفهوم التسامح ووصفه ، نشير الى ما يقابله في اللغة الانكليزية Toleration ، وحين نتناول فعل التسامح لممارسته او تطبيقه فغالبا ما يتم استخدام Tolerance.

---

[٢] محمد محفوظ – في معنى التسامح ، التسامح وافاق السلم الاصلي ، بحث ضمن كتاب التسامح وجذور اللاتسامح ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، ط١/ ٢٠٠٥، ص ١٨٣.

[٣] محمد عابد الجابري- قضايا في الفكر المعاصر ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص٢٠.

ويدرج معجم اكسفورد، مفردتي Toleration و Tolerance، في معان متداخلة احيانا او مختلفة احيانا اخرى. اما بخصوص نظرية التسامح او عقيدة التسامح ، فقد وجد الفرنسيون قديما مقابلها Tolératisme .[٤]

ويرجع تاريخ التسامح الاصطلاحي في موطنه الاوروبي الى اكثر من ثلاثة قرون ، لكنه لم يتخذ صيغته النهائية الا في افق فلسفة التنوير التي صاغها مفكرون من امثال جون لوك و فولتير وكانط وجان جاك روسو وغيرهم...

وظل المفهوم من حيث نشأته بوصفه مفهوما مقترنا بمحاولة تقريب المسافة بين المذاهب الدينية المتصارعة التي ترتب على تصارعها ، والتصعب لكل منها ، حروب دينية مدمرة ، واشكال اضطهاد غير انسانية ، ظلت تعانيها أوربة لوقت طويل . ولذلك بقي مفهوم التسامح دائرا في الدائرة الدينية بالدرجة الاولى ، مقترنا بالنزعة العقلانية التي سعت الى وضع الافكار والمعتقدات والمسلمات القديمة موضع المساءلة ، وذلك في نوع من اعادة الاعتبار الى العقل ومنحه المكانة الاولى في المعرفة وصياغة القيم الفكرية على السواء .[٥]

وعندما انتقل المفهوم الى الثقافة العربية مع اواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، ظل دائرا في الافق نفسه ،

---

[٤] عبد الحسين شعبان – فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي ، ط١ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص٥٥ .

[٥] جابر عصفور – عن التسامح ، مجلة دبي الثقافية (دبي) ، العدد ٢٥ (يوليو/ ٢٠٠٧) .

وظلت الصراعات الطائفية التي ادت الى حروب اهلية ، هي الاصل في نقل المفهوم والدافع التكويني الى صياغة انتاجه عربيا أو اعادتها .[٦]

ولم تستخدم الثقافة العربية كلمة التسامح التي نستخدمها في هذه السنوات مقابل كلمة التعصب وإنما استخدمت كلمة التساهل مقابلا لمفردتي Toleration و Tolerance ، اللتين لا فارق كبيرا بينهما ، وتدلان في سياقهما الثقافي الذي ينقل عنه على الكيفية التي تعامل بها المرء مع كل ما لا يوافق عليه ، فلا يعاديه لمجرد اختلافه وانما يتقبله بوصفه لازمة من لوازم الحرية التي يقوم بها معنى المواطنة في الدولة المدنية الحديثة ، ولكن الترجمة السابقة المستخدمة الآن لم تستمر طويلا ، فقد اثر عليها اللاحقون ترجمة الاصل الاجنبي المتحد في الانكليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات الاوروبية الحديثة بكلمة التسامح التي شاعت ترجمتها اليوم، واغلب الظن ان السبب في ذلك يرجع الى ان الجذر اللغوي للترجمة العربية (سمح) يقترب من الدلالة الاجنبية، ويرتبط بمعاني العطاء والرحابة والصفح ولين الجانب والتساهل على السواء .[٧]

*** دلالة المفهوم وتاريخيته**

تؤكد دلالات مفهوم التسامح الشائعة والمعاصرة معاني اوسع بكثير من المعنى الديني المحدد الذي ارتبطت به في اصل نشأتها . وكان ذلك في موازاة انتقالها من الافق الدلالي الديني الى الافق المدني

---

[٦] المصدر نفسه .

[٧] المصدر نفسه .

وارتباطها في الافق الاخير بالعديد من الدوائر المتشابكة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا وابداعيا ... والنتيجة ان اصبحت دلالات التسامح قرينة حق المغايرة والاختلاف بوصفه حقا اساسيا من حقوق الانسان ، وحقيقة راسخة من حقائق الوجود في كل مجاليه ... واصبحت دلالات التسامح اكثر اتساعا في مجالات ممارساتها واكثر تنوعا في توازي دلالاتها، ولاسيما تلك التي تشير الى تقبل وجود الآخر المختلف ومجادلته بالتي هي احسن، والانطلاق في المجادلة من مبدأ المساواة الذي لا يرى (الآخر) ادنى او اقل ، لانه (آخر) مختلف اومغاير .

استمر مفهوم التسامح فاعلا في الحضارة الغربية التي لا يزال واحدا من مفاهيمها الثابتة ولكنه مر بمرحلتين في اتساع دائرته وتعدد دلالاته :

المرحلة الاولى- سلبية من وجهة نظر نقاده الذين سعوا الى ان يستبدلوا بالمفهوم آخر غيره .

المرحلة الثانية- مرتبطة باعادة النظر الى المفهوم وتوسيع حدوده الدلالية .

واول ما واجه المفهوم من انتقادات سلبية ، انه مفهوم مرتبط بنزاع يهيمن فيه طرف اقوى على طرف اضعف ، وذلك وضع يدفع الاضعف الى ان يطلب من الاقوى ان يسمح له بحق الوجود بما لا ينقض مكانه الاقوى او ينقله من حال التراتيب الى حال التكافؤ . ودليل ذلك، ان المفهوم ظل وسيلة الاقلية الدينية او الطائفية في الدفاع عن وجودها الذي سعت الى اقرار شرعيته من الاغلبية او الطائفة الاقوى. ولذلك ظل المفهوم في اصل نشأته

وتأصيله مبنيا على ثنائية الاقوى والاضعف او الاعلى والادنى ... ولا تفارق ثنائية التراتب ثنائية السعي من المقموع لدى القامع او الادنى لدى الاعلى .

لكن المفهوم تغيرت دلالته تغيرا تدريجيا وكان لابد ان يحدث ذلك مع شيوع الافكار الديمقراطية في موازاة شعارات الثورة الفرنسية التي رفعت ثالوث الحرية والمساواة والعدالة والتكافؤ ... وكانت النتيجة ان تحولت ثنائية التراتب الى ثنائية التكافؤ في الصياغة التصورية للمفهوم واقترانه بعد توسيع دلالته واكتسابه دلالات جديدة باساسين لم يفارقهما الى اليوم :

الاساس الاول– معرفي لا يفارق الايمان بنسبة المعرفة والتسليم بأنه مامن احد او فئة يمكن ان يحتكر المعرفة او يتوهم كحال المعرفة بالقياس الى غيره كأنه هو وحده قادر على القول الفصل الذي لا يأتيه الباحث من أي جهة او مكان ، ويعني ذلك شيئا اقرب الى ما كان يذهب اليه ديكارت من ان العقل اعدل الاشياء توزعا بين الناس ، كما ان المعرفة شركة بينهم ولا تتقدم الا بجهودهم جميعا من دون تمييز الا على اساس من درجة رغبة المعرفة وشغف تطويرها . ونسبية المعرفة هي الوجه الآخر من الصفات الملازمة للبشر الذين ينتجونها حتى في مدى المعرفة الدينية التي لا توجد مستقلة عن عقول البشر الذين يتلقونها فهما وتفسيرا وتأويلا ، ولا يفارق كلا الامرين احترام العقل الذي لا يعرف لنفسه حدا او حقيقة نهائية في اكتشاف العالم وذلك جنبا الى جنب احترام العلم الذي لا يكلف عن التقدم بتضافر جهود البشر فيه ، وذلك في مدى جهد الاضافة اليه.

الاساس الثاني– سياسي اجتماعي تتقوم به معاني الحرية والمساواة في الدولة المدنية الحديثة ، فهو اساس لا يفارق شروط ما يترتب على

المواطنة في الدولة الحديثة سواء من حيث هي تعاقد يقوم على احترام حرية الفرد في ممارسة حقوقه الطبيعية والمدنية ، وحقه في التعبير عن نفسه وعن افكاره في كل مستوياتها الاعتقادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . والمسافة بين احترام الحرية وحق المخالفة مسافة جد واهية ، تدني بطرفيها الى حال من الاعتقاد ولاسيما في تأكيدها التسامح في علاقة الفرد بفكر غيره وابداعه او علاقة الدولة بالفرد ، فكرا وابداعا ، فضلا عن علاقة المؤسسة الدينية بالفرد في داخل الدولة المدنية. واذا لم يكن للمخالفة او المغايرة او المباينة معنى مع غياب التسامح فلا معنى لمبادئ الحرية او المساواة او التكافؤ في غياب معنى المواطنة الذي يكفل للفرد حقوقه في الدولة بلا تمييز بينه وغيره على اساس من الدين او الجنس او العرق او اللون او حتى الثروة .

كان العديد من مفكري التنوير العربي قد فهموا الكثير من الابعاد الايجابية للمفهوم ، فأكدوا ضرورة الدولة المدنية بوصفها الفضاء الذي يعيش فيه التسامح ويتزايد ، بل يجد من يصونه ويرعاه ويحميه داخل منظومة حقوق الانسان المعترف بها في الدولة المدنية . وترتبط بهذا التأكيد فكرتان متلازمتان في تفكيرهم :

اولاهما- انه لا وجود للتسامح الا مع تقبل مبدأ الحرية وممارسته في كل مجالاتها وفي كل مستوياتها ومعانيها .

ثانيهما- الايمان اللامحدود بقدرة العقل على الوصول الى المعرفة بذاته وقدرته النهائية على تطورها الى مدى لايحده حد .

والايمان بالعقل يعني الايمان بالعلم الذي يتبادل معه الوضع والمكانة فيغدو كلاهما وسيلة لقرينة ودعما له في صعود سلم التقدم الذي لا نهاية له او حاجز ، اعني التقدم الذي لا يمكن ان يتحقق الا بالخطوة الاولى التي تقترن فيها استنارة المجتمع بانوار العقل التي تقتضي على ظلمات الجهل ، ويناقض فيها التسامح التعصب الى ان يقضي عليه فيحل الانفتاح محل الانغلاق ، وقبول الاختلاف محل رفضه ، وتستبدل الثقافة العلم بالخرافة ، والعقل بالنقل ، ومن ثم التقدم بالتخلف .

هكذا تباعد مفهوم التسامح عن الدائرة الدلالية التي تقترن بالتراتب وتمركز في الدائرة الدلالية المحيطة بمركز المساواة والتكافؤ ، واصبح التسامح قرين التقبل الايجابي للاختلاف . والايمان بالحضور الطبيعي للمغايرة على مستوى الفرد والجماعة والمجتمعات على السواء . ويعني ذلك مجادلة الآخر بالحسنى في مدى الاختلاف الفردي من دون تخل عن الايمان بالمساواة والتكافؤ ، وانه ما من طرف على خطأ مطلق او على حق مطلق ، كما يعني محاورة افراد الجماعة بعضهم بعضا من دون تعال من فئة او تمييز ضد اخرى على اي اساس او من اي منطلق . ويعني اخيرا الحوار الخلاق بين الثقافات والحضارات من المنظور الانساني القائم على ثراء التنوع البشري المقترن بالتعددية والمغايرة والاختلاف ، وذلك من منظور يرد مستقبل البشرية الى الاعتماد المتبادل بين دولهما ، ولاسيما في المشكلات التي لا يمكن ان تنهض بها دولة واحدة مهما بلغت قوتها، او ثراؤها ، فضلا عن ذلك منظور احلال الحوار محل الصراع ، والتعاون محل الانانية ، وحوار الحضارات والمجتمعات محل تسامحها ، بلا فارق في

مدى القضاء على التعصب والاستغلال والتمييز ، فذلك وحده هو السبيل الى مستقبل افضل للبشرية .[8]

*** فكرة التسامح**

ان فكرة التسامح ، تعني القدرة على تحمل الرأي الاخر ، والصبر على اشياء لا يحبها الانسان ولا يرغب فيها بل يعدها احيانا مناقضة لمنظومتة الفكرية والاخلاقية ، وذلك ان قبول مبدأ التسامح وفكرة التعايش يعني تجاوز سبل الانقسام الذي يقوم على اساس الدم او الرابطة القومية او الدين او الطائفة او العشيرة او غيرها من الناحيتين النظرية والاخلاقية في اقل تقدير .

ومبدأ التسامح يعني التعايش على نحو مختلف، سواء بممارسة حق التعبير عن الرأي أو حق الاعتقاد او حق التنظيم او الحق في المشاركة السياسية ... وهي المحور في فكرة حقوق الانسان التي تطورت منذ الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ، وقبلها الدستور الامريكي عام ١٧٧٦ ، وذلك بتأكيد حق كل فرد بان لا يكون هناك قيد حريته اذا احترم حريات الآخرين وحقوقهم ولم يعتد عليها .

ان قبول التعايش والتسامح يعني الموافقة على ما هو مشترك وان كان في نظر الآخر غير اخلاقي او ربما اقرب الى فكر الشر ان لم يكن شرا بالفعل . وبهذا المعنى فان مبدأ التسامح هو فكرة اخلاقية ذات بعد

---

[8] جابر عصفور – اتساع مفهوم التسامح ، مجلة دبي الثقافية (دبي) ، العدد ٢٦ (يوليو / ٢٠٠٧) .

سياسي وفكري ازاء المعتقدات والافعال والممارسات ، ونقيض فكرة التسامح هو اللاتسامح ، اي التعصب والعنف ومحاولة فرض الرأي ولو بالقوة .[٩]

وبما ان الحاجة تدعو اليوم الى مواجهة ما يتصف به عصرنا من مواقف وسلوكيات تميل الى التطرف وتمارس العنف- كما في فترات عديدة من التاريخ البشري- الى بعث الحياة في القيم الانسانية السامية واخصابها ونشرها، فقد يكون من المناسب التدقيق في مفهوم التسامح الذي ينتمي اصلا الى سجل الفضائل ومكارم الاخلاق التي تمتدح في سلوك الشخص وينصح بالتحلي بها، وذلك بطرح العلاقة بين التسامح وكل من الدين والايديولوجيا والسياسة والفلسفة .

*** التسامح في الخطاب الديني**

ان الحاجة الى التسامح ، بمعنى عدم الغلو في الدين الواحد وسلوك سبيل اليسر ، سبيل ((التي هي احسن)) من جهة واحترام حق الاقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائر دينها دون تضييق او ضغط من جهة اخرى، حاجة تفرض نفسها بحكم تعدد الممارسات الدينية داخل الدين الواحد وتعدد الاديان داخل المجتمع الواحد ، هذا التعدد الذي هو ظاهرة انسانية حضارية لا يمكن تجاوزها ولا القفز عليها ، وبالتالي فالتسامح هنا يعني التخفيف الى اقصى حد ممكن من الهيمنة المقصودة او غير المقصودة التي يمارسها مذهب الاغلبية داخل الدين الواحد، ودين الاكثرية داخل المجتمع الواحد .

---

[٩] عبد الحسين شعبان- مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢ و ٦٣.

هناك بطبيعة الحال ما يوصف بالاصولية ونحن نفضل استعمال مفردة التطرف ، ونقصد به التطرف في الدين او باسمه او ضده ايا كان الدين ، وما دمنا بصدد التدقيق في المفردات والمفاهيم ، فقد ينبغي التنبيه هنا الى ان الاصولية ليست مرادفة للتطرف ، يكون المرء اصوليا ولا يكون متطرفا يستعمل العنف لفرض قناعاته . على ان مفهوم الاصولية لا يعني الشيء نفسه في جميع الثقافات، فالأصولي في الاصطلاح الاسلامي هو العالم المتخصص في اصول الفقه ، واصول الفقه كما يعرّفه الاصوليون انفسهم هي القواعد التي يتوسل بها الى استنباط الاحكام الشرعية من الادلة ، فهو اذن علم منهجي ينظم الاجتهاد ، اي يضع القواعد لانتاج التعدد والاختلاف في الفقه .

امـــا الثقافـــة الفرنســـية ، فهـــي لـــم تعـــرف هـــذا المفهـــوم الا مـــؤخرا (الاصـــولية- Intérisme) وقـــد انتقـــل اليهـــا مـــن الانكليزيـــة (Fundamentalism) حيث تعني المفردة – النزعة التي تدعو الى التطبيق الحرفي للدين ، وهنـاك حركات دينيـة متطرفـة فـي انحـاء مختلفـة مـن العـالم ولكنها لا توصف جميعها بالاصولية .

ومهما يكن ، فالتطرف في الدين سواء عبرنا عنه بالاصولية او بلفظ آخر ، هو نقيض التسامح ، على انه ليس التطرف الديني هو وحده الذي يعاني منه العالم اليوم على الرغم انه يعم فعلا مختلف بلدان العالم .

ان العالم يشهد اليوم تيارات وحركات وتوجهات متطرفة ليست دينية بل منها ما هو لا ديني ، تيارات متطرفة تهدد في عالم اليوم امن الانسان وسلامته واطمئنانه على مصيره وبالتالي تعتدي على حقوقه ، حقه في

الوجود ، وحقه في امتلاك خصوصيته خاصة به ، وحقه في اختيار طريق مستقبله ، مثل التطهير العرقي الذي مورس في البوسنة والهرسك جهارا ويمارس سرا في انحاء عديدة من بلدان العالم ..[١٠]

*** التسامح في الخطاب الفلسفي**

الواقع ان مفهوم التسامح غائب في الخطاب الفلسفي عموما سواء تعلق الامر بالفلسفة العربية أم الفلسفة اليونانية او بالفلسفة الاوروبية الحديثة والمعاصرة - باستثناء خطاب سياسي لاهوتي انتجه بعض فلاسفة القرن السابع عشر في ظروف معينة- ان تاريخ الفلسفة شهد مذاهب كثيرة ومتنوعة في الاخلاق . وهناك من الفلاسفة من ركزوا جهدهم الفلسفي او قصروه حصرا على ميدان الاخلاق ، ومع ذلك فنحن لا نجد في معجم مصطلحاتهم مفهوم التسامح الانادرا وبصورة عرضية في الغالب .

ان سجل القيم الاخلاقية التي حللها الفلاسفة والتي تتسلسل من الخير والحق والواجب والفضيلة والعدالة ، الى الرحمة والشفقة والاحسان والايثار ، نادرا ما نعثر فيه على مفهوم التسامح كقيمة اخلاقية فلسفية، واذا غاب المفهوم فمن الطبيعي ان تغيب الفلسفة التي تؤسس نفسها عليه .[١١]

ان السبب- في هذا الغياب- هو ان التسامح ليس مفهوما اصيلا في الفلسفة، بل هو يقع بين الفلسفة والعقيدة ، والدليل على ذلك هو ان هذه المفردة لم تدخل الفلسفة من باب الفلسفة نفسها بل من باب الفكر الذي يعبر

---

[١٠] محمد عابد الجابري- مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩ و ٣٠.

[١١] المصدر نفسه ، ص ٢٥.

عن الصراع الاجتماعي او يحاول التخفيف منه، وبعبارة اخرى ، باب العقيدة . ولذلك ، بقي مفهوم التسامح موضوع تشكيك واعتراض ولم يقبل في رحاب الفلسفة الا بامتعاض ومع كثير من التسامح والتساهل .[١٢]

*** التسامح في الخطاب السياسي/ العقائدية**

التسامح في هذا المجال ؛ فعلى الرغم من الاصوات التي ترتفع هنا وهناك لتعلن نهاية العقائدية ونهاية التاريخ ... الخ ، فان الواقع يكشف يوما بعد يوم عن الطابع العقائدي لهذه الاصوات من خلال ما ينشر به من آراء ونظريات تكرس ما اصبح يوصف اليوم بـ (الفكر الاحادي) او (الوحيد) الحامل للواء العولمة على الصعيد الاقتصادي والهادف الى فرض هيمنة فكرية عقائدية على العالم كله ، فضلا عن ذلك التبشير بما يسمى (صراع الحضارات) وهي دعوى ترمي صراحة الى تعبئة الغرب كحضارة لا بل كمصالح ضد حضارات اخرى ، وفي مقدمتها الحضارة الصينية والحضارة العربية الاسلامية .[١٣]

اما في ميدان السياسة فلا بد اولا وقبل كل شيء من ارضية ديمقراطية صلبة قوامها احترام الحق في الاختلاف والحق في التعبير الديمقراطي الحر .

ويأتي التسامح بعد ذلك ليعني تمكين الاقلية السياسية او الدينية او الاثنية من الحضور في المؤسسات الديمقراطية لا بناءً على قوتها

---

[١٢] المصدر نفسه ، ص ٢٥.

[١٣] المصدر نفسه ، ص٣٠.

التعددية وحسب بل بناءً ايضا وبالخصوص على حقها في ان تكون ممثلة تمثيلا يمكنها من اسماع صوتها وممارسة حقها المشروع في الدفاع عن مصالحها .[١٤]

* **التسامح اسلاميا**

لم يرد ذكر التسامح لفظا في القرآن الكريم ، لكن الشريعة الاسلامية ذهبت الى ما يفيد معناه . وقد جاء بما يقاربه او يدل على معناه حين تمت الدعوة الى التقوى والتشاور والتآزر والتواصي والتراحم والتعارف ، وكلها من صفات التسامح مؤكدة حق الاختلاف بين البشر ، و (الاختلاف آيات بينات) ، وان كان لا يلغي الائتلاف .

ان كتب اللغة ومعاجمها المعتبرة التي استعان بها الكثير من مفسري القرآن، تضع مفردة التساهل مرادفا لمفردة التسامح، ويشير ابن منظور في لسان العرب الى التسامح والتساهل باعتبارهما مترادفين ، ويعرف الحنيفية السمحة بـ "ليس فيها ضيق او شدة" .[١٥]

ويقول الفيروز ابادي في القاموس المحيط: المساهلة كالمسامحة، وتسامحو تساهلو وتساهلوا- تسامح ، وساهلة- ياسره .[١٦]

ولهذا ، فان الاصل في الاسلام هو التسامح ، وقد كان رسالة عالمية منفتحة "وما ارسلناك الا رحمة للعالمين" مما يدل على السلم والمسالمة والصلح والرحمة .

---

[١٤] المصدر نفسه ، ص ١٩.

[١٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ط٦ ، ص ٣٥٤ و ٣٥٦.

[١٦] الفيروزأبادي - القاموس المحيط ، ط١ ، ص ٤٦ .

وبالعودة الى القرآن الكريم الذي يشكل المرجعية الاساسية للشريعة الاسلامية ، فضلا عن السنة النبوية ، فان متابعة بعض آيات القرآن تعطينا صورة مشرقة ومتقدمة لجهة التسامح الذي اعتمد عليه الاسلام من خلال وثيقته الاولى . فقد جاء في الآية الكريمة "واختلاف السنتكم والوانكم ، ان في ذلك لآيات العالمين".

وأكد القرآن الكريم في آيات كثيرة اختلاف الشعوب والقبائل "ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" ، "فذكر انما انت مذكر، الست عليهم بمسيطر"، "انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فانما يضل عليها، وما انت عليهم بوكيل" ، "وما على الرسول الا البلاغ المبين".

ان هذه المنطلقات الفكرية التي وردت في القرآن الكريم اعطت زادا فكريا ونظريا لممارسات اسلامية متقدمة ولاسيما في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعد لدرجة كبيرة، بشأن اعتماد التسامح ولاسيما وقد وردت تطبيقاته في العديد من الوثائق النظرية والاتفاقيات والمواثيق السياسية . كما انها شكلت نقيضا لممارسات اخرى لا تتسم بالتسامح باعتبارها خروجا وتعارضا مع هذه النصوص المقدسة ولاسيما القرآن الكريم والسنة المحمدية بعد الكتاب .

وهناك وثائق اخرى تشكل بمجموعها مرجعية صلدة لمناقشة الاتجاهات اللامتسامحة الاسلامية ، تلك التي لا تعترف بالآخر وتسعى الى استئصاله او الغائه وتهميشه [١٧]. حيث ان الاتجاهات الاسلاموية لا تختلف

---

[١٧] عبد الحسين شعبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠.

احيانا في بعض ممارساتها عن السلطات الحاكمة في نهجها الشمولي واساليبها الاقصائية في رفض الآخر وعدم الاعتراف بحق الاختلاف، ورفض فكرة التسامح بادعاء امتلاك الحقيقة ، وبهذا المعنى فهي وان كانت احيانا في صف المعارضات الا انها تنتهج نهج او تسلك سلوك مع بعض الحكومات الاستبدادية او السلطوية[١٨].

*** التسامح مسيحيا**

ظهرت مفردة تسامح Tolérance أول ما ظهرت في كتابات الفلاسفة وعلى حواشي الفلسفة في القرن السابع عشر الميلادي زمن الصراع بين البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية ، حينما نادى اولئك بحرية الاعتقاد وطالبوا الكنيسة البابوية بالتوقف عن التدخل في العلاقة بين الله والانسان . ومعلوم ان الكنيسة الكاثوليكية هي التي تجدد(قانون الايمان) وتمنح صكوك الغفران وتحتكر السلطة الروحية ، وكانت فضلا عن ذلك تنازع الدولة وسلطتها الزمنية وتريد جعلها تابعة لها . وكرد فعل على الاجماع الذي ارادت الكنيسة الكاثوليكية تكريسه حولها ، دينيا وسياسيا بالوعد والوعيد حينا وبالقوة والعنف حينا آخر ، قام المذهب البروتستانتي ضد الكثلكة وسعيها نحو الهيمنة الدينية والسياسية واخذ يطالب بحق الاجتهاد وبضرورة اتخاذ العقل ميزانا وحكما... وبضرورة التسامح مع المخالفين الشيء الذي يعني السماح لهم بحق الوجود وحق التعبير عن مذهبهم والقيام بالشعائر الدينية على الطريقة التي يعتقدون انها الاصلح ، وذلك هو المبدأ الذي تمسك به

---

(١٨) المصدر نفسه ، ص٩٣.

فلاسفة التنوير في أوربة بمختلف ميولهم الدينية والفلسفية، واعطوه طابع الشمول ، متى نادى بعضهم بحق الخطأ ، اي بضرورة السماح للخطأ بالوجود من غير ان يتعرض لهجوم سوى الهجوم الذي يشنه عليه العقل .

ومع ذلك ، فقد برهن تطور الامور ان المنادين بالتسامح والذين اعلنوا تمسكه به بقوة لم يكونوا مستعدين دائما للسير بهذا المبدأ الى ابعد مما يتحمله المذهب الذي يدينون به وتقتضيه مصلحة الدولة التي ينتمون اليها ويرضون عنها . ولذلك نجد دعاة التسامح من البروتستانت انفسهم شأنهم شأن كثير من فلاسفة التنوير يضعون حدودا لحرية الاعتقاد ولاسيما اذا كان المذهب الذي يعتقده الخصم مخالفا لمذهب الدولة القومية التي ينتمون اليها ويعملون على خدمتها وتقويتها ، وبعبارة اخرى اذا كان تابعا لمؤسسة اجنبية ، والمقصود هنا الكنيسة الكاثوليكية ومقرها روما. ومن هنا اخذ التشريع للتسامح يخضع للمصلحة القومية في وقت كانت فيه النزعة القومية في أوربة الحديثة في عنفوانها. ولذلك اعتبرت ان الكاثوليك في هذه الحالة غير جديرين بالتسامح لانهم يدينون بالولاء الى سيد اجنبي والمقصود البابا في روما .[١٩]

* سؤال التسامح

السؤال الذي يفرض نفسه في – هل يتسع مفهوم التسامح لكل المعاني الضرورية لمعالجة قضايا كبيرة وخطيرة تفرض نفسها تتجسد في :

١– التطرف والغلو في الدين او باسمه او ضده .

٢– التطهير العرقي الذي يمارس جهارا في عدد من بلدان العالم.

---

[١٩] محد عابد الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥ و ٢٦.

٣- الفكر الاحادي الذي يريد فرض واقع اقتصادي فكري عقائدي على العالم كله .

٤- ما يسمى بصراع الحضارات ، وهي نظرية تستهدف تطويق امم وشعوب بعينها.

ان جوابنا عما تقدم سيكون بالنفي اذا نحن تركنا هذا المفهوم كما هو عليه ، اما اذا اردنا اعطاءه معنى عاما شموليا يرتفع به الى مستوى المفاهيم الفلسفية ، المستوى الذي يجعله قادرا على اداء الوظيفة التي تطلب منه اليوم ، وظيفة اخراج التطرف مهما كان نوعه وفضح وسائل الهيمنة واساليب اخفاء صراع المصالح ، فان ذلك لا يتأتى الا اذا نحن حملناه ذلك المعنى القوي الذي عبر به ابن رشد عن ضرورة احترام الحق في الاختلاف الذي صاغه في العبارة الجامعة "من العدل ان يأتي الرجل من الحجيج لخصومه بمثل ما يأتي فيه لنفسه" سواء تعلق الامر بالحجاج الكلامي او بالاختلاف العقدي او بالتنافس على المصالح. واذا كان العدل بمعناه العام يقتضي المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، فان معنى العدل هنا يجب ان ينصرف بالدرجة الاولى الى مساواة الانسان غيره بنفسه . ان يعطي لغيره من الحق ما يعطيه لنفسه ثم يطالبه بعد ذلك بما عليه . وقد عبر المعتزلة الذين اطلقوا على انفسهم (اهل العدل) عن هذا المعنى حينما عرفوا العدل بقولهم " توفير حق الغير واستبقاء الحق منه" . ولكي يغدو التسامح قيمة يدخل العدل في مضمونها وتزيد عليه يجب اعطاء الاولوية لتوفير حق الغير . ان العدل يقتضي المساواة ، اما اعطاء الاولوية للغير داخل المساواة، فذاك هو التسامح .

ان التسامح حين يقرن بالعدل بهذا المعنى يبتعد عن ان يكون معناه التساهل مع الغير او الترخيص له بكذا او كذا، الشيء الذي يضع المسامح في وضعية اعلى من المسامح له ، بل التسامح هنا يعني الارتفاع بهذه العلاقة الى مستوى الايثار .[٢٠]

إذن التسامح بهذا النوع من التأسيس، سيغدو في الامكان توظيفه في القضايا الأربع الكبرى التي اشرنا اليها والتي تتحدى العقل والفلسفة في عصرنا . ان الانطلاق من (توفير حق الغير) يضع في قفص الاتهام وفي آن واحد كلا من التطرف الديني والتطهير العرقي ، كما انه يحرج التفكير الاحادي الذي يلغي الحق في الاختلاف ويفصح مقولة (صراع الحضارات) التي تريد اخفاء الصراع حول المصالح ويطرح بديلاً عنها الدعوة الى توازن المصالح.

لقد وقع فلاسفة التنوير في أوربة او بعضهم في الاقل في تناقض صارخ حينما رفعوا شعار التسامح لتجاوز الخلافات الدينية وعدلوا عنه الى نوع من اللاتسامح صريح عندما تعلق الامر بالقضايا السياسية والوطنية . وهكذا تسامح كثير منهم مع الاستعمار حينما اعتبروه وسيلة ضرورية لتمدين الشعوب غير المتحضرة كما غضوا الطرف عن النزاعات العرقية وربما كان منهم من كان يعتقد في تفاوت الاعراق وافضلية بعضها على بعض .....

وسنرتكب خطأ مماثلا اذا نحن فعلنا مثلما فعلوا ورفعنا شعار التسامح ضد الاصولية الاسلامية وحدها ساكتين عن النزاعات الدينية في بلدان اخرى

---

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٣١.

بأمريكة وأوربة وعن المواقف الفكرية والسلوكية التي تحركها المصالح السياسية والاقتصادية ويغذيها التعصب العرقي .

ان عالمنا يفتقر الى العدل الى الاعتراف بالآخر وبحقه في امتلاك خصوصية خاصة به وفي تقرير مصيره سواء كان هذا الآخر فردا أم اقلية دينية أم عرقية أم كان شعوبا وامما مبنى اصلا على الظلم على اللاتسامح وبالتالي فلا معنى لرفع شعار التسامح ضده الا مقرونا بالعدل الذي ينطلق كما قلنا من توفير حق الغير .(٢١)

ان التسامح يفترض فيه ان يكون علاقة بين طرفين، مسامح ومسامَح معه ، والذي يضبط هذه العلاقة هو ميزان القوى لا غيره ، ففي البلدان التي كان يستحيل فيها على دين معين قمع الديانات الاخرى ، قام ما اسمته عجرفة الديانات المهيمنة بالتسامح ، اي رخصة يعطيها اناس لأناس آخرين تمكنهم من الاعتقاد فيما يقبله عقلهم ، والعمل بما تمليه عليهم ضمائرهم .

اذن ، فمفردة تسامح لا تعبر ابدا عن الاحترام الذي يجب ان يشمل الآراء التي لا تتفق معه ، ذلك لاننا نتسامح مع ما لا نقدر على منعه ، والذي يتسامح ما دام ضعيفا يحتمل جدا ان ينقلب الى لا تسامح عندما يزداد قوة .

ان احترام حرية التدين قد عبر عنه تعبيرا سيئا جدا بكلمة تسامح ، ذلك لأن الامر يتعلق بالزام يقرره العدل وبواجب لا يحتمل التساهل . ان التسامح يقتضي لا أن يتخلى المرء عن قناعاته ولا ان يكف عن اظهارها والدفاع عنها والدعوة لها ، بل انما يعني الامتناع عن استعمال اية وسيلة من وسائل

---

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٣٢.

العنف والتجريح والتدليس ، وبكلمة واحدة : احترام الاراء وليس فرضها . وليس من السهل الاختيار بين الرأيين ، ذلك لأن هذه الشكوك والتحفظات قد اثيرت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .[٢٢]

ان مبدأ التسامح يتخذ منابع متعددة دينية وسياسية وقانونية وعرقية واخلاقية واجتماعية وفكرية وفلسفية ، لكنه يواجه عقبات اللاتسامح بسبب التعصب الذي يتخذ احيانا شكل حروب او عدوان او اعمال ابادة او انتقام او تحريم اراء وتجريم وجهات نظر او تكفير فكر، بل انه يمتد الى الحياة الشخصية ليقف حائلا امام الشريك والزوج والاهل .

هل اعدنا النظر؟ وهل احكمنا العقل ؟

اذا كان دعاة التسامح قليلين او هكذا توحي عوامل الكبح، لانه الطريق الاصعب ولاسيما في ظل سيادة نمط الواحدية والاطلاقية وادعاء امتلاك الحقيقة ، لكن الامر يتطلب رياضة نفسية وروحية كمعيار اخلاقي مثلما يتطلب قوانين ومؤسسات ضامنة وراعية .

ان استلهام النماذج المتقدمة على المستوى الروحي والاخلاقي ، وكذلك الضرورات العملية ، تجعل فريق اللاتسامح ينحسر تدريجيا من خلال التطور والتراكم ، وهكذا يمكننا ان نردد- فلا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه .

---

[٢٢] المصدر نفسه ، ص ٢٨.

سيميائيّة الشخصيّات السرديّة

الدكتورة زكيّة بنت محمد بن مبارك العتيبي

أستاذة البلاغة والنقد الأدبي المساعدة

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض

المملكة العربية السعودية

الملخص :

عُرف عن النّص الأدبي منذ فجر ولادته ؛ أنّه غنيّ بالدلالات التي يمكن أن يُفسرها كلّ قارئ بحسب ثقافته وعصره ؛ لذلك ظلّ يحتمل وجوهًا متعدّدة من التّأويل يتسع فيها مجال القول ، الذي كان يتسم بالنظرة الانطباعيّة والتأملية التي كانت بذورها لا تستند إلا على ذوق القارئ ، ورؤيته ، إذ ليس لها قواعد وأُسس تحكمها .

من هنا تولّدت الحاجة لمنهج ينظر الى النص ، ويحلله على وفق قواعد وأسس معينة ، فجاء المنهج السيميائي – كغيره من مناهج النقد الحديثة – إلا أنّه يختلف عنها بأنّه يستقري العلامات والإشارات ، ويربطها بالأنظمة السيميائية خارج النّص ، فقدم بذلك حياة حيّة تعج بالألوان ، والحركة ، والأصوات ، فتحول النّص الأدبي إلى بيئة متحركة تُرى وهي تُقرأ .

لقد توغل المنهج السيميائي في عمق النّص الأدبي ، ولم يركن في تفسيره إلى لغته الظاهرة ، بل تجاوز ذلك بتفسيره المعنى الذي خلف اللغة ، من خلال دلالة العلامات التي يحتويها النّص كاللون ، والإيقاع ، والصوت ، و الحركة ، في تعاضد ، وتناغم جميل يجعل الأبواب مشرعة على مصراعيها للتأويل المبني على قواعد وأسس .

ومما لاشك فيه أنّ للشخصيّة في النّص الأدبي دورا حيويا نابضا ، سواء كان سرديًا أم شعريًا . فالشخصيات الروائية في أيّ أدب – على سبيل المثال – ماهي إلا وسيلة الكاتب ؛ لتجسيد رؤيته ، وإحساسه بواقعه .

والشخصيات التي يُشَخِّصها ، لايُشَخِّصها إلا لإنجاز الحدث ؛ لذلك هي تخضع لفلسفته ، وتصوره عن الحياة .

من هنا جاءت أهميّة هذا البحث ، الذي ستتم فيه معالجة الشّخصيّات السرديّة في رواية (القُندس) للروائي السّعودي : محمد حسن علوان ، التي سيتم تناولها من خلال :

سيمائيّة الأسماء ، وربطها بالبناء الخارجي والداخلي للشخصيات .

وسيكون هذا التحليل على وفق المنهج السيميائي ، مستأنسة بالمنهج التأويلي ، بإذن الله .

وسيأتي البحث منتظمًا – بإذن الله – في أربعة مباحث على النحو الآتي :

المبحث الأوّل : قراءة النص الأدبي .

المبحث الثاني : السّيميائيّة .

المبحث الثالث : المنهج التّأويلي .

المبحث الرابع : سيميائيّة الشخصيات .

المبحث الأوّل

قراءة النّص الأدبي

يقول ميشيل شارل : " بالقراءة وبالقراءة وحدها يكتسب النص أدبيته"[١]

فالقراءة الفاحصة ، تُعيد كتابة النّص .

يقول الدكتور عبد الواحد المرابط : " بما أنّ القراءة محفورة في النّص ، فإنها باشتغالها تعيد كلّ مرة كتابة النّص" [٢]

لم يعدّ الفهم السطحي المباشر للنص يُشكل حكمًا نهائيًا عليه .

ففي الدرس الأدبي الحديث أصبحت قراءة النّصوص ، ودراستها عمليّة ذات جوانب عدة ، تحدّث عنها الدارسون ، ووضعوا فيها النظريات المعمّقة .

---

[١] عبد الواحد المرابط ، السيمياء العامة وسيمياء الأدب . : ص:١١ .

[٢] السابق .

هذه العمليّة جعلتْ الدارسين ، يُدرجون الحديث عن النّص الأدبي في مستويات متعددة ، أولها : الفهم الانطباعي الذي يقف على حرفيّة المعنى المباشر للنّص .

وثانيها : شرح النّص ، وثالثها : يغوص في أعماق النّص ، أما المستوى الرابع -- وهو محور الدراسة هنا – يأتي فيه تأويل النّص الذي عرف منذ زمن الشكلانيّة حتى يومنا هذا.

هذا المستوى : (تأويل النص) ، ينظر الى المعنى على أنّه أمر كامن في النّصوص ، يسعى القارئ لاستخراجه من خلال المعطيات المعرفيّة والثقافيّة التي يتكون منها النّص ، حسبما يثيره في نفس المتلقي من مشاعر وتفاعل . (٣)

أُعتبرتْ القراءة نشاطا خلاقا منذ انتشار البنيويّة وما بعدها ، وازدهار نظريّات التّلقي والتّأويل ، والتّحليل ؛ مما جعل العمل القرائي في موازاة العمل الأدبي. (٤)

يرى الدكتور صلاح فضل ، في كتابه : (مناهج النّقد المعاصر) أنّ التحديد الذي قدمه (آيزو) لفعل القراءة ، الذي يعتمد على التّناغم بين النّص، والقارئ ، هو الذي يضع القضيّة في نصابها الصحيح : " فهو يرى أن نماذج النّص ، لاتحيط إلا بطرف واحد من الموقف التواصلي ، فبنية

---

(٣) إبراهيم الشتوي ، القراءة والنّص ، صحيفة الجزيرة الثقافية .

(٤) صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، أفريقيا الشرق ، ص : ١٢٢

النّص ، وبنية فعل التّلقي ؛ يمثلان استكمال موقف التّواصل الذي يتم ، بقدر مايظهر النّص في القارئ ، متعالقا بوعيه." [٥]

وإذا سلّمنا بأن القراءة نشاط عاطفي ، كما يقول الدكتور حسن سحلول ؛ فإننا نسلم بأنها أحد أهم محركات النص الأدبي ؛ فهي كما قيل عنها : المحرك الأساسي لقراءة الأعمال المتخيلة . يقول في : (نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها) :

" تكمن جاذبية القراءة إلى درجة كبيرة في الأحاسيس التي تثيرها فينا. وإذا كان تلقي النّص يعبئ عند قارئه ملكاته الفكريّة ؛ فإنّه يهيج كذلك ، – وربما على نحو أشدّ – نزعاته العاطفية ، فالأحاسيس هي التي تقوم خلف مبدأ تقمص القارئ الشخصيّات الروائية ، وهذا المبدأ هو : المحرك الأساسي لقراءة الأعمال المتخيلة . ولأنّ الشخصيات الروائية تثير استحساننا ، أو استنكارنا ، ولأنها توقظ فينا الغيرة ، أو الشفقة ، والمودة أو البغضاء ؛ فإننا نهتم بمصائرها ، وينشغل بالنا مع ما يقع لها من خير أو شر." [٦]

لقد عالج في كتابه المذكور آنفا قضية القراءة بطريقة منظمة ، لا تبتعد في مضمونها عمّا ذكره الدكتور إبراهيم الشنوي في مقالته : (القراءة والنص) التي مرت معنا في الكلام السابق حيث جعلها على النحو الآتي :

١– القراءة نشاط عصبي وفيزيائي يعبئ ملكات محددة في الكائن البشري

---

[٥] صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر . أفريقيا الشرق ، ص : ١٢٢ .

[٦] حسن سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها : ٢٣. موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

٢-القراءة نشاط معرفي يحاول القارئ فيه أن يفهم ما الأمر وعما يدور الحديث .

٣-القراءة نشاط عاطفي ؛ تكمن جاذبيته - إلى درجة كبيرة - في الأحاسيس التي تثيرها فينا.

٤-القراءة نشاطٌ حجاجي ؛ حيث يمكن تحليل النّص على أنّه موقف يتّخذه الكاتب من الكون ، ومن الكائنات .

٥-القراءة نشاط رمزي ؛ فالمعنى الذي يستخلصه القارئ من قراءته ؛ (بردة أفعاله أمام القصة المسرودة ، وبتأثره بالحجج المعروضة ، وبتعدد زوايا السرد والرواة) يمضي مباشرة ليتّخذ مكانا له في البيئة الثقافية التي يعيش فيها ذلك القارئ. (٧)

هذا الترتيب المتدرج ، ما هو إلا تفسير لعمليّة القراءة ، وكيف تنتقل من مرحلة القراءة الساذجة ، حتى تصل إلى مرحلة القراءة النقدية.

والقراءة الساذجة عنده تعني : تلك التي تلتزم بمسيرة الكتاب الخطيّة الأفقية.

وأما القراءة العارفة (الناقدة) ، فهي التي يوظِّف فيها القارئُ معرفته العميقة بالنّص ، التي نتجت عن قراءةٍ سابقةٍ لذات النّص.

مما سبق : يتين لنا أنّ القراءة (الساذجة) هي أكثر القراءتين شيوعا ، وهذا أمر طبيعي ؛ لأن النّص الأدبي يُكتَبُ كي يُقرأ ، فهو ينمو مع الزمن

---

(٧) حسن سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ٢٦ .

ويتطور ؛ إلا أن هذا النّوع من القراءة لا يتعلق ببحثنا الذي يُعنى بالقراءة الناقدة .

النّص الأدبي "كتلة لا تُظهرُ الوشائج القائمة بين أطرافها ، ولا طبيعةُ العلاقةِ بين هذه الحادثة السرديّة ، وتلك ، أو بين هذا المقطع ، وذاك إلاّ عقب قراءة ثانيةٍ . وعليه فإنّ تكرار القراءة هو أكثر ما ينسجم مع النّصوص الأدبيّة المعقدة." [٨]

إنّ القراءة الثانية لأيّ نص أدبي ، ليست نشاطا عابرا ، بل هي ضرورة من ضرورات التّحليل الأدبي ، فالكلام كلما زدناه فكرا زادنا معنى .

وعن علاقة القارئ بشخصيات النّص الروائي يقول سحلول : "وبما أنّه من المستحيل على المؤلّف أن يصف الشخصيّات الروائيّة، أو إطارها الجغرافي ، أو الموقف الروائي وصفا كاملا ؛ فإنّ القارئ يُكمل السّرد من خياله ، حسب ما يظهر له ، على أنّه محتمل ، أو قريب الوقوع ." [٩]

ولكي يُؤول القارئ النّص لابد له أن يُفسر أسراره المختلفة في جميع المستويات ، وينتقل من البُنى السطحيّة ، إلى البُنى العميقة ؛ لكي يُخرج بنية النّص الخطابيّة ثم السرديّة فالوظيفية من القوة الكامنة إلى الواقع المفسّر.

ولن يستطيعَ القارئُ الناقد الغوص في عمق النّص ما لم يكن قادرا على فهمِ الرموزِ اللغوية " ذلك ؛ لأنّ العلامة اللغوية مكان يختلط فيه المعنى الحرفي ، والمعنى المجازي ؛ اختلاطا يبلغُ من قوّته أنّه يصعب على القارئ

---

[٨] السابق بصفحته .

[٩] سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، ص: ٢٩ .

حين يباشرُ نصا أن يعرف على وجه اليقين إن كان عليه أن يُنشئ تأويله حسب بنية الجملة القواعدية ، وما تفترضه أنظمة النّحو والتصريف ، أو حسب بنيتها الخطابية"(١٠)

إنّ القارئ الناقد ؛ يستبعد فكرة التّأويل النّهائي للنص الأدبي ، تاركا الباب مواربا لغيره من القراء ذلك ؛ لأن الأثر الذي يحدثُ عند كل قراءة ، هو أثر جديد يحدث للمرة الأولى عند كلّ قارئ.

ومما لاشك فيه أنّ القارئ الذي يكون معاصر النص ، يمكن لمشاعره ، وأحاسيسه أن تتجدد عند قراءته ، وربما تجعله يغيّر من نظرته تجاه الحياة .

إنّ قراءة أيّ نص أدبي ، ما هي إلا سياحة عبر الزمن ، ونكوص للخلف ، كما يقال "فحين نفتح صفحات رواية ؛ فإننا نقرّ ضمنا برضانا بأن نتناسى لفترةٍ من الزمن الواقع الذي يحيط بنا ؛ كي نصل من جديدٍ الجسور التي تربط بيننا ، وبين طفولةٍ تملأ الحكايات والقصص كلّ زواياها . إذ تتنبه القراءة من نومها : الأنا المتخيّلة ، وهذه تكون عادةً في حالة سباتٍ عند الراشد المستيقظ . فإنها تنقل القارئ من جديد إلى الماضي البعيد." (١١)

وختاما : لابد أن نؤكد أنّه ليس ثمة قراءة صحيحة أبدًا ؛ لأنّ العمل الأدبي غاية في التعقيد (١٢) ، كذلك لابد أنْ نعترف بأنّ النّص الذي يقود

---

(١٠) السابق بصفحته .

(١١) سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، ص : ٢٩ .

(١٢) حلمي قاعود ، النقد الأدبي الحديث ، ص : ٣٠٠ .

قارئه إلى توظيف عواطفه في النّص باعتدال ، عن طريق اتخاذ مسافة نقديّة بينه وبين المحتوى الذي يتناوله ، من شأنه أن يُسهم في إثراء التجارب ؛ ويجعلها أكثر خصوبة ، وهذا ما نتوخاه في هذه الدراسة ونطمح إليه .

المبحث الثاني

السيميائيّة

شُغلت الدراسات الحديثة بقضية قراءة النص الأدبي ، واهتمت بالبحث عن الأدوات المختلفة التي تنتج المعنى في النّص .

فأجازت للكاتب التّصرف في اللغة ، تصرفا قد لا يجوز لغيره ، فمن حقه أن يستحدث من التراكيب التعبيريّة ما يشغل به المتلقي ؛ ليجعل منه نصًا منغلقًا ، يحتاج إلى جهد ومهارة في التعامل معه ؛ لفك ألغازه ، والتّمتع بأسراره .

هذه التراكيب تخضع في قراءتها لعدة مناهج نقدية ، يهتم بها النقاد، من ضمنها المنهج السيميائي ، الذي يُعدّ من مناهج مابعد البنيويّة ، وإن كان تاريخيًا بدأ مع البنيوية تقريبا. [١٣] وعُد تابعا لها.

إنّ التمييز بين السيميائية ، والبنيوية يُعدّ تمييزًا مرحليًّا ؛ فالسيمائية تتبع المنهجية البنيوية ، إلا أنها تقتصر على دراسة الأنظمة العلاميّة ،

---

[١٣] صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، ص:٩٦.

الموجودة في الثقافة ، أما البنيويّة فتدرس العلامة ؛ سواء كانت جزءً من نظام أقرته الثقافة كنظام ، أم لم تقره . [14]

تجدر الإشارة إلى أن قضيّة المصطلح في هذا المنهج قضيّة أدت إلى تكوّن بعض اللبس لدى بعض الباحثين ، ويعود السبب في هذا اللبس ، إلى تعدد المصادر الثقافية في اطلاق الكلمات الدالة ، فالمتحدثون بالفرنسيّة يطلقون على هذا المنهج: (السيميولوجيا) كما عرف عن (دي سوسير) ، وإتباع (بيرس) الأمريكي يسمونها : (السيميو تيك ، أو السيميوطيقيا) ، أما النقاد العرب فقد انقسموافي تسميتها إلى ثلاثة أقسام : قسم يؤثر تسمية (دي سوسير) ، وقسم يؤثر تسمية (بيرس)، وقسم ثالث اصطلح على تسميتها بـ (السيميائية) لوجود كلمات مناظرة لها في التراث العربي كالسّمة بمعنى العلامة.

وعليه فإن الأوربيين يفضلون مفردة : (السيميولوجيا) ؛ التزامًا منهم بالتّسمية السويسرية ، أمّا الأمريكيون ؛ فهم يُفضّلون : (السيميوطيقيا) التي جاء بها (بيرس) ، في حين أن العرب – ولاسيّما أهل المغرب العربي – فقد نادوا إلى ترجمتها بـ (السيميائية) محاولة منهم في تعريب المصطلح كما ذكرنا. [15]

ولأنّ اللغة هي المثال السيميائي الأكمل كما يرى (بارت) ، كان لابد من دراسة النّصوص اللغويّة على وفق هذا المنهج ؛ بـ (ترسيمة) التواصل

---

[14] سعد البازعي وآخر ، دليل الناقد الأدبي ، ص :١٧٧ .

[15] سعد البازعي وآخر ، دليل الناقد الأدبي ، ص :١٧٧ .

التي قدمها (جاكوبسون) والتي بات النقد يعتمد عليها في تحليل العلامات ودراستها في التّمييز بين المرسل ، والمرسل إليه وقناة الاتصال ، التي تشمل الرسالة والسياق والشفرة[١٦].

تعرف السيميائيّة بأنها : " علم العلامات" ؛ فهي مأخوذة من السِّيْمَة ، وهي العلامة . جاء في لسان العرب : السُّومة والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء : العلامة[١٧] قال تعالى : "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ"[١٨]

وهذا العلم عرّفهُ (دي سوسير) بـ"دراسة حياة العلامة في كنف المجتمع". [١٩]

لقد اطلق العلماء العرب على هذا العلم مصطلحات عدة ، لم يتفق على أيّ منها . مثل : (الرمزية) ، (الأعراضيّة) ، (الإشارات) ، (علم الدلالة) ، (علم العلاقات) ، (دراسة المعنى) ، (السيمياء). [٢٠]

واصطلاحا كما هي عند النقاد تعرف بـ :" علم أو (دراسة) العلامات (الإشارات) دراسة منتظمة"[٢١]

---

(١٦) السابق بصفحته .

(١٧) ابن منظور ، لسان العرب : ٣١٢/١٢ .

(١٨) سورة الفتح :٢٩.

(١٩) برنارتوسان ، ماهي السيمولوجيا ، ص :٩ .

(٢٠) عبد الفتاح حموز ، سيميائية التواصل والتفاهم في التراث العربي القديم ، ص :٢٥ .

(٢١) سعد البازعيو آخر ، دليل الناقد الأدبي ، ص : ١٧٨.

فالسيميائية هي علم العلامات (الأيقون- الرمز- الإشارة) . ومن الصعب إيجاد تعريف دقيق للعلامة ؛ لاختلاف مدلولها من باحث لآخر.

وتنقسم العلامات عند السيميائيين إلى :

أ- العلامات اللغوية المنطوقة : كاللغة – الرواية – الشعر وتسمى : سيمياء الأدب .

ب- العلامات غير اللفظية : كالأزياء- الإشهار- الأطعمة -علامات المرور – والأشربة- والفنون الحركية والبصرية : كالسينما ، والمسرح ، والرسم . وتسمى السيمياء العامة[٢٢] .

لقد كان (دي سوسير) من أوائل من ميّز بين اللسانيات ، والسيميائية ، حين أصرّ على جعل (السيميائية) أصل ، و(اللسانيات) فرع منها ، إلى أن جاء (رولان بارت) بالعكس ، فجاء (جاك دريدا) وقلب مقولة (بارت) ، بجعل النحوية سمة الإشارة الكبرى ، وجعل منها الأصل الذي تتفرع عنه (السيميائية) و(اللسانيات). [٢٣]

أقسام العلامة عند العرب .[٢٤]

توصل المفكرون العرب إلى تعميم أقسام (العلامة) ، على كلّ أنواع (الدوال) . على النحو الآتي :

---

[٢٢] عبد الواحد المرابط ، السيمياء العامة وسيمياء الأدب ، ص :٩ .

[٢٣] سعد البازعي وآخر ، دليل الناقد الأدبي ، ص :١٧٩ .

[٢٤] عادل فاخوري ، تيارات في السيمياء ، ص:٢٣ .

- **الدلالة العقلية** : هي التي يكون بين الدال والمدلول علاقة ذاتية . أي : تحقق الدال يستلزم تحقق المدلول . مثال : الدخان علامة على النّار .
- **الدلالـة الطبيعيـة** : هي ماتكون بحسب مقتضى الطبع . وغالبا تقتصـر أمثلة هذا النوع على البدن والنفس . مثال : دلالة الحمرة على الخجل.
- **الدلالـة الوضـعية** : هـي التـي يحصـل فيهـا الانتقـال ، مـن الـدال إلـى المدلول ، بسبب قاعدة متفق عليها. مثال : دلالة الألفاظ على المعاني .

علـى الرغم من أنّ فـي هـذا التقسيم إبهامـا ، وخلـل كمـا يـرى بعـض النّقاد ؛ إلا أنّه بوجه عام يقترب من التقسيم المعمول به في علم (السيمياء) ، الذي وضعه (بيرس)

أقسام العلامات (ثلاثية بيرس) :

- **الأيقونـة**(icon) : تقوم على شبه فعلي بينها وبين المدولول . مثال : الصور الفوتغرافية .
- **الدليل**(index) الاتصال الدينامي[٢٥] مع الموضوع العيني من جهة ، ومع الحواس والذاكرة من جهة . مثال : الدخان دليل على النّار .
- **الرمز**(symbol) يقوم الرمز على المجاورة المتواضع عليها ، بينه وبين المدلول ولا يحصل الرمز إلا بقاعدة ، تحدد علاقة المجاورة ، وهو

---

[٢٥] ديناميكيّ ، مُفعَم بالحَيَويّـة ، مُتَحَرّك ، نَشِيط . (قاموس المعاني) علـى الشبكة العالمية .

لا يستلزم أي شبه ، أو اتصال خارجي مع المدلول. مثل : العلامات اللغوية .

المقابلة بين تقسيم بيرس وتقسيم العرب:

- دلالة طبيعية ⟵⟶ أيقونة .
- دلالة عقلية ⟵⟶ دليل .
- دلالة وضعية ⟵⟶ رمز .

من هنا نخلص إلى أنّ العلاقة إذا جاءت بين الدال ، والشيء الذي يرمز إليه ، تكون العلاقة تشابه ، وإذا كانت العلاقة أيقونا ، أوإذا كانت سببية أو مسببة ، كانت العلاقة مؤشرًا ، أما إذا كانت العلاقة اصطلاحيه كانت العلامة رمزا. (٢٦)

مايعنينا في هذا الدراسة هو الدلالة الوضعية (الرمز) ؛ كونها تُعنى باللغة ، وهذا الرمز، أو العلامة اللفظية ، تربط بين المفهوم ، والصورة السمعيّة .

وهذه الصورة عند (دي سوسير) ، ليست صوتا ماديًا ؛ بل هي : الأثر النفسي ، لهذا الصوت ، أيّ : التمثيل الذي تمنحنا إياه شهادة حواسنا لهذا الصوت. (٢٧)

---

(٢٦) عبد الفتاح حـوز ، سيميائية التواصل والتفاهم ، ص:٣٥ .

(٢٧) عادل فاخوري ، تيارات في السيمياء ، ص:٢٥ .

تكمن أهميّة (السيميائية) في بحثنا هذا ، في كونها تُسهم إسهامًا بينا في تحليل النّصوص ، كما أنّها من المناهج التي تتقارب مع التحليل النّفسي ، الذي يحتاج اليه المحلل في النّصوص الأدبيّة ؛ فهو منهج يتكون من مقاربة منهجية للغة ، بواسطة لغة أخرى من دون أن يشعر المحلل بذلك .[٢٨]

من خلال ماسبق تبين لنا أن السيميائيّة ، تسعى إلى الوصول الى المعنى، عن طريق مسارات تأويلية متعرجة ؛ فهي بذلك تصبح منهجا قرائيًا تأويليا .

يسعى التأويل السيميائي إلى تجاوز المعنى الأحادي ؛ لينفتح على المعاني المتعددة ، التي تسمى عند بعض النقاد: بـ(لا نهائية التأويل) ؛ ذلك لأنّ التأويل : "عملية استبطانية ، يحفر في أعماق النّص ؛ لأنّ الإمساك بالدلالة النهائيّة يُضحي أمرًا غير ممكن"[٢٩]

لقد اقتصر تسيميائية (دي سوسير) ، على العلاقة القائمة بين الدال ، والمدلول ، من دون أن تحيل عليه العلامة ، فجاء (بيرس) ، وجعل العلامة ثلاثية الأبعاد هي : الممثل ، والموضوع والمؤول . فأضاف بذلك ركنًا ثالثا ، لسيميائية (دي سوسير) ، وبذلك انفتحت العلامات على دلالات عدة جعلت للقارئ دورا هاما.

---

[٢٨] برنارتوسان ، ما هي السيميولوجيا ، ص:١٣.،

[٢٩] موسى ربايعة ، آليات التأويل السيميائي ، ص:١١.

لقد اطلق (بيرس) على هذه العوامل الثلاثة اسم (السيموزيس) ، أو (السيرورة الدلالية) ، هذا (السيميوزيس) عنده يقود إلى (التوليد السيميائي) ، يقول في ذلك : "إن العلامة ، أو الماثول : هي : شيء يعوض بالنسبة لشخص ما ، شيئا ما بأية صفة وبأية طريقة ؛ فهو يخلق عنده علامة موازية ، أو علامة أكثر تطورا . والعلامة التي يخلقها اطلق عليها : مؤولا للعلامة الأولى ، وهذه العلامة تحل محل شيء ، يُعد موضوعها ، وهذا الحلول لايستوعب الموضوع ، بل يتم عبر فكرة اطلقت عليها أحيانا عماد الماثول"[٣٠]

السيموزيس :

"هي الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات ، وتداولها. إنها : سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة ، فالكلمة ، أو الشيء الواقعي ، ليست كذلك ، إلا في حدود إحالتها على سيرورة . فلاشيء يمكن أن يدل من تلقاء ذاته ضمن وجود أحادي في الحدود والأبعاد، فالواحد المعزول: كيان لامتناه ، ووحده من خلال محمول مضاف ، يمكن أن ينتج دلالة"[٣١]

المربع السيميائي :

المربع السيميائي هو: "صياغة منطقية ، قائمة على نمذجة العلاقات الأوّلية للدلالة القاعدية ، التي تتلخص في مقولات التناقض ، والتقابل ،

---

[٣٠] السابق بصفحته .

[٣١] موسى ربابعة ، آليات التأويل السيميائي ، ص:١٩ .

والتلازم ، فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة ، ويكشف عن آلية إنتاجها ، عبر مايسمى : بالتركيب الأساسي للمعنى".[٣٢]

يُعدمربع غريماس آلية من آليات التأويل السيميائي ؛ لارتباطه بممارسات غريماس النقدية .

أهمية مربع غريماس :

تكمن أهميّة مربع (غريماس) ، في أنه يجسد علامات التضاد ، والتناقض ، والاختلاف بطريقة تساعد على إنتاج المعنى، وتوليد الدلالات ، في النص الأدبي .

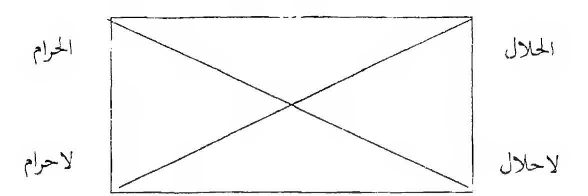
"تتميز نظرية غريماس عن باقي النظريات السردية ، بخاصية : (مشكلة المعنى) ؛ فالتحليل وفق هذه النظرية ، لايعني تعيين المعنى بشكل حدسي ، من دون تحديد لسيرورة نموه وموته." [٣٣]

---

[٣٢] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات ، ص:٢٢٩ .

[٣٣] سعيد بنكراد ، السيميائيات السردية ، ص: ١٠ .

مخطط لتوضيح تشكيل المربع السيميائي:



المبحث الثالث

المنهج التأويلي

تعريف التأويل :

"التأويل هو : تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي، من خلال التحليل ، صياغة المفردات والتراكيب وإعادتها ، من خلال التعليق على النص".[٣٤]

حقيقة التأويل :

التأويل في حقيقته هو "البحث المستمر عن أفضل شكل للفهم ، والاستيعاب : على اعتبار أنّ كل فهم يفتح طريقًا للتساؤل ، وإلى تنشيط الفكر".[٣٥]

يقول(ديلتي) : " إن الغاية النهائية للتأويل هي أن نفهم الكاتب أكثر مما فهم هو نفسه"[٣٦] .

---

[٣٤] سعد البازعي وآخر ، دليل الناقد الأدبي : ٨٨ .

[٣٥] محمد خرماش ، النص الأدبي وإشكالية القراءة والتأويل .

[٣٦] محمد خرماش الخطاب الأدبي وتمثيلية الواقع الخارجي ، مجلة أفكار ، العدد : ١٣١ سنة ١٩٩٨، عمان ، الأردن .

التوزيع الثلاثي للعلامة :

تضع العلامة للتداول ثلاثة عناصر ، لايمكن أن يستقيم وجود أيّ سيرورة سيميائية إلا من خلالها وهي :

- **ماثول** : يقوم بالتمثيل(أول)
- **موضوع للتمثيل** (ثاني)
- **مؤول** : يضمن صحة العلاقة بين الماثول والموضوع (ثالث) [٣٧]

المبحث الرابع

سيميائية الشخصيات

الشخصية في العمل السردي : " كائن حركي حيّ ، ينهض بوظيفة الشخص من دون أن يكونه"[٣٨] ، وهي بهذا التعريف تتجاوز الفرد لكنها تحتويه . إنّها ببساطة ؛ تعتبر التحقق الذي يتم داخل الفرد لفكرة ما. [٣٩]

وتعد الشخصية داخل النص السردي ، عنصرا من العناصر التي يعج بها الفضاء النصي ، فلايمكن إدراكها بشكل معزول عن باقي العناصر المشكلة لذلك العمل . [٤٠]

---

[٣٧] سعيد بنكراد السيميائيات والتأويل ، ص:٤٦ .

[٣٨] فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات .٢١٤.

[٣٩] السابق بصفحته

[٤٠] سعيد بنكراد ، سيمولوجية الشخصية السردية .

كما أنّ الشخصية في الأبحاث اللسانية والسيميائية تعد علامة يجري عليها مايجري على العلامات ، فهي بياضٌ دلالي ، تكتسب قيمتها من خلال انتظامها داخل نسق محدود. [٤١]

مستويات وجود الشخصيات في النص السردي :

الشخصيات داخل النص السردي إما أن تكون شخصيات ثابتة ، أو متحركة .

فالشخصيات الثابتة : تؤكد عالم النصوص الفاقدة للمبنى ، كما تؤكد ثبات حدوده .

أما الشخصيات المتحركة : فهي تخترق الحدود عن طريق تفجير العنصر الساكن ، لتحوله إلى عنصر مرئي ينبض بالحياة ، وبذلك نستطيع أن نحصر وجود الشخصيات في النص بمستويين :

المستوى الأول : تتحدد داخله الشخصية ، باعتبارها سندا مجردا ، قابلا لاستقبال استثمارات دلالية متنوعة .

المستوى الثاني : تظهر في داخله الشخصية على أنها عنصر يقوم بالربط بين مجموعة من الثيمات. [٤٢]

---

[٤١] فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات . ٢١٧.

[٤٢] هي شبكة منظمة من الأفكار الملحة لدى المؤلف أي أنها صورة أصلية غير قابلة للاختزال أو التبسيط تقوم بتوجيه معظم الأعمال التي ينتجها ذلك المؤلف .

إنّ الأصل في بناء أيّ شخصية داخل نص أدبي ، هو وجود بنية دلاليّة ، مجردة ، ذات طابع كوني ، توضع في شكل خاص ؛ لبناء النص الثقافي العام الذي ينتج داخله النّص السردي ، وبذلك يكون تجسد الشخصيّة ، وبنائها أمام المتلقي بناءًا متكاملا ، هو: بناء ثقافي ؛ ذلك أن المتلقي لا يستطيع أن يكشف عن أسرار الشخصية في النّص إلا من خلال المخزون الثقافي الذي يعرفه ، فمن خلال هذه الترسيمة الثقافية ، يتم تشكيل الشخصية عن طريق : تجميع الصفات ، والسلوك ، والأفعال ، وبث الروح فيها من خلال النص المكتوب .

إذن الشخصية ليست وليدة مستوى التجلي ، [٤٣] الذي توهمنا به القراءة الأولى ، بل توجد لحظة استشراف[٤٤] بنية مجردة ، تعود كما يقول النقاد إلى نص ذي مبنى .

وعلى هذا فالشخصيات ، باعتبارها أحد مكونات النص السردي ، لا تمتلك وجودا مستقلا ، لذا فإن التفكير في الشخصيات هو تفكير في سيرورة[٤٥] إنتاج الدلالة عن طريق التفكير في المسار التوليدي الذي يسمح للمعنى بالتحول إلى شكل قابل للإدراك والوعي. [٤٦]

---

(٤٣) التجلي في اصطلاح المتصوفة ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .

(٤٤) استشراف تعني التطلع لإدراك الخواص ، مأخوذ من وضع اليد على الحاجب للاستعانة بذلك على الرؤية .

(٤٥) يقال : دخلت القضية في سيرورة أي : في امتداد وتطور مسلسل في حركة متتالية .

(٤٦) فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات.٢١٧.

أنواع الشخصيات في العمل الروائي:

✓ **شخصيات بنائية** : هي تلك المتنامية باستمرار ، القائمة على ثنائية الحراك والديناميةة ، كلما تواترت الأحداث ، لتؤول إلى الاكتمال في النهاية ، أيْ أنه لا يكتمل بناؤها ، وتشكلها الكامل ، إلا عند انتهاء النص ، كشخصية (غالب) في الرواية.

✓ **شخصيية مرجعية** : هي التي تميل إلى معنى ثابت تفرضه ثقافة ، يشارك القارئ في تشكيلها ؛ كالشخصيات : التاريخية المعروفة ، و الشخصيات ذات الصفات الاجتماعية ؛ كالكريم والبخيل، والشخصيات المجازية ؛ كالحب والكره .

✓ **شخصية إشارية** : هي الشخصيات التي تتكلم باسم مؤلف النص .

✓ **شخصيات استذكارية** : هي التي تحدد هويتها بنسج سلسلة من الاستدعاءات والتذكر عن طريق أجزاء ملفوظة ، ووظيفتها الأساسية الربط والتنظيم.[٤٧]

يرى بعض النقاد أنّه يمكن النظر إلى الشخصية على أنهّا مدلول حينا ودال حينا آخر، وهي بذلك تكون دليلا له وجهان : دال ومدلول . إلا أنّها تختلف عن الدليل اللساني ؛ بأنها ليست جاهزة قبل ولادة النص ، ولكنها تتحول إلى دليل وقت بنائها فيه .

---

[٤٧] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات . ٢١٤.

التجربة الروائية العربية :

لقد حظيت الرواية العربيّة مؤخرا ، باهتمام كبير من النقاد والباحثين في المجتمعات العربية المثقفة ، فقد تحولت إلى أداة فنية تحكي مصير الإنسان العربي وحالته النفسية وسلوكه وواقعه اليومي . لقد أصبحت مرآة للمجتمع بكل تفاصيله ، إيجابية كانت أم سلبية ، لذلك رأى كثير من المحللين ؛ أن الرواية ما هي إلا انعكاس لواقع المجتمعات .

وقد شهدت الرواية السعودية ، ولاسيما روايات التسعينيات الميلادية وما بعدها ، تطورًا من النّاحية الفنية ؛ حيث مال بعض الروائيين إلى التجديد ، وحرصوا على توظيف التقنيات السردية الحديثة ، كما حرصوا على استخدام اللغة الشعرية ، وتفننوا في كشف المستور على المستوى الاجتماعي ، والثقافي ، والسياسي ، ويرز المكان في أعمالهم بشكل جليلي حكي عن ثقافة المجتمعات .

لقد ازدهرت التجربة الروائية السعودية ؛ فأصبحت تقدم صورة صادقة للمجتمع السعودي ، وطموحاته الاقتصادية ، وتحولاته الاجتماعية ، والثقافية ، وصراعاته ومشاكله ودواخله النفسية ، من خلال الشخصيات ، والزمان ، والمكان ، كما في رواية القندس موضع الدراسة ، وهي رواية مميزة ، نافست على جائزة البوكر العالمية العربية عام ٢٠١٣م .

سيميائية الشخصيات الروائية :

إن المتتبع للمسار الروائي للكاتب ، يجزم بأن اختيار أسماء الشخصيات كان متعمدا فقد جعل منه خاصية فاعلة في بناء الرواية .

ثمة درجة من الانزياح في الرواية ، وهو الملمح الذي نخرج به من خلال هذه الرواية ، حيث حرص علوان على الشخصية الرئيسة (غالب) وجعلها تتميز بالدينامية والحراك والتحول المستمر، حتى ما تعلق بالمستويات الثقافية والسلوكية والاجتماعية .

كل ذلك كان يخدم النص في النهاية ، ويحقق غايته التواصلية لدى المتلقي ، ويترك بياضا دلاليا ، يسهم القارئ في بنائه

إنّ اختيار الأسماء – مثلا- حاجة من صميم العمل الروائي ، فهي التي تقوي علاقة النص بالقارئ . إنها فاعلٌ سردي ، ومفتاح عملي مهم ؛ للدخول لفضاء الرواية .

بين يدي الرواية :

رواية (القندس) هي الرواية الرابعة للروائي السعودي الشاب محمد حسن علوان صدرت عام (٢٠١١) عن دار الساقي ، وقد توزعت في أربعين فصلا ، جاءت في ٣١٩ صفحة من القطع المتوسط .

هذه الرواية تحكي قصة رجل سعودي تجاوز عقده الرابع بذاكرة متخمة بالوجع طوال سنوات حياته .

ولد (غالب) وهو بطل الرواية في أُسرة مفككة في الرياض ، بعد أن انفصل والداه وأصبح لكل منهما أسرة ، فوجد (غالب) نفسه غريبا في كلا الأسرتين .

هذه البداية المفككة في طفولته شكلت عوامل أدت إلى عزوفه عن الزواج .

(غالب) الراوي العليم يقارن بين (القندس) وطباعه ، وبين أسرته في الرياض ، حيث يتهم أهله – بلا استثناء – (والده ، ووالدته ، وأخواته ، وأخوه ، وعمته ، وزوجه والده) بأنهم كهذا الحيوان الغريب ، يبنون السدود بينهم وبينه ، وبينهم وبين الآخرين .

(سيمائية الأسماء ، وربطها بالبناء الخارجي والداخلي للشخصيات . شخصية البطل نموذجا .

شخصية غالب هي الشخصية المتحركة في الرواية .

شابٌ متمردٌ مأزوم ، يعاني من مرض (القولون) ، مما يؤكد أنه شخصية عصبية أو حساسة . ترتسم ملامحها الداخلية بأنها شخصية تتسم بالضعف والخوف والحب ، وهي شخصية انتهازية ؛ حيث استغل مشاعر عمته (فاطمة) ، ومعاناتها ؛ فلعب على الوتر العاطفي معها ، أيضا استغل طيبة (ثابت) ، وحاجته لمن يفضفض له ، من أجل استلال مادة منهما لبحث التخرج الذي لم يكمله .

لقد نجح علوان في رسم شخصية (غالب) من الداخل ، كما نجح في رسمها من الخارج ، حيث جعل منها شخصية سلبية ، فقيرة معرفيا ، واجتماعيا وعاطفيا ، تعاني تفككا أسريا في ظل طفرة نفطية ، ومالية أثرت على كثير من القيم .

هذا من حيث ملامحه الداخلية ، أما ملامحه الخارجية التي أسفرت عنها الرواية ، ولعلها سبب في إصابته بالقولون العصبي ، أنه أصيب بتشوّه الوجه بسبب حادث سيارة .

هذه هي مُشكلة غالب التي لم يكن يفصح عنها وهي تكمن في كونه يعاني من اضطراب وتشوّه داخلي عميق ، عَكَسَهُ الروائي بشكل واضح في وجهه ، بعد أن جَعلهُ يتعرَّض الى حادث سير جاء على لسان غالب : " جَمَع حادث السيارة كل تلك الملامح المبعثرة أصلاً وبعثرها مرَّة أخرى بمعرفته "[48].

التشوّه الخارجي الذي لحق بوجه غالب ، عمَّق التشوّه الداخلي لديه ، لذا عَمَد إلى نسيان وجهه وتجاهله يقول في ذلك : " آخر مرّة رأيت فيها وجهي كاملا كانت وأنا أراجع بيانات، تأشيرة السفر الأميركية قبل شهرين في الرياض ، وبعد ذلك لم أعد أراهُ سوى لِما ما في غرف الفنادق ، وردهات المطارات ، وزجاج السيارات ، وربما لهذا أنا أتأمل بقيّة جسدي دون وجهي ، لئلا أنسى من أكون. "[49]

ومِما زاد من إحساسه بهذا التشوّه ، علاقته مع والده التي كانت تشعِره بأن والده يتسرّب الى دَمِهِ مثل مرضٍ وراثي عنيد يقول في ذلك : "يَخرُجُ أبي من فناجين القهوة أحيانا مثل ماردٍ من البُن ويداهُمني ليلا ونهارا "[50].

---

[48] رواية القندس: ٢٠٢ .

[49] السابق بصفحته .

[50] السابق بصفحته .

تعاني شخصية غالب من إحساس دائم بالقلق لاسيما فيما يتعلق بالمجتمع حيث يقول : "محاولاتي الدائبة للانفصال ، لا يفهمها أحَد ، حتى أنا . لطالما فسرتها على أنّها فشل ذريع ، بينما لم تكن إلاّ تمرينا غير مكتمل ، على انفصال موعود ، ولتوّهِ اكتمل بصعوبة بالغةٍ وأنا في الأربعين"

ويقول أيضا: "وحده القلق الذي أبقى بيننا العهد وجَعَل كل ما بيننا كعائلة مجرد عهد "[٥١]

شخصية غالب في الرواية جاءت فاعلا سرديًا محوريًا، في إشارة إلى طبقة معينة من المجتمع ، هي الطبقة الوسطى .

يتصاعد المد السردي ، بعد أن يفرد غالب الكثير من تفاصيل أُسرته ، فترتسم لنا ملامح الشخصيات الداخلية والخارجية بشكل أوضح، إلا أنه لم يقف عند وصف بعض الشخصيات الهامشية كحسان وفيصل وداود ، وجاره الفلبيني وكأنما جاء بها لتحريك صفات الشخصية الأم في الرواية التي يصعب تشكيلها وهي في معزل عن باقي الشخصيات الأخرى .

اشتقّ اسم بطل الرواية (غالب) من القهر والاستيلاء ، يقال : غلبه أي : قهره ، وتغلّب عليه إذا استولى عليه قهرًا ، وهو من الأضداد تقول العرب : شاعر مُغَلّب ، فهو غالب ، وتقول : رجل غُلّب أي : مغلوب[٥٢].

و(غالب) في الرواية ؛ مغلوب من نزواته ، وإخفاقه ، غالب في سرد الحكاية ؛ وتصنيف أفراد أُسرته كما يحلو له.

---

[٥١] السابق :١٩.

[٥٢] ابن منظور، لسان العرب :١/٦٥٠ .

أراد علوان أن يمرر لنا من خلال السمات الداخلية والخارجية لتركيبة شخصية غالب ، ذلك الوجع النفسي، الذي يعتمل في النفس ، من دون أن يشعر به أحدا غير صاحبه .

لقد تحمل غالب ذلك كله ، مستعينا بتغيير السلوك من فترة لأخرى ، حتى داهمته الأربعون ، وبدأت مناعته النفسية تتآكل ، مع أزمة السن ، فأصبح لا يطيق المكوث في مدينته الخانقة ، المملوءة بذكريات الخيبة والألم ، والتفكك .

لقد كان انفصال أبويه حدثًا مهمًا في بروز ملامح التغير في شخصيته ، فأصبح ينظر الى نفسه على أنه ضحية خادعًا نفسه بهذه النظرة ، لأنه كان يسافر ، ليستريح من دوره كأخ أكبر ، كما أنه لا يتقرب من أحد من أفراد أُسرته ، إلا إذا كانت له مصلحة ، وهو مع كل هذا ، خاب في أن يكون ابنًا بارًا أو أخًا حنونا ، أو صديقا مخلصا ، أو حبيبا مضحيا.

ساهم حبه غادة في تغيير شخصيته ، كما ساهم في بناء السد بشكل أكبر بينه وبين عائلته .

إنه "شخصية اغترابية في انتمائها للزمن الذي تعيش فيه" ، لا تملك دافعًا تخلق به تواصلا مع محيطها ، ولم يكن سفره خلال عشرين عاما ؛ ليلتقي بعشيقته غادة إلاّ علامة على العجز والخيبة في التفاعل مع الزمن ، بموجوداته الراهنة ، لقد كان سفره هربا من ذاته ، ومن عالمه ، لذا ليس هنالك من صلة انتماء لديه ، سواء كان مقيما في مدينة الرياض أو على ضفة نهرٍ (ويلامت) في مدينة (بورتلاند) الأميركية .

انفرد ضمير المتكلم من أول الرواية حتى نهايتها ، – وهو في الوقت ذاته الشخصية المركزية – في سرد الأحداث ، فبقي صوتًا منفردًا يقوم بمهمة : (شاشة الذاكرة) ، وهي تستعيد المشاعر، والأحداث بالتفصيل .

يقول مروان الدليمي : "بهذه الآلية استندا لكاتب في بناء نصّه الروائي ، مُخضِعاً بنيته الفنية إلى سِماتٍ استعارها من خاصيّةٍ تتوفر في معمارية النص ، فالتطابق التام ما بين السارد والشخصية المركزية كان قائما ، وغابت عنه المسافة التي تفصل مابين الاثنين ، وانفتحت ذات السارد (الشخصية المركزية) في تشكيل بنية الحكاية وهي تتحرك على وفق آلية الوصف ، بهدف القبض على متغيرات المحيط الخارجي ، لتعكس من خلالها ، داخل وخارج الشخصية"[٥٣]

وصل غالب متأخرا إلى لحظة الوعي بما أقترفه من حماقات ، لم تترك له سوى كآبة وإحساس ، بالنّبذ ، فما كان منه إلا أنْ خلع قناع القندس عنه . يقول في ذلك : " أخلعُ عن جلدي الفرو الذي ليس لي ، وأنزع الأسنان التي لم تقضم شيئاً نافعا . هذا ما استعنتُ ببورتلاند عليه منذ البداية . تملّصتُ بصعوبة من جذوري ولا أظن أحداً من أسرتي فعل مثل هذا. ما زالوا يجمعون الجذوع اليابسة جمعًا منذ عرفتهم ، وحتى تركتهم ولن يتوقفوا عن ذلك أبدا ، قررتُ أن أفِرَّ عن المشاريع المغلقة التي تورِّطنُا فيها

---

[٥٣] مروان ياسين الدليمي ، تناص الخطاب الرّوائي وانفتاح الدلالة.

الحياة وتجعلنا قنادس هذا السّد ، هاجس الحماية الأزلي ، مشروع مغلق لا يمكن أن ينفتح على اتجاه جديد مهما تغيرت الأجيال." [٥٤]

يتجاوز غالب الأربعين من العمر بسلسلة من الإخفاقات المتوالية ، بَدأتْ مع غادة أهم الشخصيات المرجعية التي تقاسمت معه البناء والمحورية والأحداث ، والحركية . وهي زوجة سفير سعودي في لندن ، شَغَلت قصتها معه ، مساحة واسعة من حكاية النص.

أرادها المؤلف أن تكون كشفًا صريحًا لعلاقة مشوّهة ، لم يكشف غالب عنها إلا بعد عشرين عامًا ، بعد أن اكتشف أن هذه العلاقة الزائفة ذهبت به بعيداً في وهمٍ كبير بدد فيه عمرهُ ، وهو يطارده عابرًا المسافات ، ليلتقيه على أمل أن يصبح ملكه ذات يوم .

كان لسمات شخصية غادة الداخلية والخارجية من معنى اسمها نصيب أيضا فاسمها مشتق من مادة (غيد) ، والأغيد هو الوسنان الذي مالت عنقه والغَيَد النعومة ، والأغيد من النبات المتثني ، والغادة الفتاة الناعمة. [٥٥] وهذه كلها أوصاف تصدق على غادة التي مالت عن معاني الحياة الشريفة منذ أن كانت فتاة حتى تزوجت ، واستغلت بنعومتها ، وتثنيها قلب شاب مفلس من كلّ شيء إلا الخيبة ، فأخذت تسوق عليها لدلال ، وتؤكد من خلاله لنفسها بأنها مازالت أنثى مرغوبة حتى بلغت الأربعين .

---

[٥٤] رواية القندس:٢٠٩ .

[٥٥] ابن منظور،لسان العرب .

إنها نموذج آخر يقدمه الروائي ، ويسقطه على واقع متهاو ، تفككه التناقضات والهشاشة والتمثيل الزائف في كثير من الحالات في مجتمع محافظ ، يخفي ما لا يبديه .

أسهمت علاقتها المشوهة مع غالب في تشكيل شخصيته .

جاءت أكبر خيبات غالب عندما حَسَمَتْ غادة خلافها مع زوجها السفير السعودي في لندن وعادت إليه . ثم تلقى الخيبة الثانية بعد وفاة والده ، عندما اتضح له ، بأنه لا يملكُ ما كان يظنُّهُ يَملكُ .

فضلا عن أن غادة التي ساهمت في تشكل شخصية البطل ، هناك شخصيتان لا يمكن تجاهلهما في تشكل شخصيته أيضا هما :

والد غالب :

هو شخصية ذات مرجعية اجتماعية ، تمثل مرجعيتها على بساطتها . تعتبر هذه الشخصية مرتكزًا مهمًا في الرواية .

يقول غالب عنه : "منذ وصل أبي إلى الرياض ووجهه معفّر بالدّين واليتم وهو يشعر بأنها حريق كبير يوشك أن يأخذه . ولذلك ربّانا جميعا كفرقة إطفاء." (٥٦)

مرت شخصية والد غالب بتحولات عدة جعلته شخصية تستفيد من تجربتها القاسية وتتعلم كيف تؤسس لوجودها وذاتها يصفها غالب بقوله :

---

(٥٦) القندس: ٤١ .

"…. منذ أن سكنا في الفاخرية وأبي يتعامل مع الناس وكأنه فاتح منتصر لا ساكن جديد . يبني المسجد ويغير أسماء الشوارع ويتدخل حتى في أمزجة العابرين ولوحات المحال التجارية . اضطر صاحب المغسلة المجاورة أن يتكبد مصروفا إضافيا لتغيير ماسورة تصريف المياه التي كانت تقطر في الشارع بعد أن وبخه عدة مرات وهدده بإقفال المحل. لم يكن صاحب المحل اليمني يعرف أبي فتخيل أنه يملك القدرة فعلا فرضخ لمطالبه رغم أن نادرا ما يمر بتلك الجهة من الرصيف ، حتى إذا فعل يوما قفز البائع الهندي في محل البقالة المجاورة من مكانه ليقدم له قطعا من الحلوى والفاكهة يأخذها أبي منه باستخفاف ليلقيها في حجر المتسولة التي تستوطن ركنا ثمينا من الحي منذ سنوات…" [٥٧]

إنّه شخص مغرور، متكبر ، يتاجر في السجاد ، ثم في العقار، تزوج بعد طلاقه أم غالب بامرأة أخرى ، أنجبت له سلمان ونورة ومنى .

يرى غالب أن الأخوة المُنفرطين من رحمين مختلفين ، ليس هنالك من شيء يجمعهم فقال واصفا لنا بعض سمات شخصية والده الداخلية : "عندما شَعر أبي بذلك ، قرر أن يَطلينا بالصمغ ، ويلصق بعضنا ببعض ، كيفما اتفق ، حتى نبقى معا ، ولو كانت قلوبنا شتى "[٥٨]

أخفقت سياسة الأب في أن يكونوا أسرة كبيرة ، ولم تفلح السيارات ، ولا الشارع الذي حمل اسم الأب ، ولا المسجد الذي بناه في الحي في لم

---

(٥٧) القندس: ٢٩

(٥٨) القندس:٣٣

شتات الأسرة ، التي بقيت أُسرة بكماء في ما بينها ، ثرثارة في محافل الآخرين ، يخترعون فضائحهم بكتمان حتى لايعرف أحدهم ماذا يحاك في الغرفة المجاورة .

أم غالب :

امرأة مريضة متذمرة ، تدعو الله ثم تشكو عظامها وظهرها ، ثم تسخر من حاله ، وترى العقوق من أبنائها على أيةّ حال.

وهي وإن لم تكن مرتكزًا محوريًا في المنجز السردي ، إلا أنها حققت ، استقطابا متناميا لكلّ المؤولات الشخصية ، وتوظيفا فنيا ، يبرز القدرة على التشكيل والتفعيل .

جاءت تركيبة الأسماء اللغوية ، في الشخصيات البنائية كلها مفردة صرفة ، أما في زمرة الأسماء المرجعية ، فجاءت مركبة أو مكناة : فأبو غالب : تركيب إضافي ، وهو كنية ، كذلك أم غالب : تركيب إضافي ، وهو كنية أيضا .

خاتمة :

مما سبق نخلص إلى أنّ الأسلوب الاستبطاني ساعد على أن يقدم علوان شخصياته بكفاءة عالية ، كذلك اختيار الأسماء الحاملة للبعد النفسي ، جعلته يلج العالم الداخلي لشخصياته .

اعتمدت شخصية غالب على الاستبطان ، والمناجاة ، كما أن شخصيات علوان ، لم تتولد من فراغ ، فقد استعار الكثير من المحيط الخارجي ، فرسم بذلك ملامح الأشخاص الذين يعرفهم ، أو يحتفظ بآثارهم في ذاكرته عن طريق مراقبته تصرفاتهم في مواقف معينة ، ذكره بها عقد المقارنة بين حيوان القندس وبين أهله .

المصادر :

- إبراهيم الشتوي ، القراءة والنص ، الرياض ، صحيفة الجزيرة ، الجزيرة الثقافية ، العدد : (٤٠١) ، ٢٣-٥-١٤٣٤هـ .
- ابن منظور، لسان العرب ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ .
- برنارتوسان ، ما هي السيمولوجيا ، ترجمة : محمد نظيف ، المغرب ، أفريقيا ، الشرق ، الطبعة الثانية ،٢٠٠٠م .
- جهاد العرجا ، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ . قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية بغزة ،٢٠٠٣م .
- حسن مصطفى سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها. دمشق ،٢٠٠١موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت .
- حلمي القاعود النقد الأدبي الحديث بدايته وتطوراته ، دار الناشر الدولي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
- سعد البازعي . ميجان الرويلي دليل الناقد الأدبي. ، بيروت ، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٧م .
- سعيد بنكراد ، السيميائيات والتأويل ، بيروت ، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م.

- سعيد بنكراد : سيمولوجية الشخصية السردية رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا .عمان ، الطبعة الأولى ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣ .
- صحيفة الحياة السعودية حوار أجرته الصحفية مباركة الزبيدي مع المؤلف .
- صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر، المغرب ، أفريقيا الشرق ، الطبعة الثانية٢٠١٣م .
- عادل فاخوري ، تيارات في السيمياء ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م
- عبد الفتاح الحموز ، سيميائية التواصل والتفاهم في التراث العربي القديم ، عمان ، دار جرير، الطبعة الأولى ،١٤٣٢هـ ،٢٠١١م
- عبد الواحد المرابط ، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل . الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى ،١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى ،١٤٣١هـ٢٠١١م .
- محمد حسن علوان ، القندس ، دار الساقي ، بيروت ، الطبعة الأولى٢٠١١م
- محمد خرماش ، الخطاب الأدبي وتمثيلية الواقع الخارجي- اش : عمان ، الأردن ، مجلة أفكار ، العدد : ١٣١ سنة ١٩٩٨م .

- مـروان ياسـين الـدليمي ، تنـاص الخطـاب الروائـي وانفتـاح الدلالـة (القنــدس روايــة للكاتــب الســعودي محمــد حســن علــوان)
http://www.ishtartv.com/viewarticle,48970.html#sthash.ZGP0EXLN.dpuf
- موسى ربابعة ، آليات التأويل السيميائي . ، الكويت ، مكتبة آفاق ، الطبعة الأولى ه١٤٣٢-٢٠١١م

" أثر نوع المدرسة (للبنين ـ للبنات) في التوجه نحو الدور الجنسي لدى تلاميذ المدارس الابتدائية"

أ.م.د. ابراهيم مرتضى الاعرجي[1]
كلية الاداب–جامعة بغداد–

السيد: ضاري محمود حاتم[2]
كلية الاداب–جامعة بغداد–

الملخص :

يعد نوع الجنس أوما يعرف بالدور الجنسي (Sexual stereotyping) من الموضوعات المهمة في حياة الأفراد . وهو يتأثر بشكل كبير بالعوامل البيئية المحيطة بالفرد . وتؤدي البيئة المدرسة دورا كبيرا في نمو الدور الجنسي للاطفال وتطوره . ويمكن لنوع المدرسة (للبنين، للبنات) (وهو نظام تربوي معمول به في العراق) ان يؤثر بشكل كبير في تشكيل دور جنسي للتلاميذ غير متسق مع ما يتوقعه منه المجتمع ، ولاسيما ان هناك حالات كثيرة يدرس فيها التلاميذ في مدارس مغايرة لنوع جنسهم . والبحث الحالي يحاول تعرف اثر نوع المدرسة (للبنين ، للبنات) في التوجه نحو الدور الجنسي لدى تلاميذ المدارس الابتدائية ، وقد طبق مقياس الدور الجنسي على عينات مختارة من المدارس الابتدائية مقدارها (١٠٠) تلميذ وتلميذة ، اختيروا من مدارس مماثلة ومغايرة لنوع جنسهم . وقد كشفت النتائج ان نوع المدرسة (للبنين ، للبنات) يؤثر في التوجه نحو الدور الجنسي لدى تلاميذ المدارس الابتدائية .

---

[1] رئيس قسم علم النفس في كلية الاداب جامعة بغداد .

[2] باحث وطالب ماجستير في تخصص علم النفس في كلية الاداب جامعة بغداد .

مشكلة البحث :

يعد نوع الجنس أوما يعرف بالدور الجنسي (Sexual stereotyping) من الموضوعات المهمة التي لها الأثر الكبير في حياة الأفراد ، وهو يسهم بشكل فعال في بناء توجهاتهم ومهامهم الاجتماعية في مجالات الحياة المختلفة . وعلى الرغم من أن تمييز الطفل بوصفه ذكراً أو أنثى يتم من خلال الخصائص البيولوجية ، الاّ أن كلا من الأسرة والمجتمع تؤديان الدور الأسمى والاهم في بناء أو تشكل الدور الجنسي للافراد ، إذ أن الخصائص الذكورية أو الأنوثية (نمط الدور الجنسي) لاتتشكلان إلاّ في ظل العوامل البيئية ، فهي تنمو وتتشكل عن طريق اكتسابها من المجتمع من خلال عملية التنشئة وضمن أطار التنميط الجنسي (الحمداني ،١٩٨٩، ص١٩٤).

وتؤكد الدراسات الانثروبولوجية ان الادوار الجنسية للذكور والاناث تتباين على وفق البيئة الاجتماعية والثقافية من حضارة لأخرى ، وان مفهوم المرأة والرجل لا يمنح بصفة فطرية أو طبيعية عند الولادة حسب النوع (الجنس) ، بل هو دور الكائن الاجتماعي الذي يتطور ويتنوع حسب الاجيال والبيئة الاجتماعية والثقافية ، فالغزل والنسيج والطهي ورعاية الحيوانات (على سبيل المثال) من أنشطة الأناث في بعض الحضارات في حين أنها في حضارات أخرى تكون من عمل الرجال ، وفي معظم الحضارات تعد العدوانية والاستقلالية والاعتماد على الذات من خصائص الذكور ؛ على أن الحنو والطاعة والمسؤولية الاجتماعية من خصائص الأناث ، ومع ذلك ، فقد نجد النساء في بعض الحضارات عدوانيات معتمدات على ذواتهن في حين يظهر الحنو والطاعة على الذكور وهذا ما أثبتتة "ماركريت ميد" في

دراستها على (التشامبولي) وهم قبيلة في غينيا (مسن ، واخرون :١٩٨٦ ، ص ٢٦٦) .

وتعتمد كل المجتمعات على اختلافها تقسيم الادوار بين الرجل والمرأة. ويمثل هذا التقسيم المبدأ الاساسي لتنظيمها، إلا أن محتواه يختلف من مجتمع إلى آخر ومن مكان الى آخر ومن زمان إلى آخر ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى . وتشير الدراسات في علم النفس الاجتماعي بأن الأنماط الجنسية تتغير نتيجة لدينامية الثقافة وتبدل الظروف الاجتماعية – الاقتصادية بمرور الزمن ، فالأزمات المفاجئة مثل الحروب أو المجاعة يمكنها ان تغير مايفعله الرجال والنساء بصورة سريعة وجذرية على الرغم من أن المواقف القديمة السابقة على الأزمة قد تعود للظهور في بعض الأحيان، لكن في أحيان أخرى قد تخلق التغيرات أثرا دائما لايزول (وليمز وأخرون ، ٢٠٠٠: ٣٨) .

وعلى وفق علماء النفس فان الدور الجنسي للفرد يبدأ بالنمو والتشكل في مراحل النمو الاولى (مرحلتي الطفولة والمراهقة) وهو يتأثر بشكل كبير بالوسط الثقافي (الاسرة والمدرسة) ، ويبدأ التمايز الجنسي للأطفال من مراحل مبكرة منذ الرضاعة، فلا يزال الوالدان يخصصان ملابس للأولاد الذكور خاصة بهم تختلف عن ملابس البنات ، والعاب للبنات تختلف عن العاب الاولاد كما أن التكليفات التي يعهدها الوالدان للأطفال الذكور تختلف عن الأناث ، أذ أن اهتمامات التنشئة الاجتماعية تختلف منذ الطفولة بحسب جنس الطفل . وخلال فترة مدرسة الحضانة نرى الوالدين اقرب الى تشجيع صغار الأبناء على مواجه العدوان أذا تعرضوا لشيء من الأذى في حين

يعاقبون البنات أذا فعلن ذلك وكلما تغيرت تحديدات المجتمع للأدوار الجنسية اخذ الوالدان يعدلان من ممارساتهم في التنشئة الاجتماعية حتى "يسايروا العصر". (مسن وأخرون ، ١٩٨٦: ٢٧٠) .

وجد كولبرك kohlberg ١٩٦٦ أن الطفل عندما يبلغ السادسة من العمر تكون عنده فكرة واضحة عن مهارات وخصائص الجنسين وفضائلهما وهو يسلك على وفق مايتوقعه من الاخرين والمجتمع . فترى الفتاة أن فضيلتها تكمن في أن تكون جذابة ومهذبة ولطيفة ، أما الذكر فيجب أن يكون شجاعا مستقلا ومن ذوي المبادرة (الحمداني : ١٩٨٩، ص١٩٤).

ومن الأمور التي تدعي للبحث في هذا الموضوع تغير نظرة المجتمع والاختلاف في الأدوار التي يتوقعها المجتمع من الأفراد عن الأدوار التي يؤدونها فعلا، فالأفراد الذين يخرجون خروجا كبيرا عن الدور المرسوم اجتماعيا أو الذين يخرجون عن أشكال نمط الدور الجنسي ، قد يعانون من رفض الاخرين لهم علاوة على رفض الأقران. وهم بذلك يواجهون صعوبات جمة في تطور شخصياتهم ونموها ، فعلى سبيل المثال وجد شودرو chodorow ١٩٧١ ان الذكور الذين تبدو عليهم سلوكيات توصف بانها انثوية يوصفون "بالتخنث" وبغير ذلك من التعبيرات التي تنم على السخرية والهزء والاستخفاف . (الحمداني : ١٩٨٩ ، ص١٩٢).

وتؤدي المدرسة دورا كبيرا في نمو الدور الجنسي للاطفال وتطوره ، فمن خلال الأهمية النسبية التي توليها لنشاطات وفعاليات معينة خاصة بالذكور او بالاناث يتعزز السلوك المنمط جنسيا لديهم . وكلما نمّط الاطفال جنسيا بصورة صحيحة كانوا أكثر تفاعلا وتواصلا مع المعلمين من أقرانهم

المنمطين بصورة خاطئة (Santrock,2001:73). ويمكن لنوع المدرسة (للبنين، للبنات) (وهو نظام تربوي معمول به في بعض المجتمعات العربية ومنها المجتمع العراقي) ان يؤدي دورا كبيرا في تنميط الاطفال بالدور الجنسي الملائم . وفي المقابل يمكنه (اي هذا النظام) أن ينمط الاطفال جنسيا بصورة غير متسقة مع الادوار الجنسية المتوقعة منهم في مجتمعاتهم ، إذ قد يقدم المعلمون تعليما للاطفال يعزز دورا جنسيا للطفل بشكل يغاير الدور الذي يتوقعه منه المجتمع. مما يترتب على ذلك مشكلات تربوية ونفسية كثيرة تتعلق بالتوافق النفسي والاجتماعي للطفل ، وبنمو شخصيته وتشكيلها . فقد يقدم المعلمون (الذكور) او المعلمات (الاناث) تعليما غير متكافئ للاطفال على وفق جنس المتعلم (ذكر، او انثى) ، أذ قد يحصل الذكور على اهتمام أكثر من الأناث في مجالات معينة والعكس صحيح، فقد وجد كل من ماريا وديفيد ساركر (Maria and deaved ciarcr ,1986) في دراسة اجراها لأكثر من (١٠٠) صف دراسي للصفوف الرابع والسادس الابتدائي والثاني المتوسط بان الذكور أكثر تفاعلا مع المدرسين من الاناث ، وأن المعلمين والمدرسين الذكور يولون الاطفال الذكور اهتماما اكبر من الأناث مما يجعلهم يحصلون على انتقاد ومديح اكثر من الاناث . كما وجدا بان الاسرة تفرض ضغوط الانجاز اكبر على الذكور من فرضها على الأناث ، وقد خلصا معدا البحث (Maria and deavedciarcr ,1986) الى أن العديد من التدريسين لا يدركون الطرائق التربوية المناسبة للتمييز بين الجنسين داخل بيئة المدرسة (Lahey,2001:400) فمثلا نجد ان المعلمين والمدرسين يستجيبون للأولاد

التوكيديين بصور أكثر من الأولاد الخجولين في الغالب، وللفتيات اللاتي يتمتعن بقدرة لفظية أو بقدرة التواصل اللفظي بصورة اكبر من الفتيات اللاتي لا يتمتعن بهذه القدرة. وبتعبير أخر لقد عزز المعلمون السلوك المنمط جنسيا لدى الأطفال (Santrock,2001:73).

وتأسيسا على ما سبق، يبدو جليا ان للبيئة المدرسية دورا مهما وفاعلا في تشكيل التوجه نحو الدور الجنسي للاطفال ، الامر الذي يلزم المختصين بالاهتمام بهذه البيئة (المدرسية) وبشكل يضمن سلامة تشكيل ادوراهم الجنسية هذه . الا انه يلاحظ ان بعض الانظمة التربوية في بعض البلدان ومنها العراق تعتمد مبدأ تصنيف المدارس الابتدائية الى مدارس للبنين واخرى للبنات الامر الذي قد يولد بيئة مدرسية تعزز أدوارا جنسية بشكل يغاير الدور الذي يتوقعه منه المجتمع. مما يترتب عليه مشكلات نفسية وتربوية واجتماعية . ولاسيما ان العمل بمبدأ التصنيف هذا قد ولد حالات استثنائية او اضطرارية تتطلب من التلاميذ الذكور ان يكونوا في مدارس للاناث او العكس ، وذلك بسبب اعتبارت عدة مثل (قرب المدرسة من بيت التلميذ او التلميذة ، او رغبة ذوي التلميذ او التلميذة بالتسجيل بمدرسة معينة ، أو كون احد المعلمين من اقارب او معارف التلميذ او التلميذة) مما يفاقم من مشكلة توافقهم المدرسي والنفسي بشكل عام ومن مشكلة تطور توجهاتهم ونموها نحو الادوار الجنسية السليمة بشكل خاص .

ومن الجدير بالذكر ، ان وزارة التربية العراقية وفي الأونة الاخيرة اصدرت قرارا يتمثل بعزل المعلمين عن مدارس البنات ، ومنع المعلمات من العمل بمدارس الذكور ، وهو قرار لا يخلو تطبيقه من تبعات نفسية وتربوية

واجتماعية على المتعلمين ، منها ما يرمي البحث الحالي الى دراسته، علما بأن هذا القرار لاقى الرفض من جانب بعض أولياء امور الاطفال ومن المتخصصين التربويين والاجتماعيين ، بحسب ماأشارت اليه دراسة أستطلاعية تابعة لجريدة المدى العراقية طبقت على (٢١٢) شخص حيث عد ما نسبته ٦٤٪ منهم أن هذا القرار يولد مشكلات تربوية ونفسية للمتعلمين.

ان البحث الحالي ومن منطلق منظور تشكل ونمو التوجه نحو الدور الجنسي للاطفال، يرى انه يمكن لنوع المدرسة (للبنين ، للبنات) ولطرائق معاملة المعلمين والمدرسين للاطفال ان تؤثر وبشكل واضح في تشكيل التوجه نحو الدور الجنسي لهم، ولهذا جاءت الدراسة الحالية محاولة الاجابة عن تساؤل مفاده ((هل يؤثر نوع المدرسة (للبنين ، للبنات) في التوجه نحو الدور الجنسي لتلاميذ المدارس الابتدائية في البيئة العراقية؟)) .

أهمية البحث :

يعد تمثيل الأفراد للدور الجنسي بمثابة القضية الأساسية التي اهتم بها علماء النفس التطوري لسنوات عديدة ، ويعد دور الجنس مرتكزا مهما في مناقشة نظريات علم النفس الرئيسة، وهدفا يخص الخلاف بين البيئة والوراثة (التربية والطبيعة). وذلك لأن الدور الجنسي متغلغل في انساق البناء الاجتماعي كافة ، ويتمركز في صميم الهوية الأنسانية، ويؤثر في أسلوب الحياة ويشكل محور جميع مواقف البشر ومعتقداتهم وأفعالهم المتعلقة بالكيفية التي يتوجب فيها على المرء السير ، والتحدث ، وتناول الطعام ، والضحك ،

والصراخ ، والتنافس ، والعمل ، والملبس والمصافحة بالأيدي ، وحتى التفكير والحكم وفقا لمفاهيم الفرد لما هو مناسب للرجل والمرأة (وليامز واخرون ،٢٠٠٠: ٣٨) .

ويبدو من الدراسات التي تبحث في تاثيرات الجندر او النوع أن هناك تباينا بين المجتمعات والثقافات في التوجه نحو الدور الجنسي ، وان هذا التباين لا يمكن عزوه للعوامل البايلوجية، وانما تؤدي العوامل الثقافية والبيئية الدور الاكبر في تشكيله . الامر الذي دفع الباحثين الى تسليط الضوء على تلك العوامل محاولين تحديدها بدقة. وعلى هذا الاساس كانت هناك دراسات مستفيضة تبرز من خلالها قيمة دراسة تاثيرات الجندر او النوع وأهميتها ، وفي هذا الصدد يحدد سميث (Brbara smath,2009) ثلاث مستويات تبرز فيها قيمة دراسة الجندر أو النوع هي:

الناحية العلمية : أذ أننا يمكن أن نفهم السلوك الأنساني بطريقة أفضل ، والمنحى العلمي الذي يدمج أو يوحد بين المتغيرات مثل النوع الذي يعد ضروريا من اجل الحصول على صورة كاملة لعمليات النمو والتطور . والأهداف العلمية هي أن نصبح على وعي لأوجه الفروق والتشابه في تطور المرأة والرجل ونموهما ، وفحص وجهات النظر القديمة والحديثة عن الأدوار التي يقوم بها كل من الجنس والنوع ، وفحص ثبات العوامل النمطية ودراستها ، وتقسيم المساهمات التنبيهية لكل من العوامل البيولوجية والبيئية .

الناحية الاجتماعية: وذلك من خلال زيادة فهمنا الأدوار الخاصة بالنوع في وظيفة المؤسسات الاجتماعية مثل المدارس والهيئات أو الأنظمة القضائية .

الناحية الشخصية : أن فحص الخبرات الخاصة بالفتيات والنساء كلا على حده بالمقارنة مع تلك الموجودة لكل فرد من الاولاد والرجال تجعلنا نفهم لماذا يكون سلوكنا على هذا النحو ، وهذا الفهم يجعلنا نمارس المزيد من التحكم علي حياتنا فمن المهم لنا فهم لماذا نسلك بهذه الطريقة ومن المهم أيضا للمرأة أن تفهم الرجل ، وللرجل أن يفهم المرأة حتى يمكن أن يعيشا معا في مجال العمل بشكل أكثر تناغما وان تصبح حياتنا مثمرة وكاملة ، فعن طريقة فهم العوامل التي تشكل اختلافنا وتشابهنا نستطيع أن ندرك جوهر وجود الأنسان (سمث، ٢٠٠٩: ٥٨-٦١).

وقد نظر هل وكليك (Glick & Hall,1964) الى عملية تحليل الدور الجنسي عن طريق تجديدها على عمل السيطرة الزمنية الذي يجري في سياق المراحل التطورية للفرد وبحسب نوعه كونه ذكرا أو أنثى وقد جسدا ذلك عن طريق مفهومهما عن دور الحياة (LiveCycle) وتأكيدهما على فكرة تشكل الدور (Role Constellation) التي تظهر خلال دورة حياة الفرد المتسلسلة ، وذلك أن الفرد ينظر أليه وهو في تاريخ طبيعي من النمو أو التطور الاجتماعي خلال مراحل حياته المتتابعة من كونه (طفلا / طفلة) في أُسرة تحميه وتقوم برعايته الى (بالغ / بالغة) يعيش في حياة الانفراد و (زوج / زوجة) يعيش حياة اجتماعية مع أسرته وعلى وفق مفهوم دور الحياة هذه وفكرة تشكل الدور فأن الأنثى تعني الزوجة والأم وان الذكر يعني

الزوج والأب وفي عملية تحليل الدور الجنسي فأن العمر والتطور ينبغي ان يؤخذا بالحسبان (Angrist,1981:219-220) .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى تعرف أثر نوع المدرسة (للبنين ، للبنات) في الدور الجنسي لدى تلاميذ المدارس الابتدائية ، ويتم تعرف ذلك من خلال :-

١. المقارنة في الدور الجنسي (الذكورة) بين التلاميذ الذكور المسجلين في مدارس البنين واقرانهم المسجلين في مدارس البنات .
٢. المقارنة في الدور الجنسي (الانوثة) بين التلاميذ الذكور المسجلين في مدارس البنين واقرانهم المسجلين في مدارس البنات .
٣. المقارنة في الدور الجنسي (الذكورة) بين التلميذات المسجلات في مدارس البنات واقرانهن المسجلات في مدارس البنين .
٤. المقارنة في الدور الجنسي (الانوثة) بين التلميذات المسجلات في مدارس البنات واقرانهن المسجلات في مدارس البنين .

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بتلاميذ المدارس الابتدائية لكلا الجنسين بالعام الدراسي (٢٠١٣-٢٠١٤) في محافظة بغداد لجانبي الكرخ والرصافة التي تضم تلاميذ على خلاف نوع المدرسة (للبنين ، للبنات) .

تحديد المصطلحات :

الدور الجنسي (sex role) وعرفه كل من:

كولبرك (koilberg،١٩٦٦) بأنه مفهوم معرفي عن كون الشخص ذكرا أو أنثى (Storms, 1979:1780)

كامبل (Cambale,1989) هو السلوك والمظهر الذي يبديه الشخص والذي يصفه مجتمعه بأنه مذكر أو مؤنث (وهبه ،٢٠٠٣ : ١٠٩)

دوكس (Deaux,1993) بانه مجموعه من السلوكيات تعد مناسبة للذكور أو الاناث في الثقافة التي يعيشون فيها (Vasta,1999 : 573)

سمث (Barbara, smith,2009) بانها الأنماط السلوكية (Behavioral Patterns) التي ينظر أليها المجتمع على أنها صالحه أو ملائمة لجنس بايولوجي معين (سمث،٢٠٠٩: ٦٢) .

بم (Bem,1974) وهو التعريف المتبنى في هذا البحث : بانه مجموعه من الخصائص والسلوكيات والاهتمامات والتصرفات والميول والاتجاهات والقيم والقدرات التي تكون الأنماط السلوكية الثقافية المعبرة عما يلائم الذكور والأناث في مجتمع معين ويتمثل الأفراد بحسب هذه الأنماط على أشكال أو توجهات ثلاثة هي:

١- النمط أو التوجه الأول : الأفراد النمطين جنسيا

(Sex-typed) وهما نوعان :

أ- النمط الذكوري (Masculinte – tyed)

ب- النمط الأنثوي (Feminin – tyed)

٢- النمط أو التوجه الثاني : الأفراد الأندروجينيونأو الأنسانيون (Androgyny) .

٣- النمط أوالتوجه الثالث : الأفراد غير المتمايزين (Bem,1974: 156) (Undifferentiated)

أما التعريف الاجرائي لنمط الدور الجنسي: فهو الدرجة التي يحصل عليها المستجيب في استجابته على مقياس العزي ٢٠١٣ للدور الجنسي .

الإطار النظري

العوامل المؤثرة في اكتساب الدور الجنسي وتطوره :

هناك مجموعة من العوامل المباشرة وغير المباشرة التي لها دور في تكوين واكتساب هوية نوع الجنس ومفاهيم الذكورة والأنوثة وتطور الدور الجنسي لكلا الجنسين وكما يأتي :

١.العوامل الحضارية والثقافية والاجتماعية :

تؤثر العوامل الثقافية والحضارية والاجتماعية والتاريخية في طبيعة الدور الجنسي أذ تتنوع التنشئة الاجتماعية لدور الجنس اعتمادا على الخلفيات الثقافية للفرد . وتزداد الفروق في الأدوار بين الرجال والنساء في بعض الحضارات الى حد كبير ڤي حين تتضائل في الحضارات الأخرى (Zastrow& Kirst,2004:330) . وقد حدد معيار دور الجنس على انه

اعتقاد يحمله أعضاء ثقافة معينه يتعلق بالخصائص المناسبة للذكور والأناث ويتم نمذجة التنميط الجنسي بصيغة المتغير الحضاري وعلى أساس القوى الاجتماعية المفروضة بمرور الزمن فضلا عن أن هذه الضغوط الاجتماعية الحضارية التاريخية لا تشكل تأثيرا في التوقعات السلوكية للأشخاص فحسب بل تؤثر في تربية الأطفال أيضا فأذا كانت متطلبات التكيف المفروضه على الأشخاص مختلفة ، فأن التنشئة الاجتماعية المرتبطة لهذه الضروريات مختلفة أيضا.

٢.اثر الأسرة والمتغيرات المرتبطة بها.

تعد الأسرة أقوى التجمعات والتكوينات الاجتماعية أثرا في نمو الدور الجنسي وتطوره بوصفها الجماعة الأنسانية الأولى التي تنشأ ويترعرع فيها الأطفال ، وهناك مجموعة من العوامل الأسرية التي لها الأثر البارز وهي :

أ- وجود والدين كفوئين يقومان بواجباتهم البيتية بشكل جيد مما يساعد على اكتساب دور جنسي ملائم .

ب-وجود أباء يقومون بالمشاركة الوجدانية والنفسية ويهتمون ويرعون أطفالهم مما يساعد على تطور دور النوع وأدراك الدور الذكري والدور الأنثوي بسهولة للأطفال.

ج-وجود أباء متحمسين وحازمين ومحبين لزوجاتهم وعطوفين وحنونين مما يساعد على تنمية النضج الايجابي لذات نوع الجنس (الذكورة والأنوثة) لأطفالهم (علي ، ٣:٢٠٠٤) .

د- التوحد الزائد بأحد الأبوين يطور خصائص ذكورة وأنوثة مبالغ فيها ولاسيما حين يحدث هذا التوحد مع الأب المغاير بالجنس (البنت مع أبيها والابن مع أمه) .

هـ-وجود دوافع جنسية لاشعورية تطور ميول غيرية من الدور الجنسي أو تكون أعمق فتكون على مستوى الرغبة الجنسية (السواد ، ٢٠٠٨ :٩).

و- وجود الأخوة والأخوات فالاولاد الذين لديهم أخوه اكبر سناً والفتيات اللاتي لديهن أخوات اكبر سنا ينمطون الدور الجنسي بسهولة اكبر من الأطفال ذوي الأُسر المختلفة ، فضلا عن عدد الذكور والاناث في الأُسرة ، أذ يؤثر في درجه التنميط الجنسي فيجعل الذكر بين الاناث أكثر أنوثة والأنثى بين الذكور أكثر ذكوره (معوض،١٩٩٩ :١٦٦).

٣. تأثير الأقران :

تعد علاقات الأطفال مع الرفاق من ذات الجنس بمثابة المحيط القوي لتعزيز الأفكار والسلوكيات المنمطة لدور الجنس،ففي عمر الثالثة يعزز الرفاق من ذات الجنس بعضهم والتقليد أو الانضمام أليهم ، وبصوره مماثله عندما يلتزم الأطفال في سن مادون المدرسة بالنشاطات غير المناسبة للجنس ، أي عندما يلعب الذكور بالدمى والأناث بالسيارات والقطارات فأنهم يتعرضون الى الانتقاد والسخرية والضرب من الأقران وقد لوحظ أن الأطفال من الرابعة من العمر يقضون وقتاً مع أقرانهم من الجنس ذاته يزيد بثلاث مرات عن وقت الذي يقضونه مع الجنس الأخر. وفي عمر السادسة ترتفع

هذه النسبة الى احد عشر مرة مقابل مرة واحدة وهذا الانفصال بين الجنسين في أثناء اللعب كان واضحا للغاية ، وهو ما اكده سيمون وزملاؤه (Simons et al,1994) في دراسة اجروها على اطفال المدارس الابتدائية المختلطة، اذ وجدوا ان الأطفال يلعبون في مجموعات تحتوي جميعها على البنات أو في مجموعات تحتوي جميعها على الأولاد وقد وصف الباحثون ساحات اللعب هذه بأنها مدرسة للنوع (Gender Schooie) (Simons et al,1994:144).

٤. تأثير وسائل الأعلام :

تؤثر وسائل الأعلام والرسائل التي تقدمها بخصوص الأمور المناسبة وغير المناسبة للذكور والأناث بصوره أساسية في تطوير نوع الجنس وتتعدد وسائل الأعلام فمنها ما يعرضه التلفاز من أعلانات تجارية والصحف والمجلات وكتب الأطفال تأخذ صورا وأشكالا شتى فأن لكل واحدة منها أسلوبها وطريقتها بالتأثير واليتها في تنمية الأفكار والسلوكيات وتطويرها باتجاه التنميط الجنسي .

٥. دور اللغة في تطوير الدور الجنسي :

يظهر نوع الجنس في استعمال الأطفال للغة ، ويمكن أن يكون سماع الأطفال للغة جندري ، أذ تحتوي بعض اللغات مثل الانكليزية على انحياز نحو نوع الجنس وبالأخص من خلال استعمال كلمه "هو" و "الرجل" في الأشاره الى أي شخص على سبيل المثال وجدت أحدى الدراسات أن الأمهات وأطفالهن ممن تتراوح أعمارهم بين (١-٣) سنوات اشاروا بصيغة

هذه النسبة الى احد عشر مرة مقابل مرة واحدة وهذا الانفصال بين الجنسين في أثناء اللعب كان واضحا للغاية ، وهو ما اكده سيمون وزملاؤه (Simons et al,1994) في دراسة اجروها على اطفال المدراس الابتدائية المختلطة، اذ وجدوا ان الأطفال يلعبون في مجموعات تحتوي جميعها على البنات أو في مجموعات تحتوي جميعها على الأولاد وقد وصف الباحثون ساحات اللعب هذه بأنها مدرسة للنوع (Gender Schooic) (Simons et al,1994:144).

٤. تأثير وسائل الأعلام :

تؤثر وسائل الأعلام والرسائل التي تقدمها بخصوص الأمور المناسبة وغير المناسبة للذكور والأناث بصوره أساسية في تطوير نوع الجنس وتتعدد وسائل الأعلام فمنها ما يعرضه التلفاز من أعلانات تجارية والصحف والمجلات وكتب الأطفال تأخذ صورا وأشكالا شتى فأن لكل واحدة منها أسلوبها وطريقتها بالتأثير واليتها في تنمية الأفكار والسلوكيات وتطويرها باتجاه التنميط الجنسي .

٥. دور اللغة في تطوير الدور الجنسي :

يظهر نوع الجنس في استعمال الأطفال للغة ، ويمكن أن يكون سماع الأطفال للغة جندري ، أذ تحتوي بعض اللغات مثل الانكليزية على انحياز نحو نوع الجنس وبالأخص من خلال استعمال كلمه "هو" و "الرجل" في الأشاره الى أي شخص على سبيل المثال وجدت أحدى الدراسات أن الأمهات وأطفالهن ممن تتراوح أعمارهم بين (١-٣) سنوات اشاروا بصيغة

المذكر لصور شاهدوها وهي بالاساس مؤنثة في اغلبها. وفي دراسة اخرى لوحظ أن (٩٥٪) من جميع الشخصيات التي لايرمز لها بجنس محدد يشار اليها من الأمهات بصيغة المذكر (Lahey,2001:404) واللغة العربية مملوءة بالكلمات المذكرة أيضا التي يراد بها الأشارة الى الأناث بها على سبيل المثال (الأستاذ ، والدكتور ، والطبيب ، والعامل ......) .

قياس الدور الجنسي :

أول من بحث الدور الجنسي ومفهوم الذكورة والأنوثة ودرس توجهات النساء والرجال هو لويس تيرمان وكاثرين كوكس ميلز (Lewis Terman& Catherin Cox Miles 1936) . أذ ابتكرا اختبارا مكونا من(٤٥٥) فقره للكشف عن الذكورة والأنوثة أطلقوا علية اختبار تحليل الاتجاهات (AIST) لأخفاء الغرض منه عن الأشخاص ويحتوي على بعض الأشياء مثل بقع الحبر والكلمات المترابطة وفقرات الميول والألغاز وغيرها، ويكون التمييز بين الجنسين بحصول الرجال على درجات عاليه بالذكورة والأناث على درجات عالية بالأنوثة وأصبح هذا المقياس أنموذجا لمقاييس الذكورة والأنوثة لثلاثة عقود (Stest& Burke:1999,999).

واعد جورج ولش (G. Welsh,1939) في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي اختبار تفضيل الشكل (FPT) الذي يقدم مثيرات غير لفظية (أشكال مصورة) تتكون من (٤٠٠) شكل ابيض واسود منتظمة على ارض رمادية يقيس جوانب عديدة من الشخصية ويتكون من ١٠ مقاييس فرعية من ضمنها مقياس الذكورة والأنوثة الذي استعمل للتفريق بين الجنسين من خلال

مجموعة من الأشكال تشمل مراحل مختلفة، وكلما ارتفعت الدرجة زادت التفضيلات الأنثوية وأذا قلت الدرجة زادت التفضيلات الذكورية (بخيت ، ١٩٨٥: ٥٩).

وصمم عالما النفس ستارك هاثاوي والطبيب النفسي ماكليني (Makinely& Hathaway ,1940) اختبار منسوتا متعدد الأوجة (MMPI) وهو من أوسع اختبارات الشخصية ويحوي المقياس على ١٠ مقاييس فرعيه ٩ منها أكلينيكية ، ويقيس الاهتمامات والميول ويقيس الذكورة والانوثة الذي يعبر عن دلالات ومؤشرات أكلينيكية والعاشر يقيس الذكورة والأنوثة الذي يعبر عن دلالات ومؤشرات أكلينيكة ؛ ويقيس الأهتمات والميول التي تخص كل جنس (Dahlstrom& Others,1972:100).

وفي سبعينيات القرن الماضي صمم بم ١٩٧٧ قائمته المشهورة لقياس الدور الجنسي (الذكورة والأنوثة) بصورة منفصلة (BSRI) (Bem,1974:1977) التي يعتمدها هذا البحث بعد اجراءات تكييفها على البيئة العراقية .

النظريات النفسية المفسرة للدور الجنسي.

أولا– نظريات التحليل النفسي:(psuchoanalytictheory)

أ – نظرية فرويد

تعد هذه النظرية من أولى المحاولات النفسية في تفسير عملية التنميط الجنسي ، أذ وضع فرويد النظرية الشكلية الأولى لتطور

الدور الجنسي (Freud ، ١٩٣٣) وسميت النظرية النفسديناميكية (Psychodynamic Theory) ونظرية التقمص (Identification Theory) ويرى فرويد أن مفهوم دور الجنس يتشكل في السنوات الأولى من الحياة وتتطور خلال مراحل النمو اللاحقة (تركي ، ١٩٨٨:٨٧) .

وتعد نظرية التحليل النفسي نظرية شاملة في الشخصية وتفسر مفاهيم نفسية عديدة من ضمنها مفاهيم نوع الجنس والأدوار الجنسية ومن خلال عملية التقمص التي تحصل مابين سن (٣-٦) سنه لكلا الجنسين ، وخلال هذه الفترة من حياة الطفل فان تفضيله عاده سيتجة نحو الولد من الجنس الاخر ، اي ان البنت تتعلق بابيها والابن بأمه ، وهو ماسماه فرويد عقدة اوديب (OediPal complex) عند الصبية وما يعرف بعقدة الكترا (Electra ComPlex)عند البنات اذ ماتجاوزت عواطف الابن أو الأبنه حدود المنطق في سلوكهما هذه إزاء والديهما ، فان هذه السلوك تكون مبعث قلق واضطراب للوالدين . أن السن التي يحدث فيه هذه التجاوز مهمة جداً ، أذ أنها تشكل مرحلة حاسمة في تطوير الطفل، فمنافسة الصبي لأبيه في الظفر لميل الأم ، هي في الواقع عملية يحاول الصبي فيه التشبه بابيه ومحاكاته ، والصبي هنا يحاول أن يوطد هوية نوع جنسه . البنت أيضا تنافس أمها في أحراز محبة الأب فوجود الأب في حياتها يجعلها تبدأ في الاستقصاء عن هويتها الأنثوية .

ب – نظرية يونج (1959، jung):

وضع يونك نظرية في الشخصية يتحدث في جزء منها عن نمطي الذكورة والأنوثة ، ويظهر من خلال مفهومه عن الأنماط الاولية (archetypes) . أذ يعتقد يونك أن التجارب السحيقة في القدم الموجود في اللاشعور الجمعي تظهر أو تعبر عن نفسها على شكل صور ذهنية ، وهذه الصور وجدت في وقت سالف، وهي فطرية أوتمثل استعدادات أوليه نفيسة وهي التي يمكنها ان تصور لنا مفهومي الذكورة والانوثة عبر الاجيال . فبحسب يونك ان هذين المفهومين وما يرتبط بهما من سلوكيات لايتشكلان بسبب العوامل البايولوجية، كون هذه العوامل موجدودة في كلا الجنسين ، وان الذي يشكلهما هو ما يطلق عليه بالانماط الاولية (الانيميا والانيميوس) واللذان يعبران عن تراكم التصورات البشرية عن الادوار التي يقوم بها كل من الذكور والاناث عبر السلالات والاجيال (هول، وليندزي ١٩٦٩: ١١٤-١١٦).

ثانيا – المنظور السلوكي (behaviorisim)

يعد كثير من منظري المدرسة السلوكية جميع المفاهيم والأنماط السلوكية ومنها عمليه تنميط الدور الجنسي وتطوره على أنها مفاهيم لنظريات التعلم (theoris of learning) التي تتشكل في ضوء مبادئ الثواب والعقاب والتعزيز والتقليد أذ ترى المدرسة السلوكية أن الأفراد يتعلمون سلوكهم من خلال تفاعلهم مع البيئة فانه يمكن وصفهم بكائنات أستجابية للمثيرات التي تقدمها تلك البيئة لهم فيما يتمثل بالأباء والمعلمين الذين يعدون نماذج معززات. وفي أثناء هذه العملية تتكون أنماط سلوك الأفراد

وتتبلور شخصياتهم من خلال عمليتي التعزيز الموجب والسالب (التكريتي ، ٢٠٠١:١١٦) .

ويثبت اغلب الأباء السلوك الذي يرونه مناسبا لجنس طفلهم ويعاقبون الاستجابات التي يرونها غير مناسبة ، أي أننا قد نجد الوالدين يشجعون الولد على أن لا يسكت أذا ضربه أو اعتدى عليه احد ويعاقبون مثل هذا السلوك العدواني أن وقع من ابنتهم . فالبنت كثيرا مايقال لها "أن حدث هذا مرة ثانية فما عليك ألا أن تعودي الى الدار ولا تعودي الى اللعب مرة أخرى مع المعتدي " (كونجر واخرون ، ٢٠٠٠ : ٣٣٢).

ثالثا- نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا (social learning theory):

يرى باندورا بان عملية تنميط النوع (Tping-gender) تبدأ بتعلم الطفل التمييز (Discrimina) بين أنماط السلوك المرتبطة بالنوع ، ثم التعميم (generalize) على هذه الخبرات المتعلمة الخاصة ألى مواقف أخرى جديدة، وأخيرا يقوم الفرد بأداء السلوك الخاص بالنوع الذي ينتمي أليه.وتتضمن عملية تنميط النوع الاشتراط المباشر والبديل لعدد من المنبهات التي تكتسب قيما مختلفة وتثير او تظهر استجابات انفعالية مختلفة من النوعين (سمث،٢٠٠٩: ٢٧٩) .

وافترض باندورا بأن الطفل يتعلم السلوك المناسب لنوع الجنس عن طريق ملاحظه نماذج دور الجنس ، وعن طريق ملاحظه حالات العقاب على السلوك غير المناسب والحصول على المكافأة نتيجة للسلوك

المناسب . ويشكل غياب نماذج الدور تأثيرا على الأطفال فعندما تلاحظ الفتيات غيرهن متفوقات في ماده الرياضيات ، و يلاحظ الذكور غيرهم من الذكور متفوقين أو مهتمين بمواد الاقتصاد المنزلي أو التمريض على سبيل المثال فهذا يعني أنهم اقل الى أتباع هذه النشاطات نفسها (Susan &Witt ,2005:4)

رابعا – المنظور المعرفي (cognativ perspective).

١. النظرية التطورية المعرفية لكولبرك(cognativ development (theore

اقترح لورانس كولبرك (kohelberg,1966,1969) نظريه معرفية في التطور لتفسير عملية اكتساب هوية النوع ، تركز على تفسير داخلي ، مستند في ذلك الى اساس النظرية المعرفية لبياجيه التي تعد تطور الدور الجنسي ظاهره معرفية كون الطفل معالج فعال (active processor) للمعلومات الثقافية وتأخذ نظرية التطور المعرفي باعتبارها الادراك المتنامي للطفل للعالم من حولة وكيف يتم تصنيف الناس والاشياء فئويا (&bigler (lynn,1992:135

ويفترض كولبرك (Kohlberg,1966) في توجهاته النظرية ان البيئة المعرفية للطفل النامي تسمح له بتعزيز سمات مشتركه معينه تميز فئة معينه للشيء عن فئة أخرى ، وبتعبير اخر القيام بالتجريد . وتحدد عمليه التجريد هذه بكيف يتوصل الاطفال الى هويات نوعهم . ففي السياق المعرفي بان التنميط الجنسي شانه في ذلك شأن أية صوره أخرى من التنميط يبسط

العالم ويسمح بأدارة آلاف المعلومات ، واستنادا الى هذه النظرية فان الطفل يقدم نوع جنسه او هويته نتيجة للاتفاق مع نماذج الجنس ذاته لانهم يبدون اتفاقا مناسبا مع نوع الجنس فالاطفال يكافؤون على سلوكهم الذي يتفق مع الهوية المناسبة لنوع جنسهم، وبعبارة أخرى فقد لخص كولبرك الفكرة بالاتي "أنا صبي، لهذا السبب ارغب في عمل الأشياء الخاصة بالصبيان لذا فاني سأكافأ على فرصة تحقيق الأشياء الخاصة بالذكور" (Eysenck,2002:451)

٢. نظرية مخطط نوع الجنس (Gender schema theory):

أن انفع التفسيرات الراهنة لنوع الجنس مايدعى بنظريه "مخططات النوع " وذات أقناع علمي كبير (Bee,2000:302) التي ترجع جذورها الى نظريات معالجه المعلومات الخاصةبالتطور المعرفي، وتدمج هذه النظرية المنظور التطوري المعرفي لكولبرك بنظريه التعلم الاجتماعي متأثره لفكر بياجيه في التطور المعرفي وتكون الأسكيمات (Bee,2000:309)

وتفسر هذه النظرية مفاهيم نفسية عديدة مثل السلالة العرقية (Race) والسلوك الأثني والتعصبات (سمث،٢٠٠٩: ٢٥٨) ويستطيع الأشخاص بحسب نظريه المخطط أن يقدموا خططا ترتبط بالعمر ، ونوع الجنس ، والعرق ، والمهنة أو أي نوع من التصنيف الاجتماعي فضلا عن أن نظريه مخطط النوع توحد عناصر مختلفة من عمليه التنميط الجنسي مثل تكوين الصورة النمطية النوعية وتشكيلها وهوية الدور الجنسي في صوره موحده وكيفيه الحفاظ على التوجهات الذكرية والأنثوية (Berk,2006:522)

وتفترض هذه النظرية بأنه ينبغي على الأطفال أن يكونوا قادرين على التعرف بوجود جنسين قبل أن يتكون مخطط النوع وهذه القدرة تبدأ بالظهور حتى قبل أن يتمكن الأطفال من التحدث ، وبحلول التسعة أشهر يتمكن معظم الصغار من تمييز الوجوه الذكرية عن الوجوه الأنثوية (fagot &Leinbach , 1993)

وعندما يشاهد الأطفال دون سن المدرسة مجموعه من البنات تلعب بالرمل فسيقررون أن اللعب بالرمل هو للبنات ولأنه ولد فان اللعب ليس له. وعند رؤية هذا الطفل مجموعه اكبر سنا من ألأولاد يلعبون كره القدم فسيقرر ان لعبه كره القدم هي للأولاد لأنه ولد وأن كره القدم مقبولة وينبغي عليه تعلمها وتعلم مايتعلق بها .

وقد وجدت بم (١٩٨٩) انه للوصول لهذا المستوى من الفهم فانه على الطفل أن يكون لديه بعض الفهم في الأقل للفروق التناسلية الأساسية بين الأولاد والبنات وبعض الفهم من أن الخصائص التناسلية هي التي تجعل الطفل ولدا أم بنتا، اذ يدرك أطفال بعد الرابعة بان الموضوع بأكمله يعتمد على الأعضاء التناسلية وليس على مايرتديه الشخص من ملابس أو طريقه تصفيف أو طول شعره (Bem, 1989:651)

واستنادا الى رأي بم (١٩٨١) فان الطفل ينشأ ضمن ثقافة معينه أذا كانت تؤكد الاختلافات بين الرجال والنساء فيتعلم طريقه معالجه المعلومات الخاص به وبالأخرين فضلا عن التعامل مع الأحداث والأشياء استنادا الى علاقات نوع الجنس المعروفة . وبعبارة أخرى فأنه يقدم مخطط النوع الذي يمثل بنيه معرفيه لمعالجه المعلومات المعتمدة على الصفات المعروفة عند

الذكور والأناث . ويساعد البالغين حتى يعيشوا في عالم الطفل على تشكيل مخطط نوع الجنس من خلال ربط الأشياء المختلفة والنشاطات بأحد الجنسين أكثر من الآخر على سبيل المثال في حضارة أمريكا الشمالية (وفي اغلب الحضارات) تعد خصائص شخصية كالجاذبية الجسدية والتعاون والتعاطف وممارسه النشاطات كالطبخ وتربيه الحيوانات مثل القطط والطيور بمثابة دلالات ومؤشرات أنثوية (مخطط نوع الجنس التقليدي الخاص بالأناث). ومن ناحية أخرى تعد القوه الجسدية ، كالعدوانية ، وعدم الاتكال على الأخرين والاستقلالية وممارسه نشاطات معينه مثل لعبه كره القدم وأعمال النجارة وقطع الأخشاب ، وتربيه الكلاب بمثابة دلالات ومؤشرات مميزه للذكور (مخطط نوع الجنس التقليدي الخاص بالذكور). وبحسب منظور بم فان مفهوم الذات بالنسبة للاطفال يصبح مستوعبا ضمن مخطط نوع الجنس المشتق من الثقافة ، اذ يتصرفون على وفق الصفات التي تقترن بجنسهم الخاص بأنفسهم ، ويتعلمون تقييم كفاءتهم كاشخاص من خلال الطريقة التي تناظر بها صفاتهم الشخصية مع مقياس القوة الجسدية والمنافسة ، في حين ترجع الفتيات تقييم أنفسهن استنادا الى الجاذبية الجسدية والقدرة على مجاراة الأخرين أو التعامل معهم . كما هو الحال بالنسبة للبالغين . يستمر العديد منا بتعريف أنفسهم عن طريق عدسات ترشيح أو تصفيه الجنس ذاتها ، وتنظيم سلوكنا يتطابق مع تعريف الثقافة للأنوثة والذكورة (PlotnikK 2002: 395).

وعلى وفق منظور بم فان هناك ثلاثة توجهات مرتبطة بالدور الجنسي تتمثل بالاتي :

التوجه الأول : هو التوجه الذي يكون فيه الأفراد منمطين جنسيا (Sex-- typed) والذين يكونون على فئتين في ذلك هما : النمط الذكوري (Maculine–typed) للرجل ، والنمط الأنثوي (Feminin –typed) للنساء وفي كلا النمطين فان الأفراد يكونون مشدودين للتعريفات الثقافية للسلوك المقبول من احد الجنسين دون الأخر في المجتمع .

التوجه الثاني : ويسمى بالتوجه الانساني او الندروجيني ويمثل في اولئك الأفراد الذين يجمعون في بنائهم النفسي أفضل صفات الذكورو والأنوثة من حيث مرغوبيتها الاجتماعية .

والتوجه الثالث : المتمثل في الأفراد غير المتمايزين (Undifferentiated) الذين تكون صفات الذكورة والأنوثة غير واضحة بقوة عندهم (Bem,1974:156).

وفي ضوء الدراسات العديدة التي قامت بها بم توصلت الى ان كل نمط او توجه من هذه الأنماط له عدة مزايا هي :

التوجه الأول :

١- يمتاز الأفراد المنمطين جنسيا بالقيام بالنشاطات الملائمة لجنسهم وتحاشي النشاطات التي تخص الجنس الأخر.

٢- يتذكر الأفراد المنمطون جنسيا المعلومات والأحداث والمواقف المتسقة مع نوع جنسهم ، وأحيانا يحرفون من المعلومات الواردة لديهم لتتناسب وتتلاءم مع جنسهم .

٣- يساير الأفراد المنمطون جنسيا توفعات الدور المرتبط بجنسهم وهم ينحجون في تحقيق مطالبها.

التوجه الثاني : يتمتع الأفراد الأندروجينيين بالاتي :

١- التكيف والمرونة مع المواقف العديدة .

٢- صحة نفسيه أفضل وعلامات أعلى على مقياس تقدير الذات .

٣- مقومات تجعلهم يمتلكون العديد من القدرات النفسية العقلية .

(Bem,1981:256)

دراسات السابقة :

١- دراسة اليان (ullian,1976)

اجريت هذه الدراسة في الولايات المتحدة الامريكية بهدف التعرف على نمو المفاهيم الذكورة والانوثة بين الجنسين وقد شملت العينة (١٧٠) ذكرا وانثى تراوحت اعمارهم (٦-١٨) سنة وقد قسم افراد العينة الى ستة فئات تبعا للمرحلة العمرية، وقد اظهرت نتائج البحث ان فهم افراد العينة وادراكهم مفاهيم الذكورة والانوثة لكلا الجنسين يتطور بحسب المراحل العمرية . (Ullian,1976)

٢- دراسة كوبر وايبرسون (kopper&Epperson,1990).

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على العلاقة بين الجنس (النوع) وهوية الدور الجنسي وبين التعبير عن الغضب تكونت عينة الدراسة من

(٤٥٥) طالبا وطالبة من طلبة الدراسات الأولية بواقع (٢٤٢) طالبة و(٢١٣) طالب . واستعمل الباحثان مقياس بم للدور الجنسي للدوربصيغته المختصرة الذي يكشف عن اربعة انماط للدور الجنسي هي (الذكوري ، الانثوي ، الاندروجيني ، غير المتمايز) واظهرت النتائج وجود علاقات دالة بجميع الاحتمالات اذ عبر النمط الذكوري في الدور الجنسي عن مستويات أعلى من النمط الانثوي في غضب السمة، وكذلك أعلى من غير المتمايز والاندروجيني . وبطريقة مماثلة سجل المستجيبون من ذوي النمط الذكوري درجات اعلي على مقياس التعبير عن الغضب للخارج ويليهم النمط الأندروجيني ثم الانثوي ، وأظهرت النتائج ان الدور الجنسي الأندروجيني والأنثوي ذو نزعة أعلى للتحكم بالغضب مما هي عليه لدى النمط الذكوري (Kopper& Epperson,1990).

٣- دراسة (أبو العز ،١٩٩٣) .

هدفت هذه الدراسة الى استقصاء العلاقة بين ممارسات الوالدية والدور الجنسي وبصورة اكثر تحديدا سعت الدراسة الى استقصاء الفروق في ممارسات الوالدية لكل من الاب والام مثلما يدركها الابناء والبنات بحسب مستويات انماط الدور الجنسي الاربعة (الذكوري ، الانثوي ، الاندروجيني ، غير المتمايز) شملت عينة البحث طلاب المدارس الثانوية الاردنية بواقع (١٥٩) طالبا (١٥١) طالبة، طبق عليهم الصورة المعربة لمقياس "بم " المختصر لقياس نمط التوجة نحو تمثل الدور الجنسي واشارت نتائج التحليل العاملي لمقياسي ممارسات الاب والام الى ان هناك ثلاثه عوامل تفسر التباين وهي العامل الاول يقيس ممارسات التقبل – الرفض والثاني

يقيس التحكم ، في حين ان العامل الثالث يقيس التسيب. ودلت نتائج تحليل التباين الثنائي ان ممارسات الاب في كل من اثر الجنس ونمط التوجه كانا دالين، وقد انحسر اختلاف تقديرات ممارسة الاب في عامل التحكم فقط ، اذ عبرت الطالبات عن ان آباءهن يمارسون تحكما نفسيا عليهن اكثر من الابناء الذكور . أما من حيث اثر نمط التوجة فقد كشف تحليل التباين ان الفرق في ممارسة الاب انحسرت في عامل التقبل – الرفض، اذ ذكر الطلبة الاندروجينيين والذكوريون أن ممارسة أبائهم تتسم بالتقبل والانغماس الايجابي في حياتهم . (ابو العز، ١٩٩٣).

٤- دراسة (فرحات ، ١٩٩٧)

أجرى فرحات (١٩٩٧) دراسة في مصر هدفت الى الكشف عن الاثر الذي يتركه غياب الاب في مفهوم الدور الجنسي الذكري والأنثوي للأبناء في مرحلة الطفولة المتأخرة اجري البحث على عينه مكونة من (٣٣١) تلميذا من تلاميذ الصف الرابع والخامس الابتدائي والصف الاول والثاني من الدراسة المتوسطة وقد توصل البحث الى وجود فروق دالة بين الابناء غائبي الاب واقرانهم حاضري الاب في الدور الجنسي الذكريأذأن حاضري الأب أكثر ذكورة ولم تظهر فروق ذات دلاله بين غائبي الاب واقرانهم حاضري الاب في الدور الانثوي (فرحات ، ١٩٩٧ ، ص١٥).

٥- دراسة مهيجان ونيرو وشالو شارما (mahajn&neeru and shallusharm ,1999)

هدفت الدراسة الى تعرف :

١- اتجاهات الذكور والاناث نحو الدور الأندروجيني .

٢- إتجاهات الذكور والاناث نحو السلوك الانموذجي للدور الجنسي ، وصف السلوك ، وتعزيز السلوك ، والتعرض لأعمال متنوعة .

٣- وجود فروق بين الذكور والاناث فيما يخص النقطتين (أ- ب) .

وجمعت البيانات من افراد على اساس النوع الاجتماعي وحسبت الدرجة الكلية ودرجات الأبعاد الاربعة والنسبة المئوية والاختبار التائي لمعرفة الفروق في الاتجاه بين الذكور والاناث نحو الاندروجيني وأظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالات احصائية وهذا يعني ان العينة كانت اندروجينية . وكان لدى الذكور والاناث نفس الاتجاه على وفق أبعاد النماذج (السلوك الانموذجي للدور الجنسي، ووصف السلوك ، وتعزيز السلوك، وكشف المهن المتنوعة) . (Mahajan&neeru and shallu . sharm,1999)

٦. دراسة (نادر ،٢٠٠٣) .

هدف هذا البحث الى الكشف عن أثر نمط المدارس المختلطة أو غير المختلطة في مفهوم الدور الجنسي لدى طلبة مرحلة التعليم الثانوي ، أجريت الدراسة على عينة مكونة من (٢٠٦) طلاب (١٠١) من الذكور و(١٠٥) من الاناث من طلبة الصف الثالث الثانوي العام من مدارس السويداء قسمت العينة الى قسمين نمط مختلط وغير مختلط: وبينت النتائج :

أن نمط الدراسة (مختلط أو غير مختلط) قد أثر بالضرورة في عملية التنميط الجنسي لدى الطلبة . (نادر،٢٠٠٣).

٧- دراسة (العزي ،٢٠٠٦)

اجرى العزي ٢٠٠٦ دراسة بهدف التعرف على اثر غياب الاب على إكتساب الدور المنمط جنسيا وكانت العينة من تلاميذ الصف السادس الابتدائي واخذت العينة المجموعة من ١٠٠ مدرسة مختلفة وقسم التلاميذ فاقدي الاب لمستويات (فقدان مبكر للاب - فقدان متأخر - فقدان مبكر مع وجود بديل - فقدان متأخر مع وجود بديل) وطبق عليها المقياس التنميط الجنسي وبينت اهم النتائج ان لغياب الاب أثرا في نمو الدور المنمط جنسيا للذكور والاناث بدرجات متفاوتة والدور المؤثر لبديل الاب على الذكور أيضا (العزي ،٢٠٠٦).

٨- دراسة (العزي ٢٠١٣).

تناولت الدراسة تطور التوجهات نحو الدور الجنسي لدى مختلف المراحل العمرية (اطفال - مراهقين - راشدين) وقد شملت عينة البحث (٢٦٦٠) من تلاميذ وطلاب ومعلمين لكلا الجنسين وبالطريقة الطبقية العشوائية من مدارس محافظة بغداد لجانبي الكرخ والرصافة وجمعت بيانات البحث بالاعتماد على مقياس "بم" للدور الجنسي ومقياس " كوزيك وستريكر" واظهرت النتائج انه لايوجد اثر لمتغيري العمر في كل من النمطين الذكوري والانثوي في حين كان هناك اثر للتنميط الاندروجيني وغير المتمايز وشاع النمط الانثوي لدى الاناث في اغلب الطبقات العمرية والنمط الذكوري لدى

الذكور في مختلف الفئات العمرية في حين لم تكن الفروق دالة بين الجنسين في كل من النمطين الاندروجيني وغير المتمايز (العزي ،٢٠١٣).

اجراءات البحث

مجتمع البحث : تكون مجتمع البحث الحالي من تلاميذ المدارس الابتدائية غير المختلطة التي يوجد فيها بعض التلاميذ على عكس جنسه في محافظة بغداد لجانبي الكرخ والرصافة للعام الدراسي (٢٠١٣- ٢٠١٤) .

عينة البحث : تم اختيار عينة البحث الحالي والبالغ عددها (١٠٠) تلميذ وتلميذة على وفق الخطوات الاتية :

١. اختيار اربع مدارس ابتدائية غير مختلطة في محافظة بغداد بطريقة عشوائية تضم تلاميذ على خلاف جنسهم، مدرستان للبنين وأُخريان للبنات ، بحيث يضم كل من جانبي الكرخ والرصافة مدرستين واحدة للبنين والاخرى للبنات .

٢. تم أختيار عينات من التلاميذ بطريقة عشوائية من كل مدرسة من الصفين الخامس والسادس الابتدائي وعلى النحو الآتي :

أ. عينة من الذكور من مدارس البنينبلغ عددهم (١٦) تلميذا من جانب الكرخ و(١٦) تلميذ من جانب الرصافة.

ب. عينة أناث من مدارس البنات بلغ عددها (١٥) تلميذة من جانب الكرخ و(١٥) تلميذة من جانب الرصافة .

ج. عينة ذكور من مدارس البنات بلغ عددهم (٢٤) تلميذا من جانب الكرخ و (١٢) تلميذ من جانب الرصافة .

د.عينة اناث من مدارس البنين بلغ عددها (٦) تلميذات من جانب الكرخ و (٨) تلميذات من جانب الرصافة . والجدول (١) يبين عينة البحث موزعة على وفق جنس التلاميذ ونوع المدرسة (للبنين ، للبنات)

الجدول -١-

عينة البحث موزعة على وفق جنس التلاميذ ونوع المدرسة (للبنين ، للبنات)

المدارس	مدارس جانب الكرخ		مدارس جانب الرصافة		المجموع
الجنس	عراق الصمود للأناث	حاتم الطائي للذكور	حنين للأناث	عدن للذكور	
ذكر	١٢	١٦	١٢	١٦	٥٦
انثى	١٥	٦	١٥	٨	٤٤
المجموع	٢٧	٢٢	٢٧	٢٤	١٠٠

أداه البحث :

اعتمد البحث الحالي مقياس (العَزي ٢٠١٣) للدور الجنسي المعد على البيئة العراقية على وفق مفاهيم نظرية (بم) والمقياس صمم أساسا للكشف عن الدور الجنسي لفئات عمرية مختلفة هي : (الأطفال- المراهقين -- الراشدين) ويتصف المقياس بمؤشرات صدق وثبات عاليتين.

صدق المحكمين :

قام الباحثان بالتشاور مع مجموعة من المحكمين لغرض اعتماد النسخة المناسبة لمجتمع بحثه وقد اجمع أغلبية الآراء على اعتماد نسخة المراهقين بدل من نسخة الأطفال كون نسخة الأطفال مصاغة باللهجة العامية التي يصعب قراءتها من قبل المفحوصين كون لغتها غير سلسة ، في حين أن نسخة المراهقين كانت مصاغة بلغة سهلة ومبسطة ومفهومة لدى المفحوصين المفترضين ، وقد تحقق الباحثان من صحة هذا الاختيار من خلال أجراء دراسة استطلاعية على عينة عشوائية من الأطفال في الصفين الخامس والسادس الابتدائية من كلا الجنسين مقدارها (٥) أطفال ، أذ تم عرض الصيغتين عليهم لبيان مدى فهمهم لمضمون عباراتها أو فقراتها وقد تبين أن الصيغة التي أوصى بها المحكمون والخبراء كانت مناسبة لهم وهي نسخة المراهقين . وقد تم عرض هذه النسخة بتعليماتها وفقراتها وبدائل الأجابة عنها على مجموعة من الخبراء والمختصين

في ضوء المقترحات في ضوء أرائهم ومقترحاتهم تم اجراء بعض التعديلات الطفيفة على صياغة بعض الفقرات ليكون المقياس صالح للاستعمال .

صدق المقياس :

يتمتع مقياس العزي ٢٠١٣ بمؤشرات صدق وثبات عالية ومتنوعة ، فقد تحقق في المقياس الصدق الظاهري وصدق البناء ، إذ قام العزي بتحليل خصائص الذكورة والأنوثة للمقياس على وفق نظرية بم للتأكد من أنهما بعدان مستقلان ، وتحقق من ذلك عن طريق :

أ. أيجاد العلاقة الأرتباطية بين درجات مقياس الذكورة ومقياس الأنوثة من مقياس الدور الجنسي ، وأظهرت الارتباطات أن المقياسين غير مترابطين بشكل واضح وكل منهما يعمل بشكل مستقل عن الأخر.

ب. أيجاد متوسطات درجات مقياس الذكورة ومتوسطات مقياس درجات الأنوثة بشكل منفصل وتبين ان الذكور سجلوا درجات أعلى على الفقرات الذكورية وسجلت الأناثأرتفاع في أجاباتهن عن فقرات الأنوثة (Konrad&Harris,2002:261) .

(*) وهم كل من أ.د. سناء عيسى محمد الداغستاني . كلية الاداب - جامعة بغداد - و م.د. عبد الحليم رحيم كلية الاداب - جامعة بغداد - و م.د. ثريا علي حسين الحسيني . كلية الاداب - جامعة بغداد - و م.د. عباس حنون الاسدي . كلية الاداب-جامعة بغداد- و م. دريم سالم محمد . كلية الاداب-جامعة بغداد-

والبحث الحالي تحقق من الصدق الظاهري للمقياس من خلال عرضه على مجموعة من الخبراء والمحكمين والذين اجمعوا بنسبة اتفاق تزيد على (٨٠٪) على صلاحيته في قياس ما وضع من اجله في البحث الحالي.

ثبات المقياس :

يتمتع مقياس العزي بمؤشرات ثبات عالية في البيئة العراقية فقد كان معامل ثباته (٠,٨٠) بطريقة الاختبار اعادة الاختبار، و(٠,٧٧) بطريقة ألفاكرونباخ. والبحث الحالي تحقق من ثبات المقياس بطريقة الفا كرونباخوهي طريقة تشير الى اتساق استجابة الفرد على كل فقرة من فقرات المقياس وتستند الى الانحراف المعياري للمقياس والانحراف المعياري للفقرة (ثورندايك وهيجن ، ١٩٨٦ ، ص٩٧) ، تم حساب معادلة ألفا كرونباخ من خلال معالجة البيانات الأحصائية لعينة عددها (١٠٠) تلميذا تم اخيارها عشوائيا من مدارس محافظة بغداد، وقد بلغ معامل الثبات (٠,٧١) وهو مؤشر جيد عند مقارنته بمعامل الثبات الذي وجده العزي ٢٠١٣ لمقياس الدور الجنسي.

وصف مقياس الدور الجنسي للعزي ٢٠١٣ وطريقة تصحيحه :

يتكون مقياس العزي ٢٠١٣ للدور الجنسي من تعليمات المقياس و (٤١) فقرة امام كل فقرة بدائل للاجابة هي: (دائما، احيانا، ابدا) تعطى الدرجات (١، ٢، ٣) على التوالي عند التصحيح. والمقياس يضم مقياسين فرعيين يكشفان عن نمط الدور الجنسي (ذكوري ، انثوي) . نمط الدور الجنسي الذكوري تكشف عنه (٢٠) فقرة، ونمط الدور الجنسي الانثوي تكشف

عنه (٢١) فقرة . وأن أعلى درجة للذكورة على المقياس الذكوري هي (٦٠) درجة واقل درجة هي (٢٠) ، في حين أعلى درجة للأنوثة على المقياس الانثوي هي (٦٣) درجة واقل درجة (٢١)، بينما يبلغ المتوسط الفرضي لمقياس الذكورة (٤٠) ، في حين يبلغ المتوسط الفرضي لمقياس الانوثة (٤٢)

الوسائل الأحصائية : استخدم في البحث الحالي الوسائل الاحصائية الأتية :

١. الاختبار التائي لعينة واحدة : t-test استعمل للتعرف على نمط الدور الجنسي ذكري أو أنثوي لدى عينة البحث .

٢. الاختبار التائي لعينتين مستقلتين :t-test استعمل للتعرف على الفروق في الدور الجنسي بحسب المتغيرات الديمغرافية للبحث .

٣. معادلة الفا - كرونباخ لحساب قيمة الثبات .

النتائج :

الهدف الأول : المقارنة في الدور الجنسي (الذكورة) بين الذكور المسجلين في مدارس البنين واقرانهم المسجلين في مدارس البنات.

بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الذكورة للتلاميذ الذكورالمسجلين في مدارس البنين(٥٥,٧٠) بأنحراف معياري مقداره (٥,٢٧) وبلغ المتوسط الحسابيلدرجات الذكورة للتلاميذ الذكورالمسجلينفي مدارس البنات (٤٤,٧٥) وبأنحراف معياري مقداره (٣,٦٣) وبمقارنة هذين المتوسطين بواسطة

الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة مقدارها (٩,١٩) هي دالة أحصائيا بعد مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (٢,٦٦)عند درجة حرية (٥٤) ومستوى دلالة (٠,٠٠١) أي أن هناك فروق في الدور الجنسي(الذكورة) لصالح التلاميذ الذكور المسجلين في مدارس البنين وكما يبين الجدول (٢).

الجدول -٢-

القيمة التائية للفروق بين درجات مقياس الذكورة بين التلاميذ المسجلين في مدارس البنين واقرانهم المسجلين في مدارس البنات

مقياس الذكورة للتلاميذ	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	t-test	درجه الحرية	مستوى الدلالة
مدارس البنين	٣٢	٤٤،٧٥	٣،٦٣			
مدارس البنات	٢٤	٥٥،٧٠	٥،٢٧	٩،١٩	٥٤	٠،٠٠١

الهدف الثاني : المقارنة في الدور الجنسي (الانوثة) بين الذكور المسجلين في مدارس البنين واقرانهم المسجلين في مدارس البنات .

بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الانوثة للتلاميذ الذكورالمسجلين في مدارس البنين(٤٥,٥) بأنحراف معياري مقداره (٤,٠٨) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات الانوثة للتلاميذ الذكور المسجلينفي مدارس البنات (٥١،٣٤) وبأنحراف معياري مقداره (٤،٦٤) وبمقارنة هذين المتوسطين

بواسطة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة مقدارها (٤،٩) هي دالة أحصائيا بعد مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (٢,٦٦)عند درجة حرية (٥٤) ومستوى دلالة (٠,٠٠١) أي أن هناك فروق في الدور الجنسي(الانوثة) لصالح التلاميذ الذكور المسجلين في مدارس البنات وكما يبين الجدول (٣).

الجدول -٣-

القيمة التائية للفروق بين درجات مقياس الانوثة بين التلاميذ المسجلين في مدارس البنين واقرانهم المسجلين في مدارس البنات

مقياس الانوثة للتلاميذ	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	t-test	درجه الحرية	مستوى الدلالة
مدارس البنين	٣٢	٤٥،٥	٤،٠٨	٤،٩	٥٤	٠،٠٠١
مدارس البنات	٢٤	٥١،٣٤	٤،٦٤			

الهدف الثالث : المقارنة في الدور الجنسي (الذكورة) بين الاناث المسجلات في مدارس البنات واقرانهن المسجلات في مدارس البنين.

بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الذكورة للتلميذات المسجلات في مدارس البنين(٥٤) بأنحراف معياري مقداره (٧،٢٥) وبلغ المتوسط الحساب بالدرجات الذكورة للتلميذات المسجلات في مدارس البنات (٤١) وبأنحراف معياري مقداره (٥،٩١) وبمقارنة هذين المتوسطين بواسطة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة مقدارها (٥،٦٧) هي

دالة أحصائيا بعد مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (٢,٦٦)عند درجة حرية (٤٢) ومستوى دلالة (٠,٠٠١) أي أن هناك فروق في الدور الجنسي(الذكورة) لصالح التلميذات المسجلات في مدارس البنين وكما يبين الجدول (٤).

الجدول -٤-

القيمة التائية للفروق بين درجات مقياس الذكورة بين التلميذات المسجلات في مدارس البنين واقرانهن المسجلات في مدارس البنات

مقياس الذكورة للتلميذات	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	t-test	درجه الحرية	مستوى الدلالة
مدارس البنين	١٤	٥٤	٧،٢٥			
مدارس البنات	٣٠	٤١	٥،٩١	٥،٦٧	٤٢	٠،٠٠١

الهدف الرابع : المقارنة في الدور الجنسي (الانوثة) بين الاناث المسجلات في مدارس البنات واقرانهن المسجلات في مدارس البنين .

بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الانوثة للتلميذات المسجلات في مدارس البنين(٤٦،٥) بأنحراف معياري مقداره (٤،٢٩) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات الانوثة للتلميذات المسجلات في مدارس البنات (٥٧) وبأنحراف معياري مقداره (٤،٩٧) وبمقارنة هذين المتوسطين بواسطة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة مقدارها (٦،٠٧) هي دالة أحصائيا بعد مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (٢,٦٦)

عند درجة حرية (٤٢) ومستوى دلالة (٠،٠٠١) أي أن هناك فروق في الدور الجنسي(الانوثة) لصالح التلميذات المسجلات في مدارس البنات وكما يبين الجدول (٥).

الجدول -٥-

القيمة التائية للفروق بين درجات مقياس الانوثة بين التلميذات المسجلات في مدارس البنين واقرانهن المسجلات في مدارس البنات

مقياس الانوثة للتلميذات	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	t-test	درجة الحرية	مستوى الدلالة
مدارس البنين	١٤	٤٦،٥	٤،٢٩			
مدارس البنات	٣٠	٥٧	٤،٩٧	٦،٠٧	٤٢	٠،٠٠١

تفسير النتائج :

تظهر نتائج البحث الميل العام لكلا النمطين من الدور الجنسي (الذكورة والأنوثة) بالتأثر بنوع المدرسة (للبنين ، للبنات) التي يسجل فيها التلاميذ والتلميذات ، فقد كان الدور الجنسي الذكوري اكثر تمايزا لدى الذكور والاناث في مدارس البنين ، وكان الدور الجنسي الانثوي اكثر تمايزا لدى الذكور والاناث في مدارس البنات. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة بيتسوثومبسن (١٩٧٣) التي بينت أن الذكور والاناث الذين يدرسون في مدارس ملائمة لنوعهم يكتسبون الدور الجنسي الملائم . وتفسر نتائج البحث الحالي أستنادا الى رأي بم حيث تعتقد أن مفهوم الذات بالنسبة للأطفال

يصبح مستوعبا ضمن مخطط نوع الجنس المشتق من الثقافة حيث ترى ان الذكور يتصرفون على وفق التصرفات التي تقترن بجنسهم الخاص وبأنفسهم ويتعلمون تقييم كفاءتهم كأشخاص من خلال الطريقة التي تناظر بها صفاتهم الشخصية مع مقياس القوة الجسدية والمنافسة ، في حين ترجع الفتيات تقييم أنفسهن استنادا الى الجاذبية الجسدية والقدرة على مجاراة الأخرين أو التعامل معهم . وأن التنميط الجنسي بالنسبة لهم هو عبارة عن ظاهره متعلمة .

الاستنتاجات :

في ضوء ما تم التوصل اليه من نتائج يمكن أستنتاج ما يأتي :

١. أن التلاميذ الذكور الذين يدرسون في مدارس البنين لا يتأثرون بالدور الجنسي الأنثوي .
٢. التلاميذ الذكور الذين يدرسون في مدارس البنات يتأثرون بالدور الجنسي الانثوي .
٣. أن التلميذات اللاتي يدرسن في مدارس البنات لا يتأثرن بالدور الجنسي الذكوري.
٤. التلميذات اللاتي يدرسن في مدارس البنين يتأثرن بالدور الجنسي الذكوري..

يصبح مستوعبا ضمن مخطط نوع الجنس المشتق من الثقافة حيث ترى ان الذكور يتصرفون على وفق التصرفات التي تقترن بجنسهم الخاص وبأنفسهم ويتعلمون تقييم كفاءتهم كأشخاص من خلال الطريقة التي تتاظر بها صفاتهم الشخصية مع مقياس القوة الجسدية والمنافسة ؛ في حين ترجع الفتيات تقييم أنفسهن استنادا الى الجاذبية الجسدية والقدرة على مجاراة الأخرين أو التعامل معهم . وأن التنميط الجنسي بالنسبة لبم هو عبارة عن ظاهره متعلمة .

الاستنتاجات :

في ضوء ما تم التوصل اليه من نتائج يمكن أستنتاج ما يأتي :

١. أن التلاميذ الذكور الذين يدرسون في مدارس البنين لا يتأثرون بالدور الجنسي الأنثوي .

٢. انتلاميذ الذكور الذين يدرسون في مدارس البنات يتأثرون بالدور الجنسي الانثوي .

٣. أن التلميذات اللاتي يدرسن في مدارس البنات لا يتأثرن بالدور الجنسي الذكوري.

٤. التلميذات اللاتي يدرسن في مدارس البنين يتأثرن بالدور الجنسي الذكوري..

التوصيات :

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثان بما يأتي :

١. الحث على الخلط بين الجنسين في المدارس لاسيما المرحلة الابتدائية مع الأشراف الجيد عليها .
٢. تفعيل عملية الأرشاد النفسي والتربوي من خلال تأكيد أهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في تشكيل نمط الدور الجنسي وتعزيزه .
٣. توجيه المعلمين والمدرسين على ضرورة تعزيز نمط الدور الجنسي الملائم لجنس المتعلم .

المقترحات :

استكمالا لنتائج البحث ، يقترح البحث اجراء الدراسات الاتية :

١. أعداد برنامج أرشادي لتعزيز الدور الجنسي لدى تلاميذ المدارس الابتدائية الدارسين بمدارس تخالف نوعهم .
٢. أجراء دراسة مشابه للبحث الحالي على الأسر التي يكون فيها عدد الذكور هو الغالب على عدد الأناث في الأسرة أو بالعكس .
٣. أجراء دراسة تبحث في علاقة الدور الجنسي بمتغيرات اخرى مثل اساليب المعاملة الوالدية وبعض انماط الشخصية .

المصادر العربية :

- القرآن الكريم .
- ابو العز ، ابتسام عبد الرزاق .(١٩٩٣) . الممارسات الوالدية وعلاقتها بنمط التوجة نحو تمثل الدور المرتبط بالجنس لدى طلبة الصف الثاني ثانوية في محافظات جنوب الاردن ، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة مؤتة .
- تركي ، مصطفى احمد . (١٩٨٨) . تقدير الذكورة – الانوثة في الثقافة الكويتية ، الكويت : **المجلة العربية للعلوم الانسانية** ، المجلد ٨ ، العدد ٣٠ : ٨٤-١٠١ .
- التكريتي ، واثق عمر عيسى . (٢٠٠١) . الانموذج ودوره في البناء النفسي للفرد والمجتمع ، **المجلة العراقية للعلوم التربوية والنفيسة وعلم الاجتماع** ، المجلد١ ، العدد(١) : ١١٢-١٢٥.
- جريدة المدى (٢٠١٤) . موقع الكتروني العدد الصادر يوم الثلاثاء بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠١٤.
- الحمداني، موفق. (١٩٨٥) . **الطفولة** ، بغداد ، مطبعة بيت الحكمة .
- السواد ، عبد الخضر. (٢٠٠٨) . مشكلة تحديد الهوية الجنسية لدى الاطفال ، الجامعة المستنصرية ، **مجلة العلوم التربوية والنفسية** ، العدد١١٢,١٥-١٢٢ .

- سمث ، بربار . (٢٠٠٩) . **سايكولوجية الجنس والنوع** : ترجمة سامح وديع الخفش ومحمد صبري، ط١، عمان: دار الفكر .
- العزي ، وليد قحطان محمود . (٢٠٠٧) . غياب الاب واثرة في اكتساب الدور المنمط جنسيا ، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية
- .... (٢٠١٣) . تطور التوجهات نحو الدور الجنسي لدى الاطفال والمراهقين والراشدين ، **اطروحة دكتوراه** ، كلية التربية ، جامعة بغداد .
- علي، سهير محمد . (٢٠٠٤) . غياب الاب واثرة على الطفل ، **مفكرة الاسلام**، ttp//ls/mmemo.cc/2004/02/20/15620html?lang=
- كونجر ، جونوسن ، بولكيكن ، جيروم . (١٩٨٦) . **سايكولوجية الطفولة والشخصية** ، ترجمة : احمد عبد العزيز سلامة ، الكويت ، مكتبة فلاح .
- معوض ، خليل ميخائيل . (١٩٩٩) . **علم النفس الاجتماعي** ، الاسكندرية : دار الفكر الاجتماعي
- وهبة ، وضاح سيد .(٢٠٠٣) **اضواء على خفايا النفس** . ط١، سوريا : شعاع للنشر والتوزيع .

- وليامز ، سوزان ؛ سيد ، جانيت ، مواو ، ادلينا. (٢٠٠٠). **دليل اوكسفام للتدريب على الجندر** . ترجمة معين الامام، ج١، ط١، سوريا : دار المدى للنشر والتوزيع .
- الين ، بم . (٢٠١٠) . **نظريات الشخصية – الارتقاء، النمو، التنوع،** ترجمة : علاء الدين كفاني ومايسة احمد النيال وسهير محمد سالم، ط١، عمان : دار الفكر .
- يونغ ، كارل غوستاف . (١٩٨٤) . **الانسان ورموزة** ، ترجمة سمير علي ، بغداد : منشورات وزارة الثقافة والاعلام .

المصادر الاجنبية :

- Angrest,S.S(1981). Studyof sex roles,**Journal of social** Issues, Vol.5,No.1.
- Bee,Helen.(2002).**The development child**, Boston: Allen and Bacon.
- Bem, S.L.(1974). The Measurement of Psychological androgyny. **Journal of consoling and clinical Psychology**. Vol. 42,No.2:155-162.
- Berk,lura E .(2002).**Infants, children and Adolescents**, :Boston Bacon.
- Eysenck ,Micheal.W.(2002).**psychology Student** s, new York :hand book.
- Lahey, Benjamin.B. (2001). **Psychology: anIntruction**, Boston: McGraw Hill co.
- Lindsey, Linda.L. (1994). **Gender Role**. New Jersey: prentice Hall.
- Stest&Barke (1999).femininity – masculinity, **Encyclopedia of Sociology**, New York: Macmillan.

- Susan, D and witt.(2005).**socialization and sociability**ttp: \\www.unkron .edu\witt\father\park.htm.
- Goldstein, bruec. (1994). **psychology**, wodswarth, Inc, Belmant: californic Belmant.
- Beglir&Lynn, Liben. (1992). Cognitev mechanisms in childrens Gender stereotyping-theoretical ImplicTions of cognitive-based Intervention, **child development**, vol.63:135-1363.
- Dahlstrom, w; Grant, j&Maynard, t. (1972). **AnMMPT**, Hand book, v.larevised: Univercity of Minnesuta.
- Konrod, &Harre, (2002). Desitabitity of The see- rule formare **sarnal of Scearch**, vol.67, 299-272.
- Vasta, Ross; Haith, Marshall; M&Miller, Scott, A. (1999) **Childpsychology**. New York : john Wiley&Sonc, Inc.
- Plotnik, Rod. (2002). **Introduction to psychology**, Australia: Word swothGroup.Adivision of thome son learning, Inc.

- Jung, Carl. (1954). **Aion: Researches In to the Phenomenology of the self trans.** by, R, F.Hull.new York: Bollingen.
- Zastrow, Charles and first, farenk. (2004).**understanding Human behavior and the social Environment**. Thomson, books\ coleadivision of Thomson learning Inc: Aust.

مقياس الدور الجنسي للعزي ٢٠١٣

عزيزي التلميذ عزيزتي التلميذه

تحية طيبة.....

بين يديك مجموعة من الفقرات التي تمثل مجموعة من الخصائص والصفات والسلوكيات والتصرفات المتعددة والمختلفة ، المطلوب منك قراءة كل فقرة من هذه الفقرات بدقة وامعان ، ومن ثم تبين مدى انطباقها عليك انت ، حيث تجد امام كل فقرة ثلاثة خيرات (دائما ، احيانا ، ابدا)

وعليك ان تختار الخيار الاكثر انطباقا وملائمة عليك والذي يعبر عن موقفك الحقيقي نحو مضمون كل فقرة

ت	الفقـــرات	دائما	احيانا	ابدا
١	مستعد أن تماشي ما يريده الأخرون			
٢	تبتسم وتضحك كثيرا			
٣	تستطيع عمل الأشياء بجهودك الشخصية			
٤	تدافع عن ما تعتقدة انه صحيح			
٥	تعتمد على نفسك فيما تعتقد وتعمل به			
٦	أنت خجول			
٧	تحب الألعاب الرياضية			
٨	تقول ما تحب وما لا تحب			
٩	تحب العناق والتقبيل			
١٠	تحب أن يخبرك الناس كم أنت لطيف			
١١	تترك انطباعا مؤثرا في الأخرين			
١٢	أنت وفي لأصدقائك ويمكنهم الاعتماد عليك			
١٣	تتصرف مثل ما تتصرف الفتيات			
١٤	تهتم بما يشعر به الناس			
١٥	تبذل جهد لتشق طريقك			
١٦	تحب حل المشاكل			
١٧	أنت حساس لحاجات الأخرين			

١٨	قادر على قيادة الناس الأخرين			
١٩	تفهم كيف يفكر ويشعر الاخرون			
٢٠	ترغب في مساعدة الاخرين			
٢١	ترغب في المخاطرة (المجازفة)			
٢٢	تتخذ القرارات بسهولة			
٢٣	قادر على عمل الأشياء بنفسك			
٢٤	تتلهف لتهدئة المشاعر المجروحة لدى الاخرين			
٢٥	تتحدث بنعومة			
٢٦	تجعل الاخرين يفعلون ما تريد			
٢٧	تظهر للناس انك تحبهم			
٢٨	تظهر للناس بلطف انك مهتم بهم			
٢٩	تتصرف مثلما يتصرف الاولاد / الرجال			
٣٠	ترغب باتخاذ موقف معين من القضايا التي تواجهك في الحياة			
٣١	مستعد للتشاجر والصراخ على أي احد			
٣٢	تهتم بما يشعر به الحيوانات			
٣٣	تصدق أي شئ يخبرك به الأخرون			
٣٤	تتصرف كقائد			
٣٥	تتصرف مثل طفل صغير			
٣٦	لديك طريقتك الخاصة في أداء الأعمال			

٣٧	تحب أن تلعب الألعاب لتفوز				
٣٨	تحب أن يخبرك الناس كم أنت لطيف				
٣٩	تحاول عمل أي شئ على أفضل وجه				
٤٠	لا تعامل الناس بخشونة				
٤١	لا تستعمل الكلمات البذيئة				

The Impact of the Type of School (For Boys and Girls) in the Role of Sexual Orientation among Primary Schools Pupils

Dr. Ibraheem Murtada Ala'aragee
Dhari Mahmood Hatam

Abstract:

The sex or what is known as sexual role (sexual stereotyping) is one of the important issues in the lives of individuals. It is heavily influenced by environmental factors surrounding the individual. The school's environment plays a major role in the growth and development of the sexual role of children. A type of school (for boys , for girls), is a case in Iraq's educational system that may significantly affects the formation of the sexual role of students which is not consistent with what you expect from the society, especially that there are many cases in which pupils are studying in different schools to the type of sex. The current research is trying to identify the impact of school type (for boys, for girls) in the trend towards sexual role among elementary schools students. The sexual role measure was applied to selected samples of the elementary schools of (100) pupils, selected from similar and different schools to the type of sex. The results revealed that the type of school (for boys, for girls) affects the role of sexual orientation among elementary schools students.

Semiotic of Narrative Figures

Dr. Zakiyah Bint Mohammed Bin Mubarak
University of Princess Noora Bint Abdul Rahman / Riyadh / Saudi Arabia

Abstract:

The literary text was known, since the dawn of its birth; that it is enriched with connotations that can be interpreted by each reader according to his culture and time; so it had multiple faces of interpretation which was characterized by impressionist and contemplative outlook, which in turn was based solely on the taste and vision of the reader because it is not governed by the rules and principles.

Thus the need generated to approach the text, and analyzed it in accordance with the rules and certain foundations, the semiotic curriculum – as other modern critical curricula – it varies by that it extrapolates signs and signals, and links it with semiotics systems outside the text; thus it introduced a vivid life teeming with color, movement and sounds. The literary text was changed to an animated environment that can be read and seen.

The semiotic curriculum was penetrated deeply in the literary text, not reckoned in the interpretation of the vivid language, but exceeded it by interpretation the meaning behind the language, through the marks' indications that the text contained such as color,

rhythm, sound, and movement, in beautiful harmony that makes the doors wide open for interpretation based on the rules and principles.

There is no doubt that the character in the literary text has a vital role, whether it is narrative or poetic. The fictional characters that come in any literature are the only way that the writer can embody his vision and sense of his reality. The characters that he personalized are to accomplish the event; so it is subject to his philosophy and vision for life.

Hence the importance of this research, which will deal with the narrative characters in the novel (The Beaver) by the Saudi novelist: Mohammed Hassan Alwan, which will be addressed through:
Semiotic of names, and linked it to the external and the internal construction of the characters.

This will be in accordance with the method of the semiotic analysis, depending on the hermeneutical approach.

The research comes in four topics as follows:
The first topic: reading literary text.
The second topic: semiotics.
The third topic: hermeneutical method.
The fourth topic: semiotic figures.

The Concept of Tolerance in the Arab Intellectual Discourse

Waleed Khalid Ahmed

Abstract:

This research deals with the determinants of the concept of tolerance in the religious discourse (Islamic, Christian, philosophical and ideological) after it traces the roots of a concept historically in the context of the Arab thought coupled with bringing the distance between conflicting religious doctrines.

Health and Physical Care for the Elderly in the Arabic Islamic Medical Heritage

Dr. Mahmoud Al-Haj Kasim Mohammed
Dr. Amer Aziz Jawad

Abstract:

The elderly category is considered a segment in the community that needs special and large attention and care, on humanitarian and religious grounds. This is considered the advanced and last stage of human life age, which the old person passes through a series of physical and psychological shifts that occur due to the passage of time, and the results are several changes in the organic synthesis and functional body.

Due to the lack of researches that dealt with the contributions of Arab and Muslim doctors in the care of the elderly, the researchers decided to do this research, noted that they could not find in the books of Arab and Muslim doctors separate chapters on the management and care of the elderly, but some paragraphs contained within different subjects which were collected and classified to give a complete picture of the objectives of the research.

The Research's objectives:

1 / reveal what came in the Qur'an and Sunnah about care for the elderly.

2 / disclosure of the contributions of Arab and Muslim doctors in the care of the elderly and their management,

which includes protecting them from diseases and treatment and care for them (physically, psychologically and socially).

The sections of the research:

The first section / care for the elderly in the Holy Quran and the Sunnah.

The second section / diseases that affect the elderly and their treatment.

1 / Cataract disease (white water descending in the eye).
2 / Constipation.
3 / Kidney stones and urinary tract.
4 / Diseases of the joints:
    A / Joints pain.
    B / Gout.
    C / Back pain.
    D / Disease sciatica.
5 / Diabetes.
6 / Bone fractures in the elderly.

The third section / Food (Risk and Benefits) for the elderly.

The fourth section / Physical and psychological care for the elderly.

First / Care of the elderly.
Second / physical care for the elderly.
Third / psycho-social care for the elderly.
Fourth / Nursing homes of the elderly.

Conclusions:

1 / The research has proven that the elderly have privileged position in the Holy Quran and Sunnah, as it contained many verses and hadiths that came in honor of them and to maximize their position and necessitated the sons and relatives to take care and reverence of them.

2 / A review of the sentiments of Arab and Muslim doctors for the elderly that they were pioneers in it, and their tackling of the subject has a lot of objectivity and righteousness. Also they were careful in their knowledge of the diseases of aging and treatment.

3 / Arab and Muslim doctors gave physical and psychological care for the elderly, a special attention as they are impaired and easily get morbid as the children's bodies and convalescent.

Ibn Jubayr trip

Prof. Dr. Ahmed Matloub
President of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

Trip is a culture, fun and explore; Man has carried it out since immemorial times. This paper exposes the meaning of the trip and some who did it and without, and Ibn Jubayr was one of them, who made three trips to the Orient from the Andalusian city of Granada. In the first trip he described most ports, cities, villages and places that he experienced by sailing in the Mediterranean, or passing through Egypt, the Hijaz, Iraq and the Levant.

This paper tried to show on the most important features of a description and the difficulties that he encountered and the attitudes that lacked the human sense. The social and economic features revealed what it was in the countries that he visited by the late sixth century and early seventh hijri century, and so this trip has provided information that are lacking in the books that talked about the countries and socio-economic features and other things.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)